

# - الرجل ذو الحقائق - - رحلة إلى عالم الموتى -

تأليف: يوجين يونسكو  
ترجمة وتقديم: أ.د. نادية كامل  
المراجعة: أ.د. محمد شيحة  
الدراسة النقدية: أ.د. محمود المقداد

العدد 376

مايو 2015



## - الرجل ذو الحقائق

## - رحلة إلى عالم الموتى

مسرحيتا «رحلة إلى عالم الموتى» و«الرجل ذو الحقائق» هما آخر ما كتب يونسكو للمسرح قبل أن يتوقف عن الكتابة المسرحية ليتحول إلى كتابة سيرته الذاتية وإلى الرسم. مسرحية «الرجل ذو الحقائق» قدمت لأول مرة على مسرح الأتلييه في العام ١٩٧٥ وتتكون من ١٩ مشهداً. تدور حول مسافر لا يمل ولا يتعب من البحث عن هويته في عالم ممتلئ بالقهر، عالم يناصبه العداء ويتسم بالعبثية، يتجول، وقد انتابته دهشة الأطفال - التي لم يبتعد عنها يونسكو - يرى البشر في تحركاتهم، يرى جرائم وصراعات، يسير كالمسحور في عالم مشوش بحثاً عن ماضيه، شخصية لا تحمل اسماً ولكن تحمل حقائق ثقيلة إنها مرة أخرى شخصية الكاتب الذي يحمل ذكريات ثقيلة سعيدة ومؤلمة.

مسرحية «رحلة إلى عالم الموتى» قدمت لأول مرة في العام ١٩٨٠ على مسرح جوجنهايم في نيويورك من إخراج بول برمان، تتكون من ١٥ مشهداً وتعتبر قمة وخلاصة أعمال يونسكو حيث تجمع شذرات من كل أعماله السابقة، تدور المسرحية حول جان (يونسكو ولا شك) الذي يحوم في عالم الموتى باحثاً عن أمه التي رحلت منذ وقت طويل، والتي عانت الكثير في حياتها الشخصية. تجوب الشخصية عالماً جديداً وتقابل أشخاصاً متعددين منهم الأصدقاء ومنهم الأعداء، وأشخاصاً غير محددى الهوية. تتطرق المسرحية في النهاية إلى عدم قدرة اللغة على التعبير: إذ حاول جان أن يكون كاتباً، غير أن أعماله التي يجدها أثناء رحلته مجرد كومة من الأوراق تقبع داخل أحد الأدراج بلا أدنى قيمة.

يذكرنا المونولوج الأخير لجان بمعطيات مسرح العبث الذي كان يونسكو من أبرز كتابه، مع الفارق أن ما قد يثير الضحك في «الدرس» أو «المغنية الصلعاء» يثير هنا الشفقة والألم، فالكلمات لم تعد سوى أوعية جوفاء لا تحتوي على شيء وإنما هي خالية من المعنى والمضمون.





## - الرجل ذو الحقائق - - رحلة إلى عالم الموتى -

تأليف: يوجين يونسكو

ترجمة وتقديم: أ.د. نادية كامل

المراجعة: أ.د. محمد شيحة

الدراسة النقدية: أ.د. محمود المقداد



# من المسرح العالمي

تصدر كل شهرين عن  
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب  
دولة الكويت

المشرف العام:  
م. علي حسين اليوحة

مستشار التحرير:  
د. حسين عبدالله المسلم

هيئة التحرير:  
د. إلهام عبدالله الشلال  
د. عادل سالم المالك  
د. علي عبدالله حيدر

مدير التحرير: عبدالعزيز سعود المرزوق  
سكرتير التحرير: أ. بشرى فايز الحربي

almasrahalaalami@yahoo.com  
almasrahalaalami@gmail.com

[www.kuwaitculture.org](http://www.kuwaitculture.org)

- الرجل ذو الحقائق  
- رحلة إلى عالم الموتى

ISBN ٩٧٨-٩٩٩٠٦-٠٠٠-٤٥١-١

رقم الإيداع: (٢٠١٥/٢٤٠)



---

**- الرجل ذو الحقائق**  
**- رحلة إلى عالم الموتى**

تأليف: يوجين يونسكو

ترجمة وتقديم: أ. د. نادية كامل

المراجعة: أ. د. محمد شيحة

الدراسة النقدية: أ. د. محمود المقداد

---



# الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
١-	دراسة تحليلية لمسرحيتي الرجل ذو الحقائق رحلة إلى عالم الموتى أ.د. محمود المقداد	٧
٢-	مسرحية الرجل ذو الحقائق	٥٥
٣-	مسرحية رحلة إلى عالم الموتى	١٩١

\*\*\*







دراسة تحليلية لمسرحيتي

- الرجل ذو الحقائق

- رحلة إلى عالم الموتى

للكاتب: يوجين يونسكو

بقلم: أ.د. محمود المقداد









## تمهيد:

شهد عالم المسرح منذ مولده وازدهاره في العصر الذهبي للفكر اليوناني القديم، بدءا من القرن السادس قبل الميلاد، وإلى يومنا هذا، ظهور تيارات ومذاهب ومدارس شتى، إلى جانب ظهور أساليب وتقاليد وتقنيات كثيرة مختلفة. كما كانت مواضيع المسرحيات والقوانين التي تسير عليها متفاوتة من عصر إلى آخر. وقد وُظف المسرح وخاصة في البلدان الأوروبية لخدمة غايات مختلفة أيضا: منها ما كان لامتداح البطولة والأبطال القوميين، ومنها ما كان اجتماعيا للتسلية، أو أخلاقيا للتربية، ومنها ما كان لخدمة الآلهة أو لخدمة الملوك والأمراء، ومنها ما كان أسطوريا خياليا، ومنها ما كان واقعيا، ومنها ما كان دينيا. يذكر الأستاذ (عمر الدسوقي) أن (الهيكل الأساسي لفن المسرحية واحد، وإن أخذت سمات وصورا متعددة، ولهذا الهيكل صفات عامة تتحقق في كل مسرحية<sup>(١)</sup>.

أما المعالجة الموضوعية فكانت خاضعة للمذاهب الفنية والأدبية التي كانت تتوالى كالموضة الموسمية في كل فترة من الزمان، فكانت بعض المذاهب تأتي رد فعل معاكس لمذهب قائم، يدفعه من الساحة الأدبية ليحل محله ويلبي حاجات نفسية جديدة لمدة زمنية محددة، إلى أن يدفعه بدوره مذهب آخر جديد، وهكذا تتراكم المذاهب الأدبية بعضها فوق بعض تاريخيا، كما لو أننا أمام طبقات جيولوجية عبر عصور تاريخ القشرة الأرضية، ولكن الفارق بين المثالين أن المذاهب الأدبية تبقى متعاصرة بعد ذلك وتعيش جنبا إلى جنب، وتتفاعل فيما بينها، غير أن الطبقات الجيولوجية تبقى على حالها، ولا تتكرر عموما ولا تتفاعل بعد أن تعلو إحداها طبقة سابقة.

وكانت القوانين الأرسطية المتمثلة في الوحدات التقليدية الثلاث: وحدة

(١) انظر كتابه: المسرحية (نشأتها، وتاريخها، وأصولها)، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١٩٧٠، ص ٢٨١.



المكان، ووحدة الزمان، ووحدة الموضوع، هي المسيطرة عموماً على هذا المسرح بتلاوينه المختلفة. وكانت نظرية التطهير (catharsis)، التي استتبها أرسطو (م ٣٢٢ ق م) من مجمل المسرحيات الملهوية والمأسوية اليونانية، تشكل هدفاً لكل ما جاء بعده من مسرحيات.

إلى أن أُطلِّ علينا مذهب جديد في المسرح جسَّده بعد الحرب العالمية الثانية جيل من الكتاب في مسرحياتهم، تمردوا فيها على كل المواضع والأعراف والتقاليد التي نظر لها أرسطو في المسرح، وكادت تكون عمود المسرح الذي لا يجوز الخروج عنه.

وكان هذا الجيل قد ولد في معظمه قبيل الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، التي لم يشهد العالم لها نظيراً من قبل، أو ولد خلالها، واكتوى وهو غضُّ الإهاب بنارها مع أهله، كما اكتوى بأزماتها التي تلتها، ثم عانى معاناة لا نظير لها بنشوب الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، وهو في عز الشباب، وكتب له البقاء حتى يشهد ما تلا هذه الحرب أيضاً من أزمات، ثم ما ساد بعدها من مرحلة سلام واستقرار وبناء على حذر وقلق. ثم شهد هذا الجيل الحرب الباردة بين معسكري الاشتراكية والرأسمالية، أو الشيوعية والإمبريالية، وما كان بينهما خارج نطاقهما الجغرافي - السياسي، من حرب عالمية ثالثة ولكن هذه المرة بالتقسيم (في كوريا أولاً، وفيتنام ثانياً، والشرق الأوسط ثالثاً خلال الحروب المختلفة، إلخ).





(١)

## المسرح الجديد المتمرد

### ١- بدايات ظهور التمرد نظريا على المسرح التقليدي:

يعزو أغلب النقاد الغربيين بداية بزوغ شمس التمرد المسرحي النظرية على تقاليد المسرح الأرسطي التقليدي القديم إلى مسرحية (أوبو ملكا) Ubu roi لكتبتها الفرنسي (ألفريد جاري) (١٩٠٧م) Alfred Jarry، التي نشرت سنة ١٨٩٦، وعُرضت في السنة نفسها على (المسرح-الجديد) le Nouveau-Théâtre بباريس، علما بأن (جاري) كان قد استلهمها من مسرحية (أوديب ملكا) لـ (سوفوكل) اليوناني، وكان عمره آنذاك ٢٣ سنة فقط، وهو واضع فلسفة العلم الخيالي (الباتافيزياء) la Pataphysique، التي تنادي بالحلول الخيالية للمشاكل البشرية. وكانت غايته من هذه المسرحية وتلك الفلسفة جعل الخيال جوهر حياة المجتمعات، والسخرية من تناقضات الواقع. وقد عُدَّ (جاري) بسبب ذلك رائدا لحركتين هما (السوريالية) في الفن التشكيلي و(اللامعقولية) في المسرح.

ولاشك في أن الحركات الفنية التي تكاثرت بياناتها وتباينت فلسفاتها واتجاهاتها في الأدب والتشكيل والمسرح بعد ذلك في القرن العشرين، من مثل: التعبيرية l'expressionnisme (بداية القرن ٢٠)، والتكعيبية le cubisme ١٩٠٧، والمستقبلية le futurisme (المعجبة بالحضارة المدنية، والآلة، والسرعة) ١٩٠٩، والدادائية le dadaïsme ١٩١٦، والسوريالية le surréalisme ١٩٢٤، والتعبيرية التجريدية l'expressionnisme abstrait (بُعِيد الحرب العالمية الثانية)، كانت تسهم جميعا في تعزيز





التمرد على الفن الكلاسيكي القديم، وعلى الفن الكلاسيكي الجديد وأدب الانبعاث الأوروبي إثر انقضاء القرون الوسطى، ومع بداية العصر الحديث إثر ذلك وظهور الدول القومية أو الإمبراطورية الجديدة للوقوف في وجه المد العثماني بعد سقوط (القسطنطينية) سنة ١٤٥٢.

كما أن ظهور نظريات علم النفس عبر مدارس مختلفة، ولاسيما مدرسة التحليل النفسي لـ (فرويد) Freud النمساوي (١٨٥٩م) حوّل (الوعي) و(اللاوعي) و(الليبيدو) و(الأنثى) و(الأنثى الأعلى) و(مجموعات العقد) و(الجنس) و(الأحلام) وغيرها، قد أسهمت بوضوح وعمق في تغيير نظرة الناس في أوروبا، التي كانت تلعب دوراً مركزياً في تقرير مصير العالم، إلى طبيعة الإنسان الداخلية وصلتها بالأشياء خارجها. يضاف إلى ذلك تأثيرات البحث عن (الإنسان الأعلى) le surhomme أو (السوبرمان) the superman وظهور فلسفة القوة التي أذاعها الفيلسوف الألماني (نيتشه) Nietzsche (١٨44م) التي عبّر فيها عن إنجازات (بروسيا) بقيادة المستشار الحديدي (بيسمارك) Bismarck (١٨١٥م) الذي وحد ألمانيا بالقوة، وكان (نيتشه) يعيش في ظلال تلك الأمجاد وهو في عز شبابه، وهو الذي تنبأ بالحرب العالمية الأولى في قوله: (إن كارثة عظيمة تنتهي للحدوث، وأنا باعثها.. ولم يكن لها مثل على الأرض). كان (نيتشه) ملحداً يؤمن بالإنسان القوي، ويسخر من الإنسان الضعيف<sup>(١)</sup>. كما أسهمت النظريات العرقية والعنصرية التي نشأت في أوروبا الصناعية أواخر القرن ١٩ في خلخلة التوازن القائم على مبدأ المساواة بين جميع الأعراق البشرية، مما أدى إلى ارتجاج الرؤية وانفصام الحقيقة عن الواقع لدى الأوروبيين.

(١) ذكر (مارتن إسلين) Martin Esslin منظر التمرد المسرحي في كتابه (مسرح اللامعقول) The Theatre of the Absurd، p ٢٨٩، أن عدد الناس الذين الحدوا زاد زيادة كبيرة منذ أيام (نيتشه) وكتابه.





وقد مهدَّ كلُّ ما تقدَّم لظهور (الفلسفة الوجودية) l'existentialisme عند (جان-بول سارتر) Jean-Paul Sartre (١٩٠٥-١٩٨٠) الفيلسوف والأديب الفرنسي، من خلال كتابه (الوجود والعدم)<sup>(١)</sup> l'être et le néant الذي ظهر سنة ١٩٤٣، وكان مواطنه الفيلسوف والكاتب (ألبير كامو) Albert Camus (١٩١٣-١٩٦٠) قد نشر قبله

بسنة كتابه الذي يحل فيه وجود الإنسان ومصيره وحاله في هذا الكون بعنوان (أسطورة سيزيف) le mythe de Sisyphe، وكان (كامو) موزعا نفسيا ما بين السورالية والوجودية. وكانت عناصر التجديد في مسرحيات هذين الكاتبين، اللذين ذاقا مرارة الحريين العالميتين، إرهاصا بظهور مسرح التمرُّد الشامل على المسرح التقليدي والواقعي في مطلع خمسينات القرن ٢٠. وفي حين كان (سارتر) يميل إلى الإلحاد التام، كان (كامو) يركز تفكيره في حالة الإنسان في هذا الكون، وينزع نزعة إنسانية humaniste واضحة في كل كتاباته، ولذا وقف ضد عدم المساواة في الجزائر، وضد الفاشية الفرانكولية في إسبانيا، وضد الاستالينية في الاتحاد السوفيتي، وكان يرى أن الإنسانية تعذبت ولا تزال تتعذب، وستظل على المدى المستقبلي المنظور تتعرض للعذاب، تماما كما فُرض العذاب الأبدي على (سيزيف) في الأسطورة اليونانية القديمة، حين حكمت عليه الآلهة بدفع الصخرة إلى قمة الجبل لتتدحرج منه ثانية إلى أسفل الوادي، ويعاود الكرة لدفعها إلى ما لا نهاية له.. لقد كان (كامو) يرى أن الإنسان يعيش في عالم لا يفهم معناه، ويجهل حتى سبب وجوده فيه، ويتساءل عن معنى الحياة، ولم يكن عنده جوابٌ مُرضٍ عن ذلك. ولم يكن مقتنعا بالتفسيرات التي جاءت بها الأديان عن أصل الإنسان ومعنى الحياة والوجود والمصير النهائي له. لقد

---

(١) نقله إلى العربية د. عبد الرحمن بدوي، ونُشر في دار الآداب ببيروت، ط١، ١٩٦٦.



كان يبحث عن أجوبة بشرية محضنة عن كل تساؤلاته تلك. وتوصل إلى أن فاعلية الإنسان لتحقيق ذاته تكمن في (التمرد) الذي يتمثل في إدراك وضعنا المشؤوم ومواجهته. وهذا ما قاده إلى حصر اهتمامه في قضية الإنسان وحده.

## ٢- تأثيرات رباعيات الخيام في القلق الوجودي الغربي

على الرغم من أن مشكلة الوجود قديمة مر بها كل من فكر في الإنسان والطبيعة والكون من فلاسفة وشعراء ومفكرين وكُتّاب، فإن الظن يغلب علينا أن المفكرين الغربيين على اختلاف اهتماماتهم في أواخر القرن ١٩ والنصف الأول من القرن ٢٠، قد وقعوا تحت تأثير ترجمة رباعيات عمر الخيام (م ٥١٧هـ) إلى اللغتين الإنكليزية والفرنسية على وجه الخصوص، ولقيت ترجماتها قبولا هائلا آنذاك<sup>(١)</sup>، ذلك لأن كثيرا من هذه الرباعيات

كانت تضرب على وتر الشك في قدرة الإنسان على معرفة سر وجوده، وربما كانت هذه الرباعيات أصل الفلسفة الوجودية لدى (سارتر) و(كامو) الفرنسيين وغيرهما، ونكتفي هنا بإيراد الرباعية التالية التي كانت حجر الأساس في هذا المجال، إذ يقول<sup>(٢)</sup>:

لَبِسْتُ ثَوْبَ الْعَيْشِ لَمْ أُشَشَرْ  
وَحِرْتُ فِيهِ بَيْنَ شَتَى الْفِكْرِ

(١) انظر حديث الشاعر أحمد رامي عن اكتشاف الأوروبيين هذه الرباعيات في القرن ١٩ وترجمتها  
ترجمات جزئية أو تامة. وقد نشر ذلك الحديث في تمهيد لترجمته هو لها عن الفارسية مباشرة، انظر:  
رباعيات الخيام، دار العودة ببيروت، ١٩٧٧، ص ٢٢-٢٨.

(٢) انظر: م س، ص ٢٨ وهذه الرباعية مما اختارته السيدة أم كلثوم من رباعيات الخيام وغنته بتلحين  
رياض السنباطي.





وَسَوْفَ أَنْصُو الثُّوبَ عَنِّي وَلَمْ  
أُذْرِكْ لِمَاذَا جِئْتُ.. أَئِنَّ الْمَفْرُ

ولعل قصيدة (الطلاسم) المطولة والمهمة للشاعر اللبناني المهاجر  
(إيليا أبي ماضي) <sup>(١)</sup> إنما كانت صدى من أصداء الخيام في أمر الوجود،  
إذ يقول فيها <sup>(٢)</sup>:

جِئْتُ .. لَا أَعْلَمُ مِنْ أَئِنَّ .. وَلَكِنِّي أَتَيْتُ  
وَلَقَدْ أَبْصَرْتُ قُدَّامِي طَرِيقًا .. فَمَشَيْتُ  
وَسَأَبَقِي مَاشِيًا إِنْ شِئْتُ هَذَا أَمْ أَبَيْتُ  
كَيْفَ جِئْتُ .. كَيْفَ أَبْصَرْتُ طَرِيقِي .. لَسْتُ أَذْرِي  
أَجْدِيدٌ أَمْ قَدِيمٌ أَنَا فِي هَذَا الْوُجُودِ  
هَلْ أَنَا حُرٌّ طَلِيقٌ أَمْ أَسِيرٌ فِي قُيُودِ  
هَلْ أَنَا قَائِدٌ نَفْسِي أَمْ مَقُودُ  
أَتَمَنَّى أَنَّنِي أَذْرِي وَلَكِنْ .. لَسْتُ أَذْرِي

ربما كان الخواء الروحي في الغرب، والقلق، والحيرة، والصدمات البشعة  
التي تعرض لها الناس فيه خلال الحربين العالميتين، ومن قبل خلال حركة  
الاستعمار العسكري، والنزعة المادية المهيمنة على العقول، كانت وراء  
اهتزاز ثقة الناس بالحضارة والأديان والفلسفات البشرية النافعة عموماً،  
ففقد الناس الحس الأخلاقي والبوصلة المنطقية لوقوع الحوادث وبناء

(١) انظر: ديوان إيليا أبي ماضي، دار العودة ببيروت، ص ١٩١-٢١٤.

(٢) م.س.، ص ١٩١.



الحقائق، فكان تكوينهم الأخلاقي والديني والتربوي في واد، والحقائق والوقائع الملموسة المحيطة بهم في واد آخر، فأحدث ذلك انفصاما بين المثال والتطبيق، فأداروا أظهرهم لذلك التكوين في سبيل تحقيق الخلاص الفردي في المجتمع عند كل منهم، متبعين بينهم وبين أنفسهم الفلسفة (اللاأدرية) l'agnosticisme التي كانت تخفف عن كاهلهم أعباء التفكير العقيم لاكتشاف سر الوجود، وتريحهم من الالتزام بكل ما جاء في الفلسفات (الماورائية) métaphysiques والتفسيرات الغيبية.

### ٣- بداية التنظير للتمرد على المسرح الأرسطي القديم:

كان (أنطونان آرتو) (١٨٩٦-١٩٤٨) Antonin Artaud - وهو ممثل وكاتب وشاعر وباحث فرنسي - أحد أهم المنظرين للتمرد على المسرح الأرسطي القديم وأعرافه وتقاليده، حتى إن الناقد المصري (فاروق عبد القادر) وصفه بأنه (نبي المسرح المجنون) <sup>(١)</sup>، ويعني به هذا المسرح الجديد. وقد أذاع (آرتو) رؤيته الثائرة في كتاب بعنوان (المسرح ونظيره) le théâtre et son double <sup>(٢)</sup>، احتوى على خمسة عشر بحثا (ما بين محاضرات، ومقالات، ورسائل) كان قد نشرها بين سنتي ١٩٣١ و١٩٣٦، حاول من خلالها استعادة الوظيفة المقدسة للمسرح، وزعزعة سُبُبات الثقافة الغربية التي غطت فيه وتجمدت.

وقد نظر في الكتاب لما يعرف بـ (مسرح القسوة) de la cruauté théâtre، الذي كان يريد أن يصدم به المشاهدين حتى يتطهروا من النزوع إليها. وكان يرغب في استعمال أشكال غريبة من الإضاءة، والأصوات،

(١) انظر تقديمه لكتاب: المسرح في الوطن العربي للدكتور علي الراعي، سلسلة عالم المعرفة، الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، العدد ٢٤٨، ١٩٩٩، ط٢، ص ١٢.

(٢) نشره بباريس سنة ١٩٣٨.





والحركات، والإشارات، والأداء، بغية تحقيق أكبر قدر من التأثير فيهم. وكانت مسرحية (آل تشنتشي) Les Cenci، المقتبسة من مسرحية بذات العنوان تتكوّن من خمسة فصول نشرها الشاعر الإنكليزي (شيلي) Shelley (م ١٨٢٢) في لندن سنة ١٨١٩، التطبيق الوحيد له على مسرح القسوة هذا. وقد مهّد بذلك السبيل لكُتّاب الخمسينيات لأن يطبقوا مجمل رؤيته في نصوصهم، وللمخرجين أن يغيروا من طرقهم في الإخراج، وللتقنيين أن يجرّوا ثورة في طريقة العرض المسرحي. وكان من محاسن المصادفات أن (آرتو) شهد سنة ١٩٢١ عرضا مسرحيا باليّا balinais<sup>(١)</sup> في باريس: فعقد مقارنة بين هذا المسرح الشرقي والمسرح الغربي في أوروبا<sup>(٢)</sup>، وخرج بنتيجة تقول إن الأخير يعتمد على النص المكتوب (الكلمات والحوار)، أي أنه يعتمد كليةً على (الكلام) المؤدّي على خشبة المسرح، أما المسرح الشرقي فكان يقلّل من هذا الكلام لصالح عناصر أخرى يجسدها على خشبة المسرح أهمها: لغة الحركات الصادرة عن الجسد، ولغة الإشارات، ولغة المظاهر، ولغة الأصوات والصراخ والتغيم والموسيقى، ولغة الأشياء، وهذه العناصر جميعا كانت في رأيه تملأ فضاء المسرح بالحيوية، لأنها تمثّل لغة بصرية وسمعية محسوسة وملموسة ومجسّدة<sup>(٣)</sup>، وسمّي كل ذلك اللغة الفيزيائية (الطبيعية) للمسرح، وعدّ ذلك نظاما جديدا لا ينتمي إلى لغة الكلام، وكان ينفي عن المسرح أن يكون مقلّدا للحياة في واقعها اليومي والمباشر، ويرى

(١) نسبة إلى الجزيرة الإندونيسية (بالي) Bali التي يبلغ سكانها اليوم نحو ثلاثة ملايين نسمة.

(٢) وقد تجسّدت هذه المقارنة في مقالتين من كتابه: كتب الأولى سنة ١٩٢١ بعنوان (حول المسرح البالي) Sur le Théâtre Balinais، والثانية سنة ١٩٢٥ بعنوان (المسرح الشرقي والمسرح الغربي) Théâtre oriental et Théâtre occidental.

(٣) لعل القارئ العزيز يعلم أن مسرح أبي خليل القباني (١٨٢٣-١٩٠٣)، الذي بدأه في دمشق سنة ١٨٧١، ثم انتقل به مصر في ثمانينيات القرن ١٩، تحت ضغط المحافظين والسلطات العثمانية، ثم عاد إليها، كان يستعمل فيه أيضا تقنيات الرقص والفناء والإنشاد الشعري والألبسة والحركات والإشارات، التي كانت قد أعجبت (آرتو) في المسرح البالي المذكور.



أن المسرح نظيرٌ لحقيقة أخرى، لأن الحياة تقليدٌ لمبدأ سام، والفن يجعلنا على تواصلٍ مع ذلك المبدأ. ومن هنا ذهب إلى اتهام اللغة بأنها تحدُّ من طاقات الأداء المسرحي، وتحبس روحه في النص المكتوب، ولذا كان يدعو إلى (تحطيم اللغة لملامسة الحياة). وقد ألهمته هذه المقارنة كل أفكاره التي أودعها في كتابه المذكور، الذي اشتمل على بيانين كان قد أصدرهما في سنتي ١٩٢٢ و١٩٢٣. وهكذا نجد أثر الشرق يظهر من جديد في أهم مظهر من مظاهر التجديد في المسرح الغربي.

#### ٤- توصيف المسرح المتمرد من خلال تطبيقاته في الخمسينيات:

تأثر كتاب الخمسينيات، في فرنسا على وجه الخصوص، بتظيرات (آرتو) القبليّة للمسرح الجديد المتمرد، ثم جاء بعد ذلك الناقد الإنكليزي (مارتن إسلن) Martin Esslin<sup>(١)</sup>، ليرصد هذا المسرح المتمرد، ويوصّفه من خلال تطبيقاته في الأعمال المسرحية، فأطلق عليه، في أحد بحوثه، تسمية (مسرح اللامعقول)، فاشتهر به وشاع عنه، وازدادت شهرته حين نشر كتابا بالاسم نفسه (The Theatre of the Absurd) سنة ١٩٦١ في دار (كتب بيليكان) Pelican Books في الولايات المتحدة، ثم توالى طبعاته في بريطانيا وأستراليا أيضا. ومنذئذ دخل هذا المصطلح في الدراسات والبحوث النقدية المسرحية التي تتعلق بحركة التجديد أو التمرد

(١) مارتن إسلن: ولد في (بودابست) Budapest عاصمة هنغاريا سنة ١٩١٨، وتوفي في (لندن) سنة ٢٠٠٢. كان قد هاجر مع أسرته أولا إلى (فيينا)، ودرّس في جامعتها الإنكليزية والفلسفة، وبدأ حياته فيها ممثلا، غير أنه اضطر إلى الرحيل عنها، إثر الاحتلال النازي للنمسا سنة ١٩٣٨، إلى (بروكسل) عاصمة بلجيكا لمدة سنة، ثم استقر أخيرا في (لندن) حيث عمل كاتب سيناريو ومنتج برامج مسرحية إذاعية في محطة الـ BBC إلى وفاته.





المسرحي المذكور، الذي شكل تيارا معاديا للمسرح القديم، اتبعه كثير من كُتَّاب المسرح من مختلف البلدان بعد الجيل الذي رَسَّخ قواعده العامة في خمسينيات القرن ٢٠. وقد عرِّف (مسرح اللامعقول) كالتالي: (إن مسرح اللامعقول يسعى جاهدا للتعبير عن معنى لامعنى الوضع الإنساني، وعن قصور الطريقة العقلانية عن طريق التخلي الصريح عن الوسائل العقلانية والتفكير المنطقي)، إلا أن كثيرا من النقاد وكتاب المسرح اعترضوا على هذا التعريف، لأنه يقلل من قيمة أعمالهم وفائدتها.

تتاول (إسْلِن) في كتابه تمهيدا نظريا لمفهوم (اللامعقول)، ومن ثم تحدث عن كُتَّاب مسرح اللامعقول الأربعة الكبار في الخمسينيات كل في فصل مستقل، وهم: الإيرلندي الأصل (صمويل بيكت) (١٩٠٦-١٩٨٩) Samuel Beckett، والروسي الأرمني الأصل (آرثر آداموف) (١٩٠٨-١٩٧٠) Arthur Adamov، والفرنسي من أصل روماني (يوجين يونسكو) (١٩٠٩-١٩٩٤) Eugène Ionesco، والفرنسي (جان جُنيه) (١٩١٠-١٩٨٦) Jean Genet. وتتاول في فصل تالٍ كبير الحديث عن سبعة عشر كاتباً مسرحياً من أتباع مسرح اللامعقول في مختلف البلدان الغربية. ثم تتاول في ثلاثة فصول تالية: تراث اللامعقول، وأهمية اللامعقول، وما بعد اللامعقول.

كما أن (إسْلِن) يقر بوجود بعض مظاهر اللامعقول في أعمال بعض الكُتَّاب، من أمثال: الإيرلندي (جيمس جويس) (J. Joyce) (م ١٩٤١)، والتشيكي (فرانتز كافكا) (Franz Kafka) (م ١٩٢٤). وفي بعض الأعمال الفنية التشكيلية: السورالية، والتكعيبية، والتجريدية، وغيرها.



## ٥- تنازع المصطلحات في الدلالة على ظاهرة التمرد على المسرح القديم:

### أ- مسرح اللامعقول أو العبث:

وقف كثير من الكتاب المسرحيين على مصطلح (اللامعقول)، وأعلنوا في أكثر من مناسبة أنهم لا يتبعون حركة تحمل ذلك الاسم، أو - على الأقل - رفضوا الدلالة السلبية له التي تعني (العبث) أي ما كان ضد ما هو معقول أو منطقي، لأن العبث من معاني كلمة (absurde) الفرنسية والإنكليزية معاً، لأنهم لم يكونوا يلعبون ولا يتلهّون أو يعبثون في كتاباتهم، وإنما كانوا يصوّرون ما في المجتمع البشري وحضارة الإنسان وفكره وقيمه وفلسفاته وتصرفاته وتساؤلاته عن المصير من عبث، للتبّيه على المأساة الكبرى المعرفية التي يعيشها الإنسان، إنهم يسقون المتلقي جرعة مرة لكي ينبهوه على واقعه المشؤوم، وحتى يضعوه على طريق وعي ما يحيط به من شرور، ولم يكونوا يدفعونه ليستهتر بما هو فيه أو ليزيدوه مأساة، وهذا المفهوم هو الجانب الإيجابي في دلالة المصطلح، هذا من ناحية الجوهر الفلسفي لطبيعة هذا المسرح المتمرد الجديد. إذن لا يرى أكثر الكتاب المسرحيين ونقاد المسرح أن يصفوا هذا المسرح بأنه (مسرح العبث أو اللامعقول) بالمعنى السلبي، واستبعاداً منهم للفهم الخاطئ لمحتواه أو لغايته، ويرون أن يتم فهم الجانب الإيجابي منه. ويشتمل هذا المسرح أيضاً على تطبيق وسائل إخراج جديدة لامعقولة أيضاً. بل إن (يونسكو) كان يفضل إطلاق تسمية (المسرح المضاد) بوصفه تمرداً صريحاً على المسرح القديم، بدليل هذا العنوان الفرعي لأولى مسرحياته المنشورة (المغنية الصلحاء: مسرحية مضادة).

ويطرح المرء - هنا - تساؤلاً مشروعاً هو: هل اللامعقول وليد العصر





الحديث أم أنه لازمة من لوازم التفكير والاعتقاد والسرد منذ أقدم وجود الإنسان على وجه الأرض ؟ لننظر مثلا إلى تماثيل مثل (أبي الهول) في مصر: ألم يكن غير معقول أن نجد نسخة حية منه في الطبيعة (أي أسدا برأس بشري) ؟ ومثل (الثور المجنح) في العراق الذي يتكون من ثلاثة عناصر لا وجود لها معا في الطبيعة (وهي جسد ثور ورأس إنسان وجناحا طائر) ؟ ومثل ذلك معجزات الأنبياء والرسل في مقاييس الواقع ووفق قوانين الطبيعة المألوفة، بعيدا عن قضية الإيمان والتسليم بقدرة الخالق على استثناء بعض مخلوقاته من تحكم قوانين الطبيعة بها، حتى تكون صدمة لعقول من رأوا تلك المعجزات وليدركوا أن صانعها فوق البشر: كنزعة قدرة النار على الإحراق في حالة إبراهيم (ع)، وتحول عصا موسى (ع) أفعى على الأرض، وشق مياه البحر بها ليقف الماء كالجدار على طرفي طريق آمن، وتفجير الماء من الصخر الصلب، وإحياء السيد المسيح (ع) الميت بإذن الله، إلخ. وهي جميعا معجزات خوارق لا تتاح عادة لغير الأنبياء والرسل. كما أن حكايات الأساطير القديمة بشأن الآلهة المتعددة، والحكايات الشعبية، وحتى الملاحم الشعبية التي تجعل فارسا كعنترة يتغلب وحده في المناجزة، ودفعة واحدة، على ألف فارس، كلهم مدجج عابس، كل ذلك يحمل في طياته عناصر لا تعقل، وهي مخالفة للمنطق ومعطيات العقل المألوفة. واللامعقول منتشر في شعرنا العربي الحديث على نطاق واسع، وموجود أيضا في شعرنا، كقول المتنبي:

أنا الذي نظرَ الأعمى إلى أدبي

وأسمعتُ كلماتي مَنْ بِهِ صَمَمٌ

فمن غير المعقول أن يبصر الأعمى ولكنه أبصر في رأي المتنبي، ولا يعقل أن يسمع الأصم، ولكنه سمع، مبالغة من المتنبي في تصوير روعة شعره الخارقة للعادة والمألوف. ومدح أبو نواس الخليفة العباسي هارون



الرشيد بقوله:

وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ

لَتَخَافُكَ النُّطْفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

فهل يُعَقَّل أن تخاف تلك النطف قبل أن تتخلَّق وتولد وتكبر وتعني قدرة

الرشيد على الإخافة؟

ب- المسرح الطبيعي:

وقد طُرِح مصطلح (المسرح الطبيعي) أو (مسرح الطبيعة) <sup>(١)</sup> théâtre d'avant-garde، أي المسرح الذي يكتشف سبل التجديد ويرودها لغيره، أو يشق طرقاً جديدة في فن المسرح والتمثيل والإخراج وطريقة تناول المواضيع ومعالجتها، أو باختصار هو المسرح الذي يبدع تقاليد وأعرافاً وقوانين جديدة مغايرة لما هو مألوف أو متعارف عليه أو موروث من أنماط المسرح القديم وتقاليد وأعرافه وقوانينه وضوابطه أو قواعده التي استقام عليها السابقون والمعاصرون من أجيال الكتاب والمخرجين والممثلين. ولكننا إذا تأملنا المفهوم الدقيق لمصطلح (الطليعية) l'avant-gardisme في المسرح، فسنلاحظ أنه يعني الرفض التام للتراث، والقطيعة الكاملة مع الماضي، ولذلك كان (يونسكو) يفضل أن يدعو المسرح الجديد (المسرح المضاد) anti-théâtre. كما أنه يعني ما يمس تقنيات المسرح المذكورة أكثر من فلسفته وجواهر مواضيعه، أو بتعبير آخر: إنه لا يمس دوافع المسرح ولا أهدافه، بل مواضيعه وأفكاره وفلسفته وتقنيات إخراجيه.

(١) والكلمة مأخوذة من الحقل الدلالي العسكري الذي يُطلق كلمة (طليعة، وجمعها طلائع) على الوحدات العسكرية الاستكشافية التي تتقدم مسارات الجيش لتكتشف مكامن الخطر المنتشرة من العدو فيها، حتى يتجنبوها، أو يحسنوا التعامل معها، لتأمين القوات الأساسية التالية في الجيش.





## ج- المسرح التجريبي le théâtre expérimental:

وهو مصطلح يمثل عمليا جوهر مفهوم المسرح الطبيعي، وهو الأقرب إلى الواقع، لأنه يهتم بتطبيق أحدث ما توصلت إليه العلوم والمعارف البشرية من أدوات واختراعات وما تقدم من إمكانيات لم تكن متوافرة من قبل في إخراج العمل المسرحي، إضافة إلى تجربة تقنيات فنية ومواضيع جديدة لم تطرق من قبل، وهنا إحياء ربما بمسألة الارتجال ومقاربة أشكال غير مألوفة أو غريبة عن عالم المسرح من قبل، لإضفاء نوع من الجدة في نظر المشاهدين للعمل المسرحي.

### ٦- من أبو مسرح اللامعقول أو مؤسسه؟

لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن ننسب نشأة (مسرح اللامعقول) إلى فيلسوف أو منظر أو كاتب مسرحي بعينه، لأنه ظهر استجابة لحالة حضارية، ومناخ فلسفي، ووضع نفسي واجتماعي عام، يمتد في أوروبا - على وجه الخصوص - من أواسط القرن ١٩ إلى أواسط القرن ٢٠ تقريبا، فكان من الطبيعي أن تبذر بذوره النظرية الأولية هنا وهناك، وأن تثبت هذه البذور في البيئات التي تشتمل عليها الشروط الموضوعية ذاتها لتعبر عن تلك الحالة: فهناك إذن مناخ عام، ثم بذور نظرية، ثم نوع من التنظير، ثم تطبيق لبعض أفكار التنظير، ثم توصيف التطبيقات واستتباط القوانين والمفاهيم من خلال نصوصها المكتوبة أو ممارستها المعروضة. ولذا نعترض على من ذهب إلى أن (يوجين يونسكو)، وهو أحد الأربعة الكبار من كتاب مسرح اللامعقول في خمسينيات القرن ٢٠، كان هو أبا (مسرح اللامعقول) وحده: وحجتهم القوية في ذلك هي أنه نشر مسرحيته (المغنية الصلعاء) la Cantatrice chauve سنة ١٩٥٠، وعُرِضَتْ في العام التالي، وتلتها في العامين التاليين بضع مسرحيات أخرى له، ثم نشر

En attendant Godot (صمويل بيكيت) مسرحيته (في انتظار غودو) سنة ١٩٥٢، بعد ثلاث سنوات من نشر (يونسكو) أولى مسرحياته. وقد احتج (يونسكو) أيضا بالحجة نفسها في أحد تصريحاته قائلا: (لقد اقترف الصحافيون ومؤرخو الأدب الهواة تزويرا كنتُ أنا ضحيته)، وذكر تأخر نشر (في انتظار غودو) ثلاث سنين عن مسرحيته (المغنية الصلعاء)، وسنتين عن مسرحية (الدرس)، وسنة عن مسرحية (الكراسي). ونجد منظر الإنتاج التطبيقي لنظريات مسرح اللامعقول القبليّة الناقد الإنكليزي (مارتن إسّلن) يقدّم في كتابه (مسرح اللامعقول) ذكر (بيكيت) بين الأربعة الكبار الذين أشرنا إليهم آنفا، ربما تعصبا منه للإنكليز الذي منحوه الجنسية ووظفوه في أكبر منبر إعلامي آنذاك، وأخر الفصل الخاص بـ (يونسكو) ليجعله بعد (بيكيت) و(آداموف) وقبل (جان جنييه)، وهذه إشارة واضحة إلى تحيُّزه غير الموضوعي في الحكم بالريادة لـ (بيكيت) ذي الأصل الإيرلندي وإن كتب بالفرنسية، وأمضى معظم حياته في فرنسا. إلا أننا لا نستطيع القول - استنادا إلى هذه الحجة - بأن (يونسكو) كان فعلا مؤسس مسرح اللامعقول، ولكن يمكن أن نقول إنه كان الأسبق من (بيكيت) في نشر أعمال مسرحية لها هذا الطابع. ومن المؤكّد أن كلا الكاتبين، في أغلب الظن، كانا قد كتبا مسودات مسرحيتهما في وقت واحد أو متقارب في أواخر الأربعينيات. ولعل كتابا آخرين كتبوا في الوقت نفسه مسرحيات من ذات النمط ولم يقدر لها أن تظهر للنور، وهذا يؤكّد أن هذه المسرحيات كانت ثمرة حالة ومناخ سائد واحد تقريبا، لا نتيجة إرادة فردية فحسب. وفي ترجمته المختصرة على موقع (الأكاديمية الفرنسية) (academie-francaise.fr)، نجد حكما يؤيد رأينا في هذه المسألة، وهي أن مسرحيته الأولى (المغنية الصلعاء) هذه (تركت باستمرار أثرها في المسرح المعاصر، وجعلت من يونسكو أحد آباء مسرح اللامعقول)، لا الأب الوحيد له. غير أن موقع (بابلو) (Babelio.com) الفرنسي يعده في الترجمة الموجزة





لحياته (الملك غير المتوج لمسرح اللامعقول)، وهذه مبالغة فيها نظر، ويمكن أن نستبدل بها عبارة تقول إنه (كان أغزر كُتَّاب مسرح اللامعقول إنتاجا في القرن العشرين)، وهذا حكم صحيح تماما كما سنرى.

واللافت للنظر في الأربعة الكبار من كُتَّاب مسرح اللامعقول أن ثلاثة منهم مهاجرون إلى فرنسا من بلدانهم الأصلية: رومانيا، وروسيا، وإيرلندا، والرابع الفرنسي كان أشبه باللقيط. وأنهم جميعا عايشوا الحريين العالميتين ورأوا أهوالهما، وما كان بينهما من فترة قصيرة مضطربة، وأنهم انطلقوا في تيارهم اللامعقول تطبيقا من خلال إنتاجهم المسرحي منذ مطلع الخمسينيات. يضاف إليهم أن منظر (مسرح اللامعقول) (مارتن إسلن) كان إنكليزيا من أصل هنغاري، أي أنه مهاجر أيضا. وهذه السمات الجامعة بينهم تثير العجب إن لم تثر بعض الظنون، وتحتاج إلى فضل بحث ونظر. وعلى أي حال كان (يونسكو) يرفض أن يصنّف أعماله تحت تسمية (مسرح اللامعقول) أو (العبث) - كما ذكرنا آنفا - قائلا: (أفضل كلمة الغريب أو غير المألوف على كلمة اللامعقول أو العبث). بل كان يسمي مسرحه (المسرح المضاد)، ليدل بذلك على معاداته وقلبه ظهر المجن للمسرح التقليدي المألوف.

## (٢)

### مسرح (يوجين يونسكو)

#### ١- نبذة عن حياة (يوجين يونسكو)

ولد (يوجين يونسكو) Eugène Ionesco من أم فرنسية تدعى (ماري-تيريز) Marie-Thérèse، وأب روماني أورثوذكسي، في ٢٦ من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٠٩، كانت قد اعتقت (الأورثوذكسية)، في مدينة (سلاتينا) Slatina الواقعة على بعد ١٥٠ كم غرب (بوخارست) Bucarest عاصمة رومانيا Roumanie في شرق أوروبا. وتوفي في باريس في ٢٨ مارس (آذار) من سنة ١٩٩٤. واسمه بالرومانية (Eugen Ionescu)، ويلفظ الحرفان الأولان من اسمه الأول بالرومانية على الطريقة الإيطالية (أويجين)، وفي الفرنسية (أوجين)، إلا أن اسمه شاع عن طريق الإنكليزية (يوجين)، بنطق أول حرفين كما في كلمة (Europe) الإنكليزية، ونستعمل - هنا - اسمه كما شاع بالإنكليزية، أما الحرف الأخير (u) في اسمه الروماني، فتحول في الفرنسية إلى حرف (o). كان أبوه قاضيا في الإدارة الملكية لرومانيا، وأما أمه التي تعلم الفرنسية منها فكانت ابنة مهندس فرنسي يعمل في سكك الحديد برومانيا، وقد نشأت فيها. كما أنها أنجبت أختا لـ (يوجين) سنة ١٩١١ تدعى (ماريلينا) Marilina.

انتقل الأب مع زوجته وابنيه إلى باريس، سنة ١٩١٣، لتحصيل درجة الدكتوراه في القانون، ولما أعلنت رومانيا الحرب على ألمانيا وإمبراطورية النمسا-هنغاريا سنة ١٩١٦، عاد الأب وحده إلى بلاده، وانقطعت أخباره منذئذ، وظنت أسرته أنه قتل في الحرب العالمية الدائرة آنذاك. وكان الأب قد حصل أثناء ذلك على الطلاق، وتزوج من امرأة أخرى سنة ١٩١٧، وأصبح





مفوضا عاما للشرطة في (بوخارست). وقد رعت الأم ابنيها بصعوبة بالعمل في أعمال موسمية وبمساعدة والديها وبعض الأقارب. وبقي الأمر هكذا إلى سنة ١٩٢٥، التي تم فيها التواصل مع الأب، والتحق (يوجين) وأخته (ماريلينا) به في (بوخارست)، وأخذا يتعلمان الرومانية. غير أن زوجة أبيهما لم يطب لها العيش معهما، ولم يجدا لديها أي عاطفة محبة، وكانت بلا أطفال، وكان الشجار بينها وبينهما دائما. وكان أبوهما رجلا متسلطا، وقد أراد أن يحمل ابنه على دراسة الهندسة، وكان يزدرى اهتمامه بالأدب ويوبخه باستمرار، ودب الخلاف بينهما ووصل إلى الذروة. وقد وصف (يوجين) والده بأنه كان رجلا طاغية طوال عمره، وذا روح انتهازية ليبقى دائما إلى جانب السلطة مع المستبدين: فقد كان ملكيا مؤيدا لنظام الملكية بحرارة أيام المملكة، ولما اجتاحت النازيون رومانيا مال إلى صف الفاشيين الرومان الذين حالفوهم بحماسة، ولما حرر الشيوعيون رومانيا من النازيين كان واحدا منهم، لأنه كان يرى السلطة دائما على حق، ومات على ذلك. وكان (يوجين) يقول عن أبيه إنه (كان يحترم الدولة، وكنت أحتقرها)، وكان أبوه يتهمه بأنه كان متأثرا باليهود، وكان يوجين يرى (أن يكون المرء متأثرا باليهود خير له من أن يكون أحمق).

كانت أم (يوجين)، في سنة ١٩٢٦، قد حصلت على وظيفة في بنك الدولة الرومانية، ولما طردت زوجة الأب (ماريلينا) أخته انتقلت للعيش مع أمها، كما أن (يوجين) لم يعد، في تلك السنة، يحتمل فقدان محبة والده وازدراءه، ولا تصرفات زوجته ومضايقاتها، فغادر بيت والده بعد شجار عنيف معه، ليعيش أيضا في كنف أمه، إلا أنه كان يحصل على مصاريفه من والده بشكل مستمر. عملت الابنة بعد الثانوية ضاربة آلة كاتبة في البنك الذي تعمل فيه الأم، وتزوجت مرتين وقضت بقية حياتها في رومانيا ولم تتجب، وكانت علاقتها بأخيها شبه منقطعة بعد استقراره مع زوجته في فرنسا. ولم يكن (يوجين) لينسى طوال عمره المعاملة السيئة والقاسية التي كان والده يعامل بها أمه حين كانت معه، كما لم ينس ألوان الشتائم التي كان يكيلها لها، ولا

طلاقها من غير سببٍ وجيهٍ والزواج عليها .

وبدأ سنة ١٩٢٨ بدراسة اللغة والأدب الفرنسيين في جامعة (بوخارست)، وتعرف فيها على (إيميل سيوران) (١٩٩٥) E. Cioran، الذي أصبح كاتباً باللغة الفرنسية، وعلى (مرسيا إيليا) (١٩٨٦) Mercea Eliade الذي أصبح بدوره روائياً رومانيا ومؤرخ أديان، وعلى طالبة في الفلسفة والقانون تدعى (رودিকা بوريليانو) Rodica Burileanu، التي أصبحت زوجة له سنة ١٩٢٦ . وكانت من أسرة رومانية متفجرة، وقد توفيت والدته بجلطة دماغية بعد ثلاثة أشهر من زواجه .

كان في هذه الفترة يكتب أشعاراً، ومقالات نقدية وقصصاً بالرومانية. وبعد تخرجه في الجامعة، راح يعلم الفرنسية في عدد من المدارس. وقد نشر سنة ١٩٢٤ بالرومانية - وهذا ما يفسر لنا تمرده على الواقع فيما بعد - كتاباً يحتوي على مجموعة من المقالات النقدية اللاذعة القائمة على التهكم بالقيم السائدة في الأدب الروماني بعنوان (Nu) بالرومانية، أي (لا)، فأحدث الكتاب، بأثره المدمر والهدام، ضجة كبيرة في عالم الأدب في رومانيا، ونال عليه جائزة مطبوعات المؤسسة الملكية فيها آنذاك.

وفي سنة ١٩٢٨، تلقى من المعهد الفرنسي في (بوخارست) منحة دراسية لتحضير درجة الدكتوراه في الأدب، بعنوان (الخطيئة والموت في الشعر الحديث منذ بودلير) <sup>(١)</sup>. فأتاح له هذه المنحة التخلص من الجو الخانق في رومانيا القومية التي كان يعاني منها، ومن باريس كان يبعث إلى بعض المجلات الرومانية بأخبار الأدب في العاصمة الفرنسية.

عاد (يوجين) وزوجته من باريس إثر هزيمة فرنسا في الحرب مع ألمانيا

---

(١) غير أنه لم يتم هذا المشروع ولم يحصل على الدكتوراه بسبب الظروف التي ألمت بفرنسا من جراء الاحتلال الألماني النازي لباريس سنة ١٩٤٠.





النازية سنة ١٩٤٠، لأنه كان يعد من الرعايا الرومان الذين تحالفت دولتهم الفاشية مع ألمانيا النازية. ولكنه حصل سنة ١٩٤٢ - بمسعى من والده - على وظيفة ملحق صحافي أو ثقافي في سفارة رومانيا لدى (نظام فيشي) (١٩٤٠-١٩٤٤) Vichy بقيادة المارشال (بيتان) (م ١٩٥١) Pétain، فأقام (يوجين) مع زوجته أولا في (مرسيليا)، ومن ثم انتقل إلى (باريس) بعد تحريرها سنة ١٩٤٤، وأقام بعد ذلك إقامة دائمة في فرنسا، وأنجبا ابنتهما الوحيدة (ماري-فرانس) Marie-France سنة ١٩٤٤. لم يرَ (يوجين) أباه، الذي توفي سنة ١٩٤٨، منذ رحيله النهائي إلى فرنسا مع زوجته سنة ١٩٤٢، ولم يحصل على شيء من ميراثه. وقد حصل على الجنسية الفرنسية سنة ١٩٥٠. وكان قد تعرّض في باريس لضائقة مالية شديدة دفعته إلى أن يعمل مصححا لغويا في بعض دور النشر، وبقي يعمل في هذا المجال إلى سنة ١٩٥٥. إلى أن بدأت شهرته وأعماله المسرحية وكتابات النقدية ودراساته وترجماته تُدرّ عليه ما يعيش به من أموال.

## ٢- رحلته مع الكتابة للمسرح

يروى أنه بدأ بكتابة بعض القصائد الشعرية البسيطة وهو في سن الثالثة عشرة، كما أنه كتب في المرحلة الجامعية الأولى بعض الأشعار والقصص والمقالات النقدية اللاذعة في الصحف والمجلات الرومانية، هي تلك التي نشرها في كتابه المذكور آنفا. ومربنا أنه كان يرسل وهو طالب دكتوراه في باريس بعض الصحف الرومانية ويزودها بأخبار الأدب والأنشطة الثقافية فيها. وكان شديد الولع بالمطالعة للأعمال الأدبية والفلسفية والتاريخية. وقد ترجم إلى الفرنسية، ما بين سنتي ١٩٤٥ و١٩٤٩، أعمال الشاعر الروماني (أورموز) Urmoz (١٨٨٢-١٩٢٣)، الذي يذكر بعضهم أنه كان رائدا لحركتي السورالية واللامعقول، كما قام بترجمة أعمال أدبية أخرى مختلفة من الرومانية إلى الفرنسية أيضا. ويعترف أنه عزم على تعلم اللغة الإنكليزية سنة ١٩٤٧، فوقع بين يديه كتاب تمارين بعنوان (الإنكليزية بلا مشقة)



*l'anglais sans peine*، وهو من منشورات (أَسِيمِيل) Assimil، التي تُصدر في باريس سلسلة لتعلم عدد من اللغات الأوروبية<sup>(١)</sup>، فألهمه حوارٌ فيه بالغ البساطة - كما وصفه د. محمد مندور<sup>(٢)</sup> - بين زوج وزوجته فكرة أولى مسرحياته بعنوان (المغنية الصلحاء) *La Cantatrice chauve*، وكان تحته - كما ذكرنا من قبل - عنوان فرعي هو (مسرحية مضادة - *anti-pièce*)، وكان قد بدأ بكتابتها سنة ١٩٤٩، ونشرت سنة ١٩٥٠، وعُرضت في مسرح الـ (نوكتامبول) *Les Noctambules* الصغير بباريس، ومعناه مسرح الـ (سَهَارَى) في السنة نفسها. فكانت أول عمل طبقت فيه كل أصول مسرح اللامعقول وتقاليده الجديدة، ولقي استقبالا فاترا في البداية من الجمهور، إلا أنه أثار اهتماما لدى النقاد المسرحيين، ولم تلبث عروضه أن شهدت إقبالا جيدا بعد ذلك، لأن الناس أحبوا أن يكتشفوا ما في هذا المسرح من جديد، وأخذت أذواقهم تتسجم معه.

وتوالت من ثم أعماله المسرحية ونجاحاته، وأخذت شهرته تتوسع، وبدأت هذه الأعمال تترجم إلى عدد كبير من اللغات الأجنبية، ومنها العربية. ودخل في مناقشة حادة في لندن مع الناقد الإنكليزي (كِنْت تينان) *kenneth Tynan* في مجلة الـ (أوبزرفر) *The Observer* سنة ١٩٥٨ ودافع بحماسة عن مسرحه ورؤيته. كما اشترك، سنة ١٩٥٩، في ندوة (هلسنكي) حول مسرح (الطليعة)، وألقى محاضرة قيمة في الموضوع.

وقد حصد (يونسكو) عددا كبيرا من الجوائز الصغيرة والكبيرة تقديرا لإبداعاته في مجال المسرح، نذكر منها مثلا: منحه وسام (فارس الفنون والآداب) سنة ١٩٦١، ومنح في سنة ١٩٦٦ (الجائزة الكبرى لمسرح جمعية

(١) ومن محاسن المصادفات أنني وجدت في مكتبي نسخة قديمة من هذا الكتاب نفسه لتعلم الإنكليزية وبلا تاريخ.

(٢) انظر تقديمه لمسرحية (أميديه) *Amédée* لـ (يونسكو) من ترجمة (دولت محمد حسن)، العدد ٦٨ من سلسلة (روائع المسرح العالمي) الصادرة عن المؤسسة المصرية العامة بمصر، ص ١٤.





المؤلفين) عن مجمل أعماله، و(جائزة بريغاديه) Prix du Brigadier عن مسرحيته (الجوع والعطش) في مسرح (الكوميدي-فرانسيز). وفي سنة ١٩٦٩ نال (الجائزة الأدبية للأمير بيير prince Pierre في موناكو) و(ميدالية موناكو). كما تلقى فيها (الجائزة الوطنية الكبرى للمسرح). وحاز وسام جوقة الشرف برتبة ضابط، ووسام الاستحقاق برتبة قائد. كما حاز وسام الفنون والآداب أيضا. وحصل في (شيكاغو) على جائزة (ت. س. إيليوت-إنجرسول) T. S. Eliot-Ingersoll.

وتم تتويج نجاحات (يونسكو) الباهرة وتقدير إبداعاته المختلفة بأن انتخب، يوم ٢٢ فبراير (شباط) من سنة ١٩٧٠، عضوا في أعلى هيئة ثقافية وعلمية فرنسية هي (الأكاديمية الفرنسية) L'Académie française، التي تتكون، منذ أن أنشأها الكاردينال المستير (ريشليو) (Richelieu)، سنة ١٦٣٥، زمن الملك لويس الرابع عشر، من أربعين عضوا فقط، نظرا لما يقدمه الأعضاء من إضافات قيمة في مختلف المجالات تدفع بالمجتمع الفرنسي إلى الرقي والازدهار. وتم استقباله في حفل مهيب في الأكاديمية بكامل هيئتها وحضور كبار الشخصيات في المجتمع يوم ٢٥ فبراير (شباط) من سنة ١٩٧١، فألقى خطابا مهما عن سلفه في المقعد ذي الرقم ٦، الراحل (جان بولان) (١٩٦٨م) J. Paulhan، وكان كاتباً ورئيس تحرير (المجلة الفرنسية الجديدة) وناشرا، كما أثنى على الأكاديمية وإنجازاتها. ورد عليه (جان ديليه) (١٩٨٧م) Delay J. وهو كاتب فرنسي وطبيب للأمراض النفسية والعصبية، مرحباً به بين الأعضاء.

كان (يونسكو) أحد الكتاب النادرين الذين أصبحت مؤلفاتهم في حياته كلاسيكية، أي تقرأ على أنها أساس من أسس الثقافة التي لا يجوز تجاوزها أو عدم الاطلاع عليها. وكان طيلة حياته مناضلا ضد الفاشية والنازية والأنظمة الشمولية المستبدة في بلاده (رومانيا) وفي كل من إيطاليا وألمانيا والاتحاد السوفيتي وغيرها، وكان ضد انتهاكات حقوق الإنسان،



وخاصة في ظل حكم الدكتاتور (تشاوشيسكو) لرومانيا إلى أن تم القبض عليه وإعدامه وإسقاط نظامه الشيوعي سنة ١٩٨٩ .

### ٣- أهم أعمال (يونسكو) المسرحية

كان (يونسكو) غزير الإنتاج جدا، وهذه قائمة بأهم مسرحياته التي نشرها في حياته، أما دراساته وبحوثه التنظيرية لمسرح اللامعقول فهي كثيرة أيضا لا مجال لحصرها هنا، وقد ترجمت الغالبية العظمى من أعماله المختلفة - وأخص بالذكر المسرحيات منها - إلى عدد كبير من لغات العالم الحية، ومنها العربية، وكان للدكتور حمادة إبراهيم النصيب الأكبر من ترجمة هذه المسرحيات إليها، حتى ليكاد يكون مختصا بترجمتها، كما يلاحظ أن بعض هذه المسرحيات قد ترجم إلى العربية أكثر من مرة أيضا:

- |                                         |                                     |
|-----------------------------------------|-------------------------------------|
| 1- La Cantatrice chauve                 | ١- المغنية الصلعاء (١٩٥٠)           |
| 2- Les Salutations                      | ٢- التحيات (١٩٥٠)                   |
| 3- La Leçon                             | ٣- الدرس (١٩٥١)                     |
| 4- Le Salon de l'automobile             | ٤- معرض السيارات (١٩٥١)             |
| 5- Les Chaises                          | ٥- الكراسي (١٩٥٢)                   |
| 6- Le Maître                            | ٦- المعلم (١٩٥٣)                    |
| 7- Victimes du devoir                   | ٧- ضحايا الواجب (١٩٥٣)              |
| 8- La Jeune fille à marier              | ٨- فتاة للزواج (١٩٥٣)               |
| 9- Amédée (ou Comment s'en débarrasser) | ٩- آميديه (أو كيف نتخلص منه) (١٩٥٤) |
| 10- Jacques (ou La Soumission)          | ١٠- جاك (أو الخضوع) (١٩٥٥)          |
| 11- Le Nouveau Locataire                | ١١- المستأجر الجديد (١٩٥٥)          |





- 12- Le Tableau ١٢- اللوحة (١٩٥٥)
- 13- L'Impromptu de l'Alma ١٣- مُرْتَجَلَةُ أَلْمَا (١٩٥٦)
- 14- Scène à quatre ١٤- مشاجرة رباعية (١٩٥٩)
- 15- Rhinocéros ١٥- الخِرْتِيت (أو الخراتيت) (١٩٥٩)
- 16- Tueur sans gages ١٦- قاتل بلا أجر (١٩٥٩)
- 17- L'Œuf dur ١٧- البيضة المسلوقة (١٩٦١)
- 18- Délire à deux ١٨- تخريف بين اثنين (١٩٦٢)
- 19- L'Avenir est dans les œufs ١٩- المستقبل في البيض (١٩٦٢)
- 20- Le Roi se meurt ٢٠- الملك يموت (١٩٦٢)
- 21- La Photo du colonel ٢١- صورة الكولونيل (١٩٦٢)
- 22- Le Piéton de l'air ٢٢- السائر في الهواء (١٩٦٣)
- 23- Exercice de conversation et de diction française pour les étudiants américains ٢٣- تدريبات في المحادثة والإلقاء باللغة الفرنسية للطلبة الأمريكيين (١٩٦٤)
- 24- La Soif et la faim ٢٤- العطش والجوع (١٩٦٤)
- 25- La Lacune ٢٥- الثغرة (١٩٦٦)
- 26- Jeux de massacre ٢٦- فنون القتل (١٩٧٠)
- 27- Macbett ٢٧- ماكبت (١٩٧٢)
- 28- Ce formidable Bordel ٢٨- هذا الماخور الرهيب (١٩٧٣)
- 29- L'homme aux valises ٢٩- الرجل ذو الحقائب (١٩٧٥)
- 30- voyage chez les morts ٣٠- رحلة إلى عالم الموتى (١٩٨١)
- 31- La Vase ٣١- الوحل (..)



وقد عدّ بعضهم نصوصاً غير مسرحية - ربما سهواً - بين هذه المسرحيات، ولكننا حين تفحصناها وجدنا بعضها (سيناريوهات قصيرة)، وبعضها (رسائل)، ومن أبرز هذه النصوص: (تعلم المشي) (١٩٦٠) *Apprendre à marcher*، و(الغضب) (١٩٦٢) *La Colère*، و(لتحضير بيضة مسلوقة) (١٩٦٥) *Pour préparer un œuf dur*، و(فتى للزواج) (١٩٦٥) *Le Jeune homme à marier*، وهي نصوص قصيرة جداً تقع ما بين ٦ صفحات و ٢٠ صفحة.





(٢)

## نظرات تحليلية في مسرحيتي (يونسكو) (الرجل ذو الحقائق) و(رحلة إلى عالم الموتى)

### ١- البناء الفني للنصين

كانت هاتان المسرحيتان آخر مسرحيتين تأليفًا في حياة (يونسكو)، وتكادان تكونان خاتمتي مسيرته المسرحية: فقد أصدر الأولى <sup>(١)</sup> في دار (غاليمار) Gallimard الشهيرة بباريس سنة ١٩٧٥، كما أصدر الثانية في الدار نفسها سنة ١٩٨١، وكان قد أصبح عضواً في (الأكاديمية الفرنسية) منذ مطلع السبعينيات. ومن الطبيعي أن تحمل المسرحيتان سمات مسرحه الفنية في أنضج أشكالها. ويمكن تتبع بنائهما الفني من خلال النقاط التالية:

### ١- تحطيم وحدة الموضوع

إن قارئ النصين سوف يدرك من خلال قراءتهما أن كلا منهما تخلو من تناول موضوع واحد محدّد، ويشهد أمامه مجموعة كبيرة من المواضيع والأفكار التي ليس بينها روابط منطقية مطّردة يمكن تتبّع خيطها من البداية، إلى العقدة، إلى الحل والختام في نهاية المطاف. يجد المرء نفسه أمام فسيفساء من الأفكار والإيحاءات بموضوعات أشبه ما تكون بومضات ضوئية تلمع هنا وهناك وتتطفئ بسرعة من غير إطالة الوقوف عند واحدة منها أو التعمق في معرفتها، حتى إن القارئ ليكاد يشعر بشيء من الدوار

(١) سوف نستعمل هنا صفة (الأولى) للدلالة على مسرحية (الرجل ذو الحقائق)، وصفة (الثانية) للدلالة على مسرحية (رحلة إلى عالم الموتى) للاختصار.

المعرفي وهو يقرأ صفحات هذين النصين، إنه يقرأ رؤوس أقلام تمر أمامه كشريط من المشاهد الفوضوية والمختلط بعضها ببعض إلى حد بعيد. إن النص المسرحي عند (يونسكو) يبدو لنا نصا مفتوحا وهلاميا ليس له بداية ولا نهاية.

كانت المسرحية الأولى تدور حول شخص يحمل حقيبتين وينتظر في محطة قدوم قطار أو يريد الذهاب إلى فندق في باريس، ثم نجده في أماكن أخرى كثيرة، ويمر على حدود بعض البلدان، ويجد مضايقات في كل مكان، ويذهب في بعض البلدان (وهو بلده الأصلي رومانيا) إلى قنصلية بلاده، ويشاهد اشتباكات حربية فيها. وهكذا تتداخل الأفكار والأماكن والأزمنة في استعراض بانورامي رهيب يجعل القارئ أو مشاهد المسرحية يصاب بدوار معرفي حقيقي لكثرة المشاهد والمواقف التي تمر به، ليتبين في نهاية المطاف أنه يشاهد حلما أو أضغاث أحلام مفككة لا تخضع لا للعقل ولا للمنطق ولا حتى لقوانين الطبيعة. وتكشف زوجته كل ذلك حين تقول له: (أنت تستيقظ من وقت لآخر في هذه الحياة التي لم يكن لك فيها غير النوم طوال الوقت). فيجيبها: (أستيقظ في الحلم.. لن أنام بعد الآن وأنا أحلم)، وبهذا يتم اختتام المسرحية، وكأن الحلم عند (يونسكو) هو الحقيقة وهو الواقع، والواقع في اليقظة هو الحلم والوهم. ولما كان كل ما ورد في المسرحية حلما فمن الصعب الاعتراض عليه، لأن هذه هي طبيعة الأحلام.

### ب- تحطيم وحدة المكان

ويشهد المرء تحطيم وحدة المكان في النصين من خلال تداخل الأمكنة وتداخل المواقع الجغرافية المعروفة في خريطة البلاد أو في تخطيط المدن. كما أن خشبة المسرح تتحول باستمرار، وبوتيرة سريعة ومطرودة





من مكان إلى آخر، فيمر أمام المشاهد أو القارئ عدد كبير من الأماكن: ففي النص الأول نجد - منذ المشهد الأول - رجلاً يحمل حقيبتين من أول المسرحية إلى آخرها، ونجده مرة ينتظر في محطة قطار أو (مترو)، ثم يتبين أنه على أحد المرافئ النهرية كما هو الشأن على ضفاف نهر السين، فيذكر صاحب القارب بفيضان هذا النهر سنة ١٩١٠، وغرق باريس بالمياه، ويعلق ذو الحقائق بالقول: إن البندقية أصبحت في باريس، فيرد صاحب القارب: كما أن لدينا باريس في البندقية. وهذه إشارة إلى تداخل الأماكن. ونجد في المشهد الثاني المسرحية الأولى عجزاً عن تقدير المسافات لدى الشخصيات، إضافة عن فقدان الإحساس بالاتجاهات، وهذا الأمر يتعلق بمحاولة الكاتب تصوير الإنسان المعاصر بعد الحريين العالميتين بأنه إنسان ضائع أو مضيع لا يملك أي إحساس بوجوده. وبدلاً من أن يذهب ذو الحقائق إلى الفندق بالقارب يجد نفسه مع شاب وامرأة في بيت جده الذي ولد وترى فيه مع جدته لأمه. وهو لا يتذكر إن كانت أمه ماتت أم لا تزال حية عند جدته، فشخصيات المسرحية لا تذكر شيئاً يقينيا، وهذا يؤكد فكرة ضياع الإنسان المعاصر من خلال عجزه عن تذكر الأشخاص أو الأماكن أو الأحداث. إن الأماكن في النص الأول تتغير بلا توقف، وتنتقل بنا شخصية ذي الحقائق عبر البلدان. وعندما يفقد ذو الحقائق حقيقته الثالثة يتقدم إليه شاب ويقول له إن حقيقته في (ليون) (فإن كان يريد القيام برحلة بحرية فلا بد أن يبدأ السفر من باريس). فيرد عليه أنه في باريس: (لا توجد محطات بحرية). ثم يقول لنفسه: (هل هناك محطة بحرية أم لا ؟ لا أستطيع أن أتذكر، لا أستطيع). ومرة يكون ذو الحقائق واقفاً في محطة قطار، فيقول له الموظف: (ممنوع البقاء هنا، ومن يخالف يكون عقابه الموت.. إنه قانون عدم الإقامة). إن القانون يتدخل في حرية الإنسان في الوقوف أو الإقامة في أماكن معينة، حتى وإن كانت للعموم، مما يحد من قدرة الإنسان على الحركة.



### ج- تحطيم وحدة الزمان:

يلاحظ المرء أن الأزمنة تتحول وتتغير وتتداخل باستمرار، فيدخل الماضي في الحاضر ويضارعه، ولذا نجد في المشهد الرابع من النص الأول امرأة عجوزا على كرسي متحرك تتادي شابة بـ (أمي) وتطلب منها أن تحضر لها الشكولاتة وأن تصطحبها إلى المدرسة، والشابة تتادي العجوز بـ (يا ابنتي الصغيرة حبيبتي)، وهذا من تأثير التيار السوريالي وطرق الأفكار غير المعقولة. وفي المشهد الخامس يلتقي مصادفة بجديه لأمه، ثم يغادر الجد، فتقول جدته: (ذهب يختبئ كي يموت). فيقول ذو الحقائق: (كنت أظن أن الأمر قد حدث.. لقد كنت حاضرا احتضاره). ونجده يسأل جدته في الموقف نفسه سؤالا غير معقول: (وأنت يا جدتي، هل أنت ميتة أم أنك على قيد الحياة؟) <sup>(١)</sup>... وهنا تتصب الجدة.

وتخلع ثيابها، وتظهر بثوب أبيض في عز شبابها. إن تداخل الأزمنة واضح في تفاصيل الأحداث، أما زمن المسرحية العام الذي يمثل إطارها الأرسطي فغير موجود أصلا. الزمان هنا مبعثر ومفتت ومتناثر.

وفي المشهد السادس من النص الأول تحضر إلى ذي الحقائق امرأة عجوز برفقة شاب وشابة، فتقول له: (ظننت دائما أنني أمك.. أنا زوجتك).

فيقول لها: (إن لم تكوني أمي فأين أمي؟)، فتخبره أنها ماتت. وتشير إلى الشابين، وتخبره أنهما ابناها، فيقول: (وهذه الصغيرة تركتها منذ عشر سنوات.. ألم تكبر؟)، ثم تقول له: (أبوك أيضا مات).

(١) يذكرنا هذا السؤال بأحد أسئلة (شن) - في المثل الشهير (وافق شن طبقة - لرافقه في الطريق، وقد رأى جنازة رجل محمولة على الأكتاف: هل هذا الرجل ميت أم حي؟ فاستغرب مرافقه ذلك قائلا: ترى رجلا ميتا يحمله الناس إلى مثواه الأخير وتسال إن كان حيا أم ميتا؟ وشك في قواه العقلية. على أن سؤال (شن) كان مبنيا على ذكاء ويرمي إلى هدف، أما سؤال ذي الحقائق هنا، فيدل على فقدان الإنسان المعاصر توازنه وقدرته على الوعي والإلمام.





فيقول: (بالأمس رأيت.. بالأمس.. وتشاجرنا). ثم يقول للعجوز: (هل أنت ميتة؟ هل أنت على قيد الحياة؟.. هل مت أثناء غيابي؟.. ربما يكون أنا من مات بدلا من أبي). وبعد قليل يدخل رجل فيناديه ذو الحقائق: (أبي.. أهو أنت، ما زلت تتعل حذاءك الفليظ؟). لا شك في أن هذا الحوار غير معقول، وفيه تداخل للأزمنة والوقائع، ولا يكون إلا في أضغاث الأحلام.

وفي المشهد السابع يوقفه شرطي ببندقية ويسأله عن كلمة السر، وكأنه في منطقة عسكرية، ثم يطلب إليه أن يجيب عن أسئلة أبي الهول، ويخرج ثم يعود بصورة أبي الهول ويسأل أسئلة غريبة كأنها لحل كلمات متقاطعة، يقول: (تشكل طرودا غير مسجلة). فيجيب ذو الحقائق: (القذائف...)، ومع نهاية الأسئلة يُرسّبه ويرفض منحه (تصريحا) بالإقامة.

#### د- استلهام الأحلام:

في الحقيقة كانت مسرحيات (يونسكو)، وما فيها من أحداث وحوارات غير معقولة، وما يُلَمَس فيها من أزمنة وأمكنة متداخلة، أشبه بالأحلام وأضغاثها التي يراها النائم أو أشياء من هذا القبيل، ويمكننا أن نقول مطمئنين إن (يونسكو) ربما كان يدون أحلامه، ثم يستغلها فعلا في تأليف مسرحياته على نطاق واسع، وهذه هي السمة المشتركة بين كل مسرحياته تقريبا، وهذا ما يجعل لغزها ويفسّر انتفاء الموضوع الواحد فيها، لأن من أبرز سمات الأحلام التقطع والتبعثر والتداخل. وربما ما كان يصيب القارئ أو المشاهد من دوار معرفي أو صدمات حين كان يتابع ذلك ناجم من هذه الحقيقة، بل يمكننا القول إن مسرحياته، ومنها (الرجل ذو الحقائق) و(رحلة إلى عالم الموتى)، إنما هي أحلام مجسّدة على خشبة المسرح أمام الجمهور. وبرهان ذلك كله تصريحٌ بسيط صدر عنه في كتابه (ملاحظات وملاحظات مضادة) (نشر سنة ١٩٦٢) Notes et contre-notes، وهو



كتاب ساق فيه انتقاد النقاد لمسرحه وردوده عليهم فيها، ذكر فيه أنه كان يستمد في مسرحياته صورا من أحلامه أو من بعض الوقائع التي كان يراها فيها. ولذا يمكننا بشيء من الجرأة أن نسمي هذا النوع من المسرح تسمية أدق تعبيرا من كل التسميات التي تعاور النقاد على تسميته بها حتى اليوم، وهي أنه (مسرح الأحلام).

#### هـ - اتباعه تقنية تحول الشخصيات:

نلاحظ - من خلال قراءة مسرحيتي (يونسكو) الراهنتين أنه اتَّبَعَ تقنية مهمة في عرض شخصيات مسرحياته، وهي أن تلعب الشخصية الواحدة أكثر من دور في المشهد الواحد، وفي المشاهد التالية، وذلك عن طريق التحول في اللباس والهيئة والشكل والاسم والوظيفة أو المهنة، وفي مساحة زمنية قصيرة تتمثل في زمن المشهد، أو في مساحة المسرحية كاملة. فالشخصيات الثماني في مسرحية (الرجل ذو الحقائق) تقوم بعدد من الأدوار لشخصيات تفوق عددها بكثير: فعلى سبيل المثال، حين يجتمع ذو الحقائق بقنصل بلاده، في المشهد ١٣، للحصول على جواز وتأشيرة وعنده سكرتيرته، يتحول القنصل بعد مدة وجيزة إلى طبيب، والسكرتيرة إلى ممرضة عنده.

#### و- التقسيم الجديد للنص:

كان قدماء اليونان يوزعون المسرحية، وفي تداخل وتناوب تام، بين الممثلين والجوقة التي تتشد تعليقاتها في مشهد واحد فقط، ولعل ذلك يعود إلى ضعف الإمكانيات التقنية لتغيير الديكور عند القدماء. ثم شهدت المسرحيات منذ عصر الانبعاث الأوروبي خروجاً نسبياً عن هذا التقليد، فأصبحت المسرحية تُقسَّم إلى فصول، والفصول إلى مشاهد أو مناظر،





يختلف بعضها عن بعض بنسب معينة. وكانت الحالة المثالية للتقسيم ما بين ثلاثة فصول إلى خمسة، وهذا ما دفع الملل عن المشاهد الذي لا يرى سوى مشهد واحد، غير أننا بالبحث عن طبيعة تقسيم المسرحية عند (يونسكو)، نجد أنه يكتفي بديكور وحيد من أول المسرحيات القصيرة إلى آخرها، وهي التي تقابل المسرحية ذات الفصل الواحد. ونجده في المسرحية الأولى الراهنة يقسمها إلى (مشاهد) فقط بلغت تسعة عشر مشهداً، وكل هذه المشاهد تجري على منصة ثابتة الديكور، ولا يتغير فيها سوى بعض التفاصيل الصغيرة الموحية بالمكان الجديد، وكانت الأماكن ضمن إطار الديكور الثابت كثيرة ومتداخلة. ونجده في المسرحية الثانية يقسمها إلى (ديكورات) فقط، وقد بلغت اثني عشر ديكوراً يختلف كل منها عن غيره حسب المكان.

## ٢- جذور اللامعقول في حياة (يونسكو)

تقوم التجارب الشخصية والظروف، التي تحيط بالمرء عادة، بتكوين بعض المبادئ والتصورات والفلسفات بشأن الحياة، فيعبر الشعراء والفنانون والكتاب - على اختلاف نزعاتهم ووسائل تعبيرهم عنها - في أعمالهم أو آثارهم: فما الذي أدى بـ (يونسكو) إلى اعتماد اللامعقول سبيلاً إلى تعبيره الأدبي في شكله المسرحي؟

لا شك عندي أن الجذور النفسية والعقلية التي دفعته إلى هذا الاتجاه كانت ثلاثة على وجه التحديد:

الجذر الأول - يتمثل في أحداث الفترة التاريخية التي تكوّن فيها وعيه ولاوعيه على حدّ سواء، وأعني بها فترة الحرب العالمية الأولى وما رافقها من تدمير لقيم المجتمعات البشرية وأخلاقياتها وإنجازاتها الحضارية في



ميادين الأديان والقوانين والفنون والعمران، وكان الانحدار إلى مستوى الغرائز الأصلية القديمة والتوحش هو الذي ساد خلالها، ولم ترأغ نتيجة ذلك أي حرمة من الحرمات، بل ارتكبت فيها كل أنواع الموبقات، وكل هذا أدى إلى انهيار إمبراطوريات (كالقيصرية الروسية، والعثمانية، والألمانية، والنمساوية الهنغارية..) وقيام إمبراطوريات جديدة (كالاتحاد السوفييتي) والكيانات القومية أو شبه القومية في أوربا، إضافة إلى تعزيز مكانة الدول الكبرى المنتصرة (كبريطانيا العظمى، وفرنسا، والولايات المتحدة..)، ثم تلت ذلك كله الحرب العالمية الثانية التي كانت ويلاتها كارثية مزقت الأمم والأسر وضيقّت على الناس حياتهم، وأدت إلى مقتل نحو ٥٠ مليون نسمة من البشر، وإعاقة عشرات الملايين، وتشرد ملايين أخرى، فاختلفت موازين العقل الأوربي، وتزعزعت كل القيم والمبادئ والأخلاق، وكفر الناس بكل إنجازات العقل والحضارة والشرائع والقوانين، أو اهتزت ثقتهم بإنسانية الإنسان، لأنهم شهدوا أعمالاً عبثية لم يكونا يتصورونها أو تخطر لهم على بال. وقد شهدوا أيضاً نتائج خطيرة وجذرية أخرى بعد هذه الحرب، وكان هذا على المستوى العام.

**الجذر الثاني - أحداث الأسرة المفككة ووقائعه التي كانت بين أفرادها وخاصة الركيّزتين الأساسيتين لأسرة (يونسكو): الأب والأم، مشاحنات ومباغضات لها أول وليس لها آخر، وكلّ كل ذلك بالطلاق بين أبويه. وهذا ما أدى إلى الصدمة العاطفية في نفس (يونسكو) الذي تلقى في المدارس، وفي الكنيسة، والمجتمع، مجموعة من القيم التي تصور الأسرة تصويراً مثالياً، غير أن هذه الصورة تحطمت وتكسرت على صخرة الواقع والحقيقة، وقد انعكست آثار ذلك على صفحات الأعمال الأدبية التي أنتجها في حياته.**





وبمقارنة بسيطة بين بعض حوادث المسرحيتين الراهنتين - وما جاء في أكثر مسرحياته الأخرى - وبين حوادث أسرية خاصة وحقيقية مربها المؤلف، وتحدث عنها في لقاءاته الإذاعية والتلفزية والصحافية، وفيما كتب هنا أو هناك من يوميات أو مقالات، فس نجد تطابقا كبيرا فيها من ناحية الوقائع، والحوارات، وأنواع الشكوى، وقد ذكر بعض النقاد، على سبيل المثال، أن مسرحيته (ضحايا الواجب)، التي نشرت سنة ١٩٥٣، كانت (إحدى مسرحياته الأقرب إلى سيرته الذاتية)، ويمكن أن توحى إلينا مسرحيته (أميديه) أيضا بالعلاقة الفاترة التي كانت قائمة بين أبيه وأمه، ويمكن أن تمثل الجثة التي يتزايد حجمها ذلك الخلاف الذي تنامي بينهما إلى أن بلغ حد الطلاق. ولعل أبرز ما كان يلاحق (يونسكو) ويقض مضجعه من تلك الوقائع:

١- العلاقة السيئة بينه وبين والده رجل القضاء أو القانون بسبب اختلافهما على طبيعة المستقبل الذي كان يرغب فيه الأب، ويرفضه الابن (دراسة الهندسة)، وكان يستهوي الابن ويرفضه الأب (دراسة الأدب)، وكان الشجار بينهما حول ذلك دائما، وصل أحيانا إلى مصادرة الكتب والكراريس أو إتلافها. تقول امرأة عجوز لـ (ذي الحقائق): (أبوك أيضا مات) فيقول: (بالأمس رأيته بالأمس.. وتشاجرنا). وكلمة تشاجرنا تكشف واقعة مهمة من وقائع حياة (يونسكو) الواقعية. وفي الديكور ٢، من (رحلة إلى عالم الموتى) يقول الأب عن ابنه (جان): (لكنه في النهاية استطاع الحصول على كل شهاداته، كنت أرغب أن أصنع منه مهندسا، لكنه لم يطعني أبدا، كان دائما ضدي، ياله من جيل دائما ما يكيل الاتهامات، لم يفهمني أبدا، كان يمقت أصدقائي وعائلتي الجديدة)، وهنا يتضح التطابق التام، وبكل دقة، بين هذا المقطع ووقائع حياة (يونسكو) مع أبيه. ومثل ذلك ما جاء على لسان (جان) في الديكور ٣، حين دخل (جان) إلى غرفة صغيرة، فإذا أبوه جالس على

مقعد وثير، فيقول له: (أنتَ ثانية ! منذ سنوات وأنت تسكن أحلامي: أنت وزوجتك وأمي وأصهارك. لم أحلم بكم منذ سنوات.. عشرات السنوات: ما معنى العودة إليكم الآن ؟ هل سألحق بكم بعد قليل ؟ لم تنتهِ من تصفية حساباتنا ؟ دائماً ما نعود إلى هذه البدايات المخيفة ؟). إن هذا المقطع من الحوار يلخص تلك العلاقات الأسرية المتوترة والمفككة بحذافيرها منقولة عن الواقع الذي عاشه فعلاً: فهل كان (يونسكو) في هذه المسرحية يحاول التنفيس عما يثقل صدره عبر عدة عقود مضت ؟ أم أنه يحاول أن ينتقم من أبيه بهذا البوح الصريح أو الاعتراف المبين، ولاسيما أن نشره لهذا النص كان سنة ١٩٨١ أي أنه آخر عمل مرموق له ؟ وفي إشارة إلى ما حقق (يونسكو) من نجاحات أدبية يضع على لسان والد (جان) قوله: (إلا أنك نجحت، كما يقولون، عشتَ حياة حافلة بعض الشيء، بل حافلة جداً، نلتَ المجد)، وهنا نمسك بالمؤلف متلبساً بسرد شيء يمس سيرة حياته مباشرة. يؤكد ذلك رد (جان) على أبيه بقوله: (إلا أنني عندما أراك أمامي أجد نفسي على الدوام الطفل البائس الذي كنتَ تضطهده، وتضربه.. كنتَ تسبني بسبب أُمِّي التي لم تُسئْ إليك أقلَّ إساءة، والتي هجرتَها)، ثم يتابع قائلاً: (لحسن الحظ أنني استطعتُ الهرب من منزلك، وأنا في السابعة عشرة.. على أنك - في بعض الأحيان - كنتَ تظهر بعض المشاعر الطيبة تجاهي، أو بعض الفخر عندما أنجح في المجتمع.. لا أستطيع أن أزعم أنك أنت أيضاً لم تتجح تحت جنح الظلام: كنتَ الأثير لدى جماعة الماسونيين، والديمقراطيين، واليساريين، واليمينيين، والحكومات النازية، والحرس الحديدي، ثم النظام الشيوعي)، فهل هنالك بعد هذا المقطع من شك في أن (رحلة إلى عالم الموتى) إنما كانت تصفية حسابات أسرية ووضعا للنقاط على الحروف ؟.. لقد ذكر (يونسكو) بدقة السنة التي غادر فيها بيت أبيه، وهو في السابعة عشرة، لأنه مولود سنة ١٩٠٩، وغادر بيت أبيه والتحق ببيت أمه في (بوخارست) سنة ١٩٢٦. لقد كانت رحلة (جان)، أعني رحلة (يونسكو)، إلى عالم الأموات





المتخيلة في قبورهم القائمة بين دور الأحياء وقصورهم وعماراتهم، لكي يحقق لنفسه راحة نفسية قبل أن يرحل عن هذه الدنيا الفانية، وليحقق شعوره بالرضا عن نفسه خلال رحلة حياته.

٢- العلاقة السيئة بين أبيه المستبد وأمه التي كانت تتعرض لأنواع الإهانات والشتائم والإهمال، انتهى بهما إلى الهجر والطلاق. ورد في (رحلة إلى عالم الموتى) الحوار التالي بين (جان)، الذي هو في رأينا (يونسكو) نفسه، وبين أبيه في (الديكور ٢) :

الأب: أنت لا تحقد عليَّ لأسباب سياسية، أنت تحقد عليَّ لأنني طلقْتُ زوجتي.

جان: بل هجرتُها.

في الواقع كان (يونسكو) يحقد على أبيه لانتهازيته السياسية، التي لمسناها آنفاً، ولأنه هجر أمه ثم طلقها، ويحقد عليه أيضاً لكثرة ضغطه عليه ليدرس الهندسة طبقاً لرغبته، لا الأدب وفق رغبة (يونسكو). ثم يقول في السياق نفسه عن أبيه: (لا أستطيع أن أسامحه، ذلك لأنني لا أعرف إن كانت هي قد سامحته). وفي الديكور ١٠، يتحدث (جان) مع زوجة أبيه عن أمه وعيشها بفقر بعد طلاقها، ویتهمها بالإسهام في طلاقها.

٢- علاقة الكراهية المتبادلة بين (يونسكو) وأخته (ماريلينا) من جهة وزوجة أبيهما من جهة أخرى، وهي العلاقة التي انتهت بطرد الابنة من قبلها من بيت أبيها لتلتحق بأمها في (بوخارست)، وانتهت بالابن إلى مفادرة بيت أبيه والانضمام إلى أمه وأخته. وفي الديكور ١٠، تتحدث زوجة الأب عن أخت (جان)، وكيف طردتها من بيت أبيها بصراحة.

٤- حرمان الابن من إرث أبيه بعد موته سنة ١٩٤٨، مع أن الابن كان في ضيق مادي شديد بعد استقراره في باريس. وقد ظهر ذلك في الديكور ١٠ من المسرحية الثانية، حين قالت زوجة الأب لابن زوجها (جان) [الذي هو (يونسكو) نفسه كما قلنا]: (لست على وشك الحصول على الميراث. على أي حال كل شيء أصبح باسمي، أنا من يتحكم في كل شيء: فالبَيْتُ ملكي، والأموال ملكي، أنت أو أختك أو زوجتك لن تحصلوا على أي شيء...).

ويلمس القارئ أثر هذه النقاط، التي تدل على تفكك أسري واضح، في كثير من زوايا المسرحيتين. ولعل المسرحية الثانية أكثر صراحة في تناول هذه الأمور، من خلال حلم طويل يتم بزيارة (جان) لأموات الأهل والأقارب والأصدقاء في قبورهم.

الجزء الثالث - يعود إلى العامل الثقافي والغربة في الوطن البديل، وذلك لأن وطن (يونسكو) الأصلي هو (رومانيا) التي اضطر أن يغادرها لجملة أسباب: منها اضطراب الأوضاع السياسية وتقلبها من ملكية إلى فاشية إلى شيوعية وكراهيته للاستبداد عموماً، ومنها سوء علاقته بأبيه، ومنها حنينه إلى فترة طفولته ومراهقته في فرنسا مع والديه أولاً، ثم مع أمه الفرنسية وحدها، ومنها كون فرنسا منبع العلوم والثقافات والفنون والموضوعات، ومنها ما كان يشعر به من حرية أكبر في التعبير عن الذات والفكر. كما أن شعوره، حتى نيل الجنسية الفرنسية سنة ١٩٥٠، بأنه غريب أو طارئ على البلاد، كان يدعو إلى السعي لتحقيق قانون التمييز والجدارة بين مواطنيها. ويبيّن شيئاً من ذلك في مسرحيته الثانية، حين تسأل زوجة أبيه (جان) في الديكور ١٠: (كيف مرت السنوات التي سبقت الحرب [تقصد العالمية الثانية]؟ وما بعد الحرب؟)، فيقول لها معترفاً بفضل فرنسا عليه: (قبل الحرب - كما تعرفين - كنت مطارداً [أي في رومانيا]، ولحسن الحظ





استطعت الهرب إلى هناك [يعني فرنسا]، في ذلك البلد الذهبي الذي أحسن استقبالي، البلد الذي تبنانا جميعا).

### ٣- بعض أهم القضايا التي لمَّح إليها (يونسكو) في مسرحيته

كانت هنالك مجموعة كبيرة من القضايا أو لنقل بشكل أدق: من الهموم والاهتمامات التي تشغل بال (يونسكو)، إلا أنه لم يقف مسرحيته هاتين، ولا أي مسرحية أخرى من مسرحياته، على معالجة مباشرة وشاملة لأي قضية محددة بنفسها من قضايا المجتمع والإنسان، وإنما كان يلَّمح إلى هذه القضايا تلميحاً ربما كان بعيداً أو سريعاً أكثر من اللزوم على صورة ومضات ولمعات منبّهة أكثر منها وقفات مقصوداً إليها ومطولة، وهذا يتناسب مع فلسفته التي عبّر عنها في جميع مسرحياته، أو صرح عنها في كثير من اللقاءات والتصريحات على اختلافها، ألا وهي أن مهمته فيها أن يطرح الأسئلة على القراء أو المشاهدين، وأن يثير التساؤلات وينبه على المسائل من غير أن يقدم أجوبة، ومن غير أن يبحث لها عن حلول أو يقترح شيئاً منها، ومن غير أن ينتظر منهم ردوداً عليها، في محاولة لتشيط أذهانهم وتنمية وعيهم بشأنها، وهذه هي غاية الأدب الحقيقية فعلاً، بعيداً عن التوجيه المباشر أو الوعظ الفج. وقد تكون القضايا صغيرة وقد تكون كبيرة. ومنها في المسرحية الأولى على سبيل المثال: إدانة الصفوة الحاكمة في الأنظمة المستبدة ووصفها بالغباء - تلوث نهر (السين) بباريس - استمرارية تأثيرات الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ - قضية الكوارث الطبيعية (كالفيضانات) - الخيانة الزوجية - التضحية - الانتحار - تفكك الأسرة - النجاح المادي في الحياة - عزلة الإنسان - البيروقراطية - الروتين - أهمية الأوراق الثبوتية - الحدود بين البلدان - ضياع الإنسان المعاصر - القوانين - الحرية - تقطع علاقات الصداقة والقرابة - تزوير الأقوال

- كيل التهم - قمع المواطن - نسبية الشعور بطوال الزمن أو قصره بين جيلين قديم ومعاصر وبين بلدين متقدم ومتخلف: الأول زمنه بطيء والثاني سريع - المواصلات والاتصالات - عدم استقرار البلدان المتخلفة حيث تُرى المظاهر العسكرية وإطلاق النار في البلاد واشتعال الحرائق - ضعف ذاكرة الإنسان المعاصر وآفة النسيان - تقنين المواد في البلدان المتخلفة - فساد القضاء - تناقض المواقف لدى الإنسان - حقوق الإنسان - عدم غيرة الرجال على نساءهم في العصر الحديث - الحرب الطائفية - إلخ.

يقول ذو الحقائق [وهو المؤلف نفسه فيما يبدو]، مثلاً، وهو يقوم بسياحة إلى بلاده رومانيا في ظل القمع الشيوعي، وقد عانى ما عانى من مضايقات بوصفه مواطناً سابقاً، وشعر بالندم لقدمه إليه: (أعترف بأنني خائف، خائف جداً في هذا البلد الخطر. لو لم أكن سوى سائح.. فإن السياح لا يتهددونهم شيء. لم أنجح أبداً أن أصبح سائحاً حقيقياً: لقد أقيتُ بنفسني في فم الذئب، في مغارة الشيطان، في بطن الحوت، على أبواب الجحيم، في الجحيم نفسها).. ولهذه المذكرات معنيان: الأول هو أنها أسماء الأماكن السياحية في بلده الأصلي، والثاني ما أراد أن يصور فيه جو الإرهاب الذي وجد فيه. وقد نصح مجموعة سائحين ألا يذهبوا إلى هذه الأماكن، وسأل مرشدهم السياحي ألا يأخذهم إليها، فردوا عليه بلسان واحد: (نحن لا نخشى شيئاً...)، ثم عللوا له ذلك بقولهم: (نحمل جوازات سفر مستوفاة.. وتأشيرات.. وسفارتنا.. وتذاكر سفر ذهاباً وإياباً محجوزة بأسمائنا.. وأماكن محجوزة في الطائرة.. وأماكن على الباخرة التي سنكمل عليها رحلتنا.. كل شيء مستوفٍ الشروط...)، فهم محترمون في بلده أكثر منه. غير أن فقدانهم أي حلقة من هذه الحلقات يحطم لهم متعة الرحلة ويعكر صفوها. كان ذو الحقائق واحداً من هذه المجموعة إلا أنه انفصل بالخطأ عنها، وكان بعضهم من جيرانه، إلا أنهم تجاهلوا معرفتهم





به وأنكره. قنصل بلاده الجديدة [فرنسا] يحذره من الجلوس على حقائبه لئلا تتفجر فيه، وكانت (تسمع من بعيد أصوات انفجارات، ودوي رشاشات، كما يرى من وقت لآخر وميض حرائق).. تقدّم له السكرتيرة كرسيا، وهو في غاية الإرهاق، فيجلس عليه ويقول: (كم هذا ممتع لو كان بالإمكان أن نظل جالسين طول العمر حتى نهاية الأزمنة.. إلى الأبد..)، فتد عليه قائلة بخبث ملفوم وتلميح بعيد: (الكراسي ليست خالدة..)، ولقولها هذا معنى بعيد الغور. ويسأله القنصل عن اسم أبيه، فيرد كالتالي: (اسم والدي ؟ اسم والدي ؟ اسمه.. على ما أظن.. لست واثقا.. اسمه.. لا.. حقا لم أعد أتذكر..)، وهذا يلخص الحالة العقلية للإنسان المعاصر، الذي يشكو من عجز ذاكرته عن حفظ أبسط الأشياء في حياته، وكأنه غائب عن الوعي أو مغيب قصدا.. أو أنه بلغ درجة عالية جدا جدا من اللامبالاة.. وحين سأله عن اسم أمه قال: (كان أبي يناديها أحيانا باسم أورسول، وأحيانا أخرى باسم إيليز أو مارييت أو بلانش..). وهذا يؤكد تلك اللامبالاة العالية عنده. ويسأله عن عمره، فلا يعرفه أيضا. وتناول السكرتيرة حبة (أسبيرين)، ثم كأس ماء، فينبهها القنصل على إسرافها في الماء قائلا: (قليلًا من الماء.. تعرفين جيدا أن الماء مقنن..)، فابتلع الحبة بنقطة ماء فقط ويعاني صعوبة في بلعها، وهذه إشارة إلى تضيق الأنظمة الشمولية على المواطن في أبسط الأشياء بحجة ندرتها وشحها، أو دعمها لها، إلخ. وعندما تعقد له محكمة، لأنه تشاجر مع بائعة عجوز رفضت أن تبيعه بعض الخضراوات لتحضير وجبة يحبها، فيفتتح القاضي الجلسة بالقسم التالي: (باسم القيصصر، والمحكمة، وولي العهد)، فيرفض ذو الحقائق أن يقسم بذلك، فترك له حرية أن يقسم بما يؤمن به، فقال: (باسم البرلمان والمؤسسات الدستورية)، في تلميح واضح إلى رغبة المؤلف في أن تسود الديمقراطية ويتوطد الاستقرار والسلام، وأن تحكم القوانين وتفصل بين الناس. ثم تتلو ذلك تلميحات وإشارات أخرى، حين قال للقاضي: (لم



أحضر هنا كمتهم، أنا مَنْ يَتَّهِم: ادَّعت هذه المرأة أنني أقول أشياء سيئة عن بلدها.. وأنا لا أنتقد أي بلد، ولا حتى بلدي)، ولما أيد القاضي حق الأجانب في أن يأكلوا في بلده إن جاعوا، طالب ذو الحقائق القاضي وهيئة المحكمة بأن يحكموا عليها بغرامة كبيرة، وبالسجن مدى الحياة، وبالحجز على بضاعتها لصالحه، وأضاف قائلاً: (وسأ تقاسم البضاعة مع المحكمة الموقرة) في إشارة صريحة إلى فساد القضاء وتلقيه الرشا ليحكم بهواه، لصالح من أعطاه. ثم يتابع قائلاً: (أطالب بـ.. أن تتدخلوا لدى السلطات الإدارية لكي تمنحني تأشيرة خروج، وأن تعيدوا العلاقات الدبلوماسية مع الدولة التي أنتمي إليها، وأطالب بمنحي الميدالية العسكرية). يمر رجل وامرأتان بذى الحقائق، فتتطوع إحداهما بوصف الطريق إلى المدينة التي يقصدها، وحين تصل إلى جسر متداع سيمر من فوقه، تقول: (كان عمي السكير الرسمي للقرية يمر عليه، وهو يترنح، وكان يصيح: يا إلهي، أتوسل إليك، دعني أمر بسلام، ولن أشرب مرة ثانية. لكن عندما يصل إلى الشاطئ الآخر، كان يأخذ في الرقص والغناء صائحا: سأشرب ثانية.. آه آه آه..)، وهنا يلامس (يونسكو) أعماق نفسية الإنسان التي سبق أن ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم حين قال: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرَّتْ بِكُمْ بَرْيَحٌ طَيِّبَةٌ وَفَرَحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (القرآن، سورة يس ١٠/٢٢ - من ٢٣). وهذا التناقض في نفسية الإنسان حسب المصلحة، والنسيان السريع لما يتعهد به، سبب كثير من معاناة البشرية على وجه الأرض. وفي المشهد ١٦ (تسمع أصوات صرخات وطلقات رصاص وأصوات طائرات نفثة وفرقعات). يقول ذو الحقائق في المشهد نفسه حين يرفض الساقى في بار فندق أن يبيعه شرابا: (تريد أن تعتدي على حقوق الإنسان؟ ياله من بلد غريب!..)، وهذه





إشارة إلى اهتمام (يونسكو) بهذا الجانب الإنساني لمنع إهانة الإنسان وحفظ إنسانيته، وعندما يناول ذو الحقائق هذا الساقى بطاقة مسافر تتيح له هذا الحق، يُصِرّ الساقى على رفضه، فيقول له ذو الحقائق: (ولكن في كل البلاد المتحضرة..)، ولا يكمل العبارة، والقصد واضح بأن بلده متخلف عن ركب الحضارة وبكل وضوح. وفي المشهد ١٧ تراقص امرأة ذا الحقائق وتعانقه وتقبله، وهو يشعر بالحرج أمام زوجها إلا أن الأخير يدير ظهره لهما في إشارة إلى عدم مبالاته بذلك. ومن القضايا المهمة في مسرحية (رحلة إلى عالم الموتى) معالجة قضية الحرب الطائفية البغيضة في بلاده رومانيا التي أبرزها من خلال عقد أم (جان = يونسكو) محاكمة للنقيب شقيق ضرتها الذي كان مساهما فيها من قبل السلطات الحاكمة، حين تسأله قائلة: (لماذا قتلت ؟ أطلقت النار على كل أفراد أسرتي ؟)، فأجابها: (لأنهم لم يكونوا من طائفتي.. وقد صدر لي الأمر بقتل كل من لا ينتمي لطائفتي. كانوا يحترموني، ويحيونني، ويمنحونني الأوسمة.. كنتُ فخورا بما أفعل. نعم، كان القضاء على كل من لا ينتمي إلى طائفتي ضروريا كي تعيش طائفتي.. كنتُ أقتل أيضا وأحكم بالإعدام على كل مَنْ فَتَرَ حماسه من طائفتي، وكل مَنْ جَبُنَ، لاعتقاده بأنه طيّب القلب... كانوا يهتفون لي في الطرقات !..). فيقول لها أحد أعضاء المحكمة: (مَنْ هم مِنْ طائفته أيضا قُتِلوا حتى آخرهم بيد طائفة أخرى، إنه الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من بين أفراد طائفته.. والطائفة التي قتلت طائفته تَمّ القضاء عليها بيد طائفة أخرى !..)، وهكذا يدين (يونسكو) القتل على أساس طائفي، ضمن إطار الشعب الواحد، أو الأمة الواحدة، ويرى فيه عبثية متسلسلة لا تنتهي إلى غير الويلات وإلى دمار الجميع، وكأنما هو انتحار ذاتي وبطيء.

#### ٤- أبرز أهداف (يونسكو) من مسرحيته:

(أ) السخرية من عبثية الحياة: كان (يونسكو) يحاول في مسرحيته - كما في سائر مسرحياته الأخرى - أن يكشف عما في حياة الإنسان المعاصر من عبثية، وخلو من المنطق والسداد، وذلك من خلال إظهار التناقضات الغريبة العجيبة بين ما هو مثالي في الفكر والتظير والقيم، وما هو واقع وملموس على مستوى التطبيق والتصرف والسلوك.

(ب) بيان تفاهة الوجود وانعدام الغاية منه: وذلك لأن كل الفلسفات لم تصل إلى سر وجود الإنسان ولا إلى أين يسير، ولم يجد أصلاً وكيف، وإن كانت الديانات السماوية المختلفة قدّمت جواباً عن ذلك، غير أن العقل الغربي عموماً لم يأخذ بها ولم يروِ ظمأه المعرفي بشأنها، وكأنه يردد، مع (كامو)، أنه يريد إجابات بشرية محضّة لا غيبية ماورائية جاهزة.

(ج) الكشف عن عجز العقل البشري عن إدراك قضية المطلق وسر الوجود: وذلك لأن الوجود المحيط بالإنسان يبدو أكبر من عقله الذي يظهر أنه ذو محدودية كبيرة في قدراته التي لا يستطيع تجاوزها.

(د) بيان عزلة الإنسان أو غريته في مجتمعه والدعوة إلى أنسنة الإنسان: وذلك نظراً لأن كل إنسان يسعى لخلاصه، ولا يفكر في الألفة الاجتماعية أو التكافل والتراحم مع الآخرين، من خلال التواصل الاجتماعي والتعاون على الخيرات. وهذا كله ناجم من القلق على الحياة في ظل المادية القاهرة في هذا العصر، ومن جهل المصير والمستقبل، والإحساس بالفردية المطلقة، والشعور بالتشاؤم . وهذا ما يدفعه إلى توخي الحذر في علاقاته مع الآخر. وهذه دعوة إلى أن يعي الإنسان ذاته وأن يأتلف مع الآخر، بدلاً من





هذه العزلة الخائفة، ويكون ذلك بتمية الشعور العاطفي والحميمية التي كانت سائدة في المجتمعات القديمة.

(هـ) إثارة الأسئلة وعدم انتظار الأجوبة: لأن طبيعة الأدب غير المبتذل أن يصور الأشياء ويثير التساؤلات من غير تقديم الحلول، ليدع للقارئ نفسه أو المشاهد أن يقوم هو بذلك الواجب.

#### ٥- اللوحات (الكافكوية) و(السوريالية) في المسرحيتين:

لا أظن (يونسكو) لم يهتم بأدب (كافكا) (م ١٩٢٤) الروائي التشيكي الشهير، سواء في (المحاكمة) أو (القضية)، أم (القصر). ولا أظن أيضا أن (الحركة السوريالية) لم تؤثر في كتاباته بشكل أو بآخر، بدليل تلك اللوحات أو اللقطات التي نثر عليه في مسرحيته الراهنتين، وفي سائر مسرحياته الأخرى أيضا. ومن ذلك أن رجلا يصل - في المشهد ١ من المسرحية الأولى - بالقرب على غير موعد ولا معرفة وقال لـ (ذو الحقائق): (جئت لأصحبك إلى الفندق مع حقائبك)، فكيف عرف أنه ذاهب إلى الفندق؟ لا ندري، وكأن هنالك قوى خفية تعلم كل شيء وتعمل. وفي المشهد ٥، يجد (ذو الحقائق) نفسه في مكان فيقول: (لا أعرف كيف جئت إلى هنا)، وكأن قوى خفية هي التي دفعته إلى المكان. وفي المشهد ١١، يلتقي رجل بـ (ذو الحقائق) فيقول له: (كنت قد أنذرتك، وقلت لك: لا تقم بهذه الرحلة، ولا تترك بلدك، ولا تخرج من باريس، بل من الحي الذي تسكنه، بل وحتى من شقتك.. قلت لك ذلك وكررتة أكثر من مرة.. الخطر في كل مكان، لاسيما في حالتك)، إنها عبارات كافكوية الروح والأسلوب تماما، فهي تصور (ذو الحقائق) ملاحقا من قوى يجهلها، وهو ملاحق في كل مكان خارج شقته،

وفي حيه، وفي باريس، وفي فرنسا، وفي الخارج: فما السبب وما طبيعة  
الخطر الذي يطارده؟

وفي المشهد ٤، نجد امرأة عجوزا على كرسي متحرك تنادي فتاة شابة  
بـ (أمي) والأخيرة تناديها بـ (ابنتي)، وهذه لقطة سوريلية واضحة.

### الخاتمة:

وأخيرا، لا بد لنا من الاعتراف بأن حلم كُتّاب المسرح الجديد المتمرد،  
سواء أطلقنا عليه اسم (مسرح اللامعقول) أم (المسرح الطليعي) أو  
(المسرح التجريبي)، فقد أثبتت الأيام أنه كان موجة من الأمواج المتتابة  
في عالم الأدب المسرحي، أو موضوعة من موضوعات هذا الفن، الذي كان  
يطمح إلى أن يحل محل المسرح القديم أو التقليدي أو الأرسطي بتمامه،  
إلا أنه لم يستطع، لأن غنى التراث والتقاليد المسرحية لم تكن ليُستبدل  
بها غيرها أيا ما كان، بدليل أن ما يكتب اليوم وما يعرض من مسرحيات،  
وفق المنهج التقليدي، في مختلف أنحاء العالم أكثر وأغزر وأوفر، وأرى أن  
مسرح اللامعقول أصبح فرعاً من فروع دوحة المسرح العام لا أكثر ولا أقل،  
وصار التعايش قائماً بين المسرحيين كما هو شأن الأنواع الأدبية، والفنون  
التشكيلية، والمذاهب الأدبية التي كانت تظهر رد فعل على ما سبقها ثم  
أصبحت تعايشه جنباً إلى جنب، ومن غير حلول أحدها محل الآخر، ولا  
إلغاء وجوده من الساحة الأدبية بأي حال من الأحوال. والله ولي التوفيق.

أ.د. محمود المقداد

دمشق في: الإثنين ٢٠١٥/٣/٩

الرجل ذو الحقائب

L'Homme aux Valises

يوجين يونسكو

Eugène Ionesco

ترجمة: أ.د. نادية كامل

مراجعة: أ.د. محمد شيحة

جاليمار ١٩٧٥







## شخصيات المسرحية

- الرجل الأول
- المرأة
- الشاب
- العجوز
- الموظف
- المرأة العجوز
- رجل الشرطة الأول
- رجل الشرطة الثاني

## توزيع الأدوار

مسرحية «الرجل ذو الحقائق» قدمت لأول مرة على مسرح الأتلييه من إخراج چاك موكلير وقام بعمل ديكور المسرح چاك نويل وأسندت الأدوار الرئيسية لكل من: چاك موكلير، تسيلا شيلتون، نيتا كلارين، أندريه ثورون، مارسيل شامبل، مونيك موكلير، فيليب نويل، كاترين فرو.







## المشهد الأول

**ديكور** : اللامكان، جو ضبابي، صوت خرير مياه؛ على خشبة المسرح وعن يمين المشاهد رجل يرتدي قبعة ومعطفا رمادي اللون.

ينظر الرجل الأول لفترة، إلى الماء الذي ينساب؛ يحمل حقيبتين في يديه، يتجه بصره إلى بعيد، متخطيا النهر. يُظهر الضوء أحد الرسامين، له شارب، على رأسه بيريه، يرتدي قميصا أزرق اللون، يدخل الغليون. يجلس على مقعد أمام حامل عليه لوحة.

يجب، بقدر الإمكان أن يظل المشهد نصف مظلم. الآن فقط، نستطيع رؤية الحقيبتين التي تحملهما الشخصية الأولى.

يقوم الرسام بالرسم في هدوء، يسحب نفسا من الغليون. بعد لحظة، نسمع جلبة كبيرة آتية من الضفة الأخرى للنهر (أصوات، أبواق، نداءات).

**الرجل الأول** : هناك حشد من البشر على الضفة الأخرى.

(تتوقف الأصوات تقريبا)

**الرسام** : استأجر قاربًا، واعبر.

(صمت)

إنه نهر السين، هذا النهر العظيم الذي تراه أمامك.



(تزداد الأصوات ثم تتوقف)

**الرجل الأول** : هل علينا القضاء على الحشود؟

**الرسام** : لقد اختلط عليك الأمر، نحن في العام ١٩٢٨، هل تتصور هذا، الثورة لاتزال موجودة. لاتزال رياح ١٧٨٩ العاتية تمر على البشر.

(أبواق، ونفير، أصوات. ثم تتوقف كل الأصوات تمامًا)

بسبب كل هذا، كل هذا الحشد على الجانب الآخر، يمكنك اللحاق بهم. نحن في العام ١٩٢٨ ما أذكى الفرنسيين وما أشد حيويتهم! حمدًا لله أننا في العام ١٩٢٨ وأن العام ١٩٤٤ لم يأت بعد.

**الرجل الأول** : انظر إلى فرنسيي ١٩٤٠ - ١٩٤٢ كم هم صفار وكم هم منهزمون! فرنسيي العام ١٩٤٢.

**الرسام** : إن الشعب ليس غيبًا بل الصفوة هي التي تتسم بالغباء تلك الصفوة الغبية الحقيرة وليس الشعب.

(يشير بيده باتجاه الضفة الأخرى)

ولكن لا تجهد نفسك. ضع الحقائق على الأرض.

(يهم الرسام بالخروج، وميض وأضواء تأتي من الضفة الأخرى، ما يشبه الحريق).

**الرجل الأول** : لديهم رايات من النار ورايات من الدماء.



(فقط تبقى الأضواء وتكف الأصوات).

**الرسام :** أتعرف، أنت الآن على شاطئ نهر السين. أنت هنا. ضع حقائبك. لا تخش شيئاً. إنه أفضل مكان لانتظار القطار أو المترو الذي سيوصلك إلى الفندق.

(يسقط الرجل الأول حقائبه على الأرض ويمسح جبهته بمنديله).

**الرجل الأول :** أتظن أن القطار سيأتي... أو المترو.

**الرسام :** نحن في العام ١٩٢٨، في باريس مدينة تضج بالحياة. أو العام ٤٢ أو ٥٠.

**الرجل الأول :** أي هدوء يسود. إنه ليس الهدوء ولكنها أغنية الوداع. غناء بجعة<sup>(١)</sup> فوق نهر السين القذر.

(يعود لحمل الحقيبتين)

مازلت لا أعرف ما إن كنا عام ١٩٢٨ أو ١٩٥٠.

**الرسام :** بل عام ١٩٢٨. كل شيء قد أعدد. أو ربما كنت مخطئاً، أنكون في عام ١٩٥٠؟ لكن طالما كنت لا تستطيع فعل أي شيء. فضع متاعك على الشاطئ وانتظر. لا بد أن يحضر أحد ليأخذ كل هذا.

(من على يسار المشاهد تظهر مقدمة قارب. يهبط منه رجل يحمل في

---

(١) غناء البجعة: تشدو البجعة قبل أن تموت ويقال هذا عن آخر عمل إبداعي للفنان. (المترجمة).





يده مجدافاً. لو كانت الأدوات الفنية غير كافية، يمكن أن يظهر الرجل وهو يحمل المجداف من دون أن نرى القارب. ولكننا نسمع هدير المياه).

**الرجل ذو المجداف :** (موجهًا حديثه إلى الرجل الأول): جئت لأصحبك إلى الفندق مع حقائبك.

**الرجل الأول :** أجئت بالقارب؟ هل نحن في البندقية؟

**الرجل ذو المجداف :** (يذهب لإحضار الحقائب)

لا. أبدًا.

**الرجل الأول :** دع عنك هذا. أستطيع حمل حقائبي.

**الرجل ذو المجداف :** كلا. بل سأحملها عنك. سأصحبك إلى فندقك.

هنا في باريس منذ فيضانات عام ١٩١٠، نتجول في قارب من باب الحذر. لقد تحولت نصف الشوارع إلى قنوات.

**الرجل الأول :** لدينا إذن مدينة البندقية داخل باريس.

**الرجل ذو المجداف :** كما أن لدينا باريس داخل البندقية. حدثت بينهما

توأمة (يحمل في يديه الحقيبتين بعد أن ترك المجداف على الأرض). من فضلك، ضع هذا المجداف تحت إبطي.

**الرجل الأول :** لا. سأحمله أنا.

(يتجه مع رفيقه نحو المخرج)



أمر غريب. تميل العواصم للتحول إلى جزر أو خلجان. ألا ترى أنه أمر  
يدعو للقلق؟

صوت الرجل ذو المجداف (الذي خرج) : اعطني المجداف. اصعد إلى  
القارب. اعطني يدك.

(يخرج الرجل الأول بدوره. خشبة المسرح خالية. يسمع صوت الماء  
وصوت القارب الذي يبتعد. أصوات وأنوار آتية من الجهة اليمنى، تبدو  
خشبة المسرح وكأنها تحترق).



## المشهد الثاني

الديكور : منزل. خشبة المسرح خالية. في الخلفية نرى منزلاً أبيض اللون ذا نوافذ مضاءة.

يدخل الرجل الأول وامرأة وشاب إلى المسرح. يحيط الشاب والمرأة بالرجل الأول.

الرجل الأول (للمرأة) : هل تتعرفين على هذا المنزل؟

المرأة : لم نحضر إلى هنا منذ مدة طويلة.

الرجل الأول : جئت مرات عديدة بخيالي. بشكل آخر، إنه شديد البعد! هناك الطائرة. ولا توجد سكة حديد، فلا مكان للقضبان في هذه الطرق الملتوية... وهذا الوادي الضيق المنحصر شديد الظلمة. ولكن حمداً لله، توجد البغال.

المرأة : الصغير يشعر بالبرد. إنه يرتعد. هذا الهواء الرطب.

الرجل الأول (للساب) : لقد نسيت معطفك مرة أخرى. لا بد أنك نسيتته على ظهر البغل. اذهب لإحضاره.

الساب : لقد تعمدت تركه. لا أشعر بالبرد.

الرجل الأول : أنت عنيد، أنك ترتعد.

المرأة (للساب) : أتريد أن أذهب لإحضاره؟ سيستغرق الأمر دقيقة واحدة.





**الشاب :** البغال على بعد خمسة كيلو مترات على الأقل. وربما أبعد من ذلك.

**الرجل الأول :** لا يمكن أن نعرف أين هي. إن وقفنا الأخيرة بعيدة. إنها شديدة البعد.

**المرأة :** لقد تركنا البغال أسفل التل.

**الرجل الأول :** أي تل؟

**المرأة :** هذا التل.

**الرجل الأول :** إنها أبعد من ذلك. لم تتمتعني أبدًا بحس المسافات، أو الاتجاهات. لقد صعدنا وهبطنا ستة تلال. نحن على التل السابع، في منتصف الطريق للقمة. لا بد الآن أن نرى المنزل الأبيض الصغير.

(يظهر بشكل واضح المنزل الأبيض ذو النوافذ المضيئة بواسطة لهب في الداخل)

**المرأة :** ها هو.

**الشاب :** أجل. ها هو.

**الرجل الأول (للشاب) :** لقد ولدت في هذا المنزل وقضيت فيه طفولتي. كان جدي قد تركه عندما كنت صغيراً؛ وعندما رحلت بدوري، كانت أمي، أي جدتي لاتزال تعيش فيه. إنني أشعر بالسعادة وبالحزن معا عندما أعود لرؤيته. إن ذلك يخيفني ويشعرني بأمل مجنون. لا



أعرف إن كانت أمي قد ماتت، ولا أعرف إن كنت قد حضرت احتضارها أو أن ذلك مجرد خيال. ربما أكون قد تصورت موتها. لا أزال أراها، ضئيلة الحجم، تكسو وجهها التجاعيد، نحيلة، بشعرها الأسود الذي يرفض أن يبيض رغم تقدم عمرها. (للمرأة): هل كتبت لي؟ لم أعد أعرف.

المرأة : بلى، لقد تلقينا خطابين أو ثلاثة منذ زمن بعيد.

الرجل الأول (للمرأة): هل جئت لزيارة أمي في هذا المنزل؟

المرأة : مرات عديدة. هل نسيت؟

الرجل الأول : لم أعد أتذكر.

المرأة : إن ذاكرتك تسوء مع الوقت. كيف نسيت؟ لا بد أن تُعالج. كان المنزل من طابقين.

الرجل الأول : صحيح. أذكر ذلك، لقد طُمر الطابق الأرضي في الأرض؛ كانت غرفة نومها وغرفة الاستقبال في الطابق الأرضي.

المرأة : جئنا وقد حملنا الزهور أمي وأنت وأنا، جئنا لنقول لأهلك أننا سنتزوج.

الرجل الأول : هل حضرتَ عماد ابننا. أعتقد أنها حضرت.

المرأة : لا. لم تحضر.

الرجل الأول : هل كنا على سفر؟ أم أنها كانت قد ماتت قبل ذلك؟



**المرأة** : لم تعد تذكر. كنا قد تسلمنا بعض الرسائل. كانت تريد رؤيتنا. كما أنها كانت قد طلبت صورة الطفل. وأرسلناها؛ الرسالة ضاعت، بسبب الحرب، كانت مصلحة البريد في حالة من الفوضى.

**الرجل الأول** : أجل صحيح. ربما كانت الرسائل قد وصلت بعد وفاتها.

**المرأة** : كانت رسائلها ردًا على رسائلك. إذ كيف عرفت أننا رزقنا بطفل؟

(تشير إلى الشاب)

يستطيع جان أن يؤكد لك ذلك.

**الشاب** : أجل. لم تحضر عمادي.

(نرى امرأة عجوزا تحمل باقة ورد في يدها وهي تخرج من المنزل. تقترب المرأة من المرأة العجوز، بينما يبقى الآخران خلفهما، عند مقدمة خشبة المسرح. تبدو المرأة العجوز حزينة بعض الشيء، ثم تبدو على وجهها سعادة مشوبة بالحزن. تبتسم).

**المرأة العجوز (للمرأة)** : إنني أعهد به إليك. الآن أنت من سيقوم برعايته. ستحبيه. وليس هذا بالأمر السهل دائمًا. ولكنني أعرف أنك ستعملين ما يلزم.

**المرأة** : شكرًا يا سيدتي... شكرًا يا أمي.





**المرأة العجوز :** (وهي تبتسم) لن يكون الأمر سهلاً فهو ليس  
بالشخصية التي يسهل التعامل معها!

(تسحب من الجهة اليسرى للمتفرجين)

**المرأة :** أتتركينا الآن؟ سريعاً هكذا؟

**المرأة العجوز :** إنني أسرع. سيهبط الليل بعد قليل.

(تخرج)

**المرأة :** ماذا قالت؟

(تتشر على الأرض الورود الواحدة تلو الأخرى، كما لو كانت تتثرها على  
أحد القبور)

تخفت الأنوار على خشبة المسرح. يظهر المنزل الأبيض ذو النوافذ  
المضيئة بشكل أوضح في هذه الإضاءة المعتمدة).

**الشاب :** لقد تعرفت عليها. من خلال الصور التي أريتموني  
إياها.

**الرجل الأول :** يوجد خلف المنزل، الطريق الذي يقود إلى القمة.

**المرأة :** لا تتقدم. يمكن أن تصاب بحروق. انتظروا (يبقى  
ثلاثتهم بلا حراك، وهم ينظرون إلى المنزل الذي  
يحترق والنار وهي تأتي عليه تماماً. تخمد النار  
تقريباً، لا يبقى على يمين المنزل ويساره سوى



جمرتين صغيرتين. يُستبدل ضوء النار هذا بضوء  
القمر الذي يغمر المكان).

- الرجل الأول : ماذا سنفعل بكل هذا الرماد؟  
الشاب : نضعه في جرار كتلك التي يوضع فيها رماد الموتى.  
المرأة : هيا بنا، الآن.

(يظهر الطريق وقد أناره ضوء القمر الذي يظهر بوضوح).



## المشهد الثالث

الشخصيات : رجل في مقتبل العمر، امرأة عجوز على كرسي متحرك.

(في بداية المشهد، تبدو خشبة المسرح غارقة في الظلام. تُسمع أصوات هامسة مبهمّة، أصوات مكبوتة، وشذرات جمل):

«هل ستأتي؟»

«أين نحن؟»

«لا يمكن أن نعرف».

«هل حضرت من قبل؟»

«احذر، لا ترتطم بالأثاث».

«اضغط على الزر».

«لقد مللت هذا السواد».

(نستمر في سماع أصوات مبهمّة. الظلام أقل كثافة. نرى خيالات في شبه الظلام).

«أرض هذا الطريق صلبة جدًا».





«حديقة بلا زهور، بلا عشب».

(ثم نستطيع رؤية شاب خلف المقعد المتحرك الذي تجلس عليه امرأة عجوز).

**الشاب :** ها قد وصلنا.  
**المرأة العجوز :** هل تعبت كثيراً يا حبيبي، وأنت تدفعني هكذا؟  
صحيح العجلات موجودة، ولكنني ثقيلة الوزن على كل حال. نزداد وزنا عندما نشيخ.

**الشاب :** ستكونين بخير هنا، يا أمي.  
**المرأة العجوز :** أعتقد أنني أتعرف على المنزل.  
**الشاب :** هذه الغرفة هي أكبر الغرف.  
**المرأة العجوز :** لا أعتقد أنه قد سبق أن جئنا هنا. ورغم ذلك المكان مألوف بالنسبة لي. مكان أعرفه. لا يوجد ضوء كثير.

**الشاب :** إن ظهر مقعدك شديد السواد، سأغيره. سأنادي على أحد ليقوم بالأمر.

**المرأة العجوز :** لا تشغل بالك، يا صغيري. إنني أخفيه بظهري. ثم، لقد تعودت على السواد شعري أسود، لا يريد أن يتحول إلى اللون الأبيض. لا بد أن أضع باروكة شعر بيضاء. ثوبي أسود، قفازي أسود، حقيبتني سوداء. لقد تعودت على اللون الأسود، لم أعد أخاف منه.



أنك تدور حولي طوال الوقت. تتحرك كثيرًا، ابق إلى جوارِي، كي انظر إليك. سيكون كل شيء على ما يرام، أنا متأكدة أنني سأكون سعيدة في هذا المنزل، على الأقل سأكون مطمئنة. أحتاج للهدوء. أتمنى أن يكون الجو دافئًا هنا. وأن تكون موجودًا هنا. تعال يا صغيري، حتى انظر إليك. إلى أين تريد أن تجري ثانية؟ اعطني يدك.

**الشاب :** (يعطيها يده ثم يسرع بسحبها بشكل مفاجئ): لا أعلم يقينا أنك أُمي.

**المرأة العجوز :** كيف تجرؤ أن تقول مثل هذه حماقة؟ عيناك تشبهان عيني. سوداوان.

**الشاب :** لست واثقًا.

**المرأة العجوز :** ولكني أنا متأكدة. أنا من أعرف.

**الشاب :** ربما تكوني قد قمت بخيانة أبي.

**المرأة العجوز :** كيف تجرؤ على قول شيء كهذا؟ لقد شخّنت وأنا أقوم بتربيتك. ضحيت ألف مرة.

**الشاب (يدير ظهره):** سأتركك الآن. عليّ أن أرحل.

(تتغير تعبيرات وجه المرأة العجوز. تبدو قلقة وغاضبة في آن واحد).

لماذا بدت على وجهك مظاهر القسوة؟



**المرأة العجوز :** أيها الكاذب! الوغد! لقد ربيت ثعباناً بين ذراعي. لو كنت قد علمت!... أيها المجرم!

(تفتح حقيبة سوداء تخرج منها حبات دواء بيضاء. تأخذ حفنة منها وتهم بابتلاعها).

**الشاب :** (يستدير سريعاً. يفتح قبضتها عنوة، ينتزع منها الأقراص، كما ينتزع الحقيبة التي تسقط على الأرض وتتناثر منها كمية من الأقراص): لن أتركك تسممين نفسك.

**المرأة العجوز :** التقط الحقيبة، أعدها لي.

**الشاب :** لن أدعك تعاودين الكرة.

**المرأة العجوز :** سألتقط الأقراص بنفسى سيبقى بعض منها على أي حال.

(بينما يجمع الشاب حبات الدواء الواحدة تلو الأخرى من فوق خشبة المسرح، حول المقعد بجوار قدمي المرأة العجوز الجالسة على الكرسي المتحرك، وخلف المقعد ثم يضعها داخل الحقيبة التي يحملها في يده، تقوم المرأة العجوز بسبه).

أيها المجرم! لقد وهبتك حياتي، وهبتها لك ولأبيك! كل هذا لتأتي وتنتكر لي! منذ زمن وأن تعد لي ذلك. لم أكن لأتصور. لقد قتلتماني أنتما الاثنان. غرس أباك خنجرًا في صدري. وأنت تجهز عليّ.





الشاب (الذي يستمر في جمع حبات الدواء، الواحدة تلو الأخرى): ها هي واحدة أخرى. لا لن أدعك تأخذين هذا السم. يجب أن أجدها كلها. كل واحدة من هذه الحبوب بها سم قاتل.

المرأة العجوز : أيها القاتل! البائس! قتلتني والآن لا تريدني أن أنتحر.

(يخرجان).



## المشهد الرابع

(من على يمين المشاهدين تظهر امرأة مسنة جدًا، على كرسي متحرك. يختفي الرجل الذي كان يدفع الكرسي. تنظر المرأة العجوز حولها لعدة مرات، ثم تحول نظرها إلى جهة اليسار حيث تدخل امرأة شابة).

المرأة العجوز (للمرأة الشابة): أمي! أمي الصغيرة.

المرأة الشابة : أنت، ابنتي الصغيرة، حبيبتي.

المرأة العجوز : أمي، كم أنا سعيدة أن أراك مرة أخرى. كنت قد فقدت الأمل. أفكر فيك كثيرًا. في بعض الأيام أنسى قليلًا، ثم أعود فأتذكر أنك لست موجودة هنا، فينقبض قلبي ويؤلمني.

المرأة الشابة : هذه أنت، ابنتي الصغيرة الحبيبة. لم تتغير عيناك. مازالتا جميلتين كما كانتا عندما كنت تلعبين بالعروسة.

المرأة العجوز : انظري يا أمي، وجهي مليء تغطيه التجاعيد، وشعري أبيض. لم أعد أستطيع السير، أعاني من الروماتيزم.

المرأة الشابة : يا ابنتي، ستظلين دائمًا في نظري ابنتي الصغيرة.

المرأة العجوز : لماذا رحلت؟ لقد مر زمن طويل.

المرأة الشابة : لم أكن أريد الرحيل. ليست غلطتي.

(تقترب المرأة الشابة من المرأة العجوز وتقبلها).



يا ابنتي الحبيبة. لا بد أنك عانيت كثيرًا.

المرأة العجوز : لقد انتظرتك. لم أكن أرغب في الاستيقاظ في الصباح، ولم أكن أرغب في ارتداء ملابس وحدي.. و لم أقبل أن يقوم أحد بمساعدتي. كما لم أقبل أن يصحبني شخص آخر إلى المدرسة. لقد أجبروني على الذهاب إلى المدرسة، ثم كبرت، وتزوجت، وأنجبت ولدين وصار لي أحفاد. ماتوا في الحرب. مات زوجي، زوج ابنتك، حتى أنك لم تعرفيه. لم يعد لي أحد، الآن. لم أكف من النداء عليك، وها أنت أخيرًا.

المرأة الشابة : وها أنت أخيرًا!

المرأة العجوز : قالوا لي إنك رحلت للأبد.

المرأة الشابة : رأيت؟ لم أرحل للأبد.

المرأة العجوز : لن تتركيني أبدًا، أليس كذلك؟ اقسمي أنك لن تتركيني.

المرأة الشابة : أعدك بذلك.

المرأة العجوز : (وهي تحتضن المرأة الشابة بين ذراعيها): كم كنت سعيدة معك. منذ أن رحلت شعرت بفراغ كبير في داخلي، لم يستطع أحد أن يملأه. ولو تعرفين كم الأشياء التي حدثت لي!

المرأة الشابة : لا تفكري في هذه الأشياء، يا ابنتي الصغيرة. أنا معك الآن. أو ربما تقصين على ذلك فيما بعد. الوقت متسع أمامنا، متسع جدًا.





- المرأة العجوز : عندما كنت أحسن التصرف، كنت تشتري لي الحلوى.
- المرأة الشابة : سأشتري لك الحلوى.
- المرأة العجوز : بالشكولاته.
- المرأة الشابة : بالشكولاته.
- المرأة العجوز : من المرأة الموجودة في ركن الشارع داخل علبة جميلة.
- المرأة الشابة : لديها دائماً علب جميلة.
- المرأة العجوز : ستشتري لي ثوباً. سأحسن التصرف.
- المرأة الشابة : أجمل ثوب.
- المرأة العجوز : ستصحبيني إلى المدرسة. أريد أن أعرفك على زميلاتي الصغيرات. كن يقلن أنك لن تعودى أبداً.
- المرأة الشابة : علينا أن نرحل. ولكن هذه المرة سأأخذك معي. لن نفترق أبداً.
- (تدفع المرأة الشابة المقعد المتحرك وتخرج من على يمين المتفرجين)
- المرأة العجوز : أبداً، أبداً.
- المرأة الشابة : أبداً.
- المرأة العجوز : آه! يا أمي الصغيرة. كم أنا سعيدة. قبليني يا أمي.
- (تخرجان).



## المشهد الخامس

(الديكور: خشبة مسرح مظلمة تضاء في آخر المشهد).

الرجل الأول : يبدو لي... يبدو لي... بلى، أنا أعرف هذه الضاحية القديمة.

(تدخل امرأة عجوز جدًا ورجل عجوز جدًا)

الرجل الأول : هل سبق أن رأيتهما؟ منذ وقت طويل. من أنتما؟

المرأة العجوز : اترك متاعك. ألسنت متعبًا من الترحال؟ أنت تهيم على وجهك بلا هدف.

الرجل الأول : نحن جداك لأمك.

المرأة العجوز : أنا جدتك وهو جدك.

الرجل الأول : (وهو ينظر حوله): لا، أنا لا أعرف هذه الأماكن. لم يسبق أن جئت إلى هذا المكان.

المرأة العجوز : مع أن هذا موطننا الأول.

الرجل الأول : لا أعرف كيف جئت إلى هنا.

المرأة العجوز : لكن هذا جدك. وما زال يدخن غليونه القديم.

(يأتي رجل آخر، ذو لحية رمادية وشعر رمادي). ها هو أحد أخوالك، يا ولدي، إنه ما زال على قيد الحياة كما ترى. رزقت بأبناء عديدين. سبعة أولاد وخمس بنات. كانت أمك أحدهن. هل تذكر الغرفة ذات السقف المنخفض، في الطابق الأرضي؟



**الخال العجوز :** إني أسكن عاصمة العالم. أنا أكثر الرجال ثراء على الأرض؛ وقد أسبغ على الملك لقب شريف. أنا أمير ولدي أسطول من السفن. ولكني أتمتع بالوفاء. لذا فأنا أعود من وقت لآخر إلى هنا. لماذا تنظر إلي هكذا؟ اتظن أنني مجرد صعلوك؟ لأنني ارتدي ثياباً رثة، خشنة وأناي أشعث الشعر. هذا ما يجب أن نفعله في هذا البلد؛ لا أريد أن ألفت الأنظار. لا أريد أن أسبب ضرراً لأحد. كيف حال أمك؟

**الرجل الأول :** لا أعرف شيئاً عنها. لا أعرف أين هي.

**الخال العجوز :** بدأت من الحضيض لأصل إلى القمة. أنا الوحيد من بين أشقائي وشقيقاتي الذي نجح. ستعرف ذلك فيما بعد. لقد كونت ثروة تحت اسم مستعار. سأقص عليك كل شيء.

(يذهب الرجل العجوز من على يمين المشاهدين).

**الرجل الأول :** لماذا ذهب الجد؟

**المرأة العجوز :** ذهب يختبئ كي يموت.

**الرجل الأول :** كنت أظن أن الأمر قد حدث. أجل، أذكر ذلك، لقد مات في الغرفة المنخفضة في الطابق الأرضي، في فقر مدقع. لقد كنت حاضراً احتضاره. كان على رأسه طاقيّة قديمة سوداء، وأنت يا جدتي، هل أنت ميتة أم أنك على قيد الحياة؟

**المرأة العجوز :** أنا، ميتة؟





(تتهض، تتساقط ملابسها من على جسدها، تسقط باروكتها أيضا،  
يضاء المشهد. فجأة نجدتها في ثوب أبيض..)

على يسار المشاهد، نرى المنزل الذي رأيناه من قبل، في المشهد الثاني  
وهو يحترق. يتجه إليه الخال العجوز)

**الرجل الأول :** لا تدخل المنزل يا خالي، ستحرق نفسك!

(يختفي الخال العجوز داخل المنزل الذي يحترق).

**الخال العجوز :** فات الأوان!

(يدخل المنزل المشتعل. تسمع أبواق المطافئ).

**المرأة العجوز (وقد عادت لشبابها):** أنا هنا مع جميع أولادي. لقد  
التقيت بهم جميعاً مرة ثانية. أتراهم؟ أسمعهم؟  
إنهم هنا.

(تتجمد في مكانها وكأنها تمثال، مرئي، رفع ذراعاً ومد ذراعه  
الأخرى. يدخل رجل آخر، الموظف).

**الموظف :** أعرف الآن، أعرف. أعرف لماذا أتيت. إنه القدر  
الذي قاد خطواتي. ولكنني سعيد بوجودي هنا. أتيت  
كي أعرف الاسم الحقيقي لأم جدتي. أريد معرفة  
الاسم الذي كانت جدتي تحمله قبل أن تتزوج. هذا  
هو هدف رحلتي. نحن لم نعرف أبداً اسمها قبل أن  
تتزوج. لقد أخفته دائماً.

**الرجل الأول :** هل كانت تنتمي إلى طبقة مثيرة للشبهات؟



- الرجل الأول :** هذا هو ما أريد معرفته.
- الموظف :** هل كانت تنتمي إلى جنس مضطهد؟ إلى جنس مدان؟ في هذه الحال يجدر ألا تبحث. فالاضطهاد قد تكون له عواقب، ونتائج سيئة على سلالتها.
- الرجل الأول :** أريد أن أعرف أصولي. أريد أن أعرفها بأي ثمن.
- الموظف :** في هذه الحال، أنا، في واقع الأمر، في وضع يمكنني من مساعدتك. فأنت لن تستطيع معرفة أسماء أجدادك الأوائل إلا من خلال دار بلدية في هذه القرية الصغيرة. فنحن القرية الصغيرة الوحيدة في هذا العالم التي مازالت تحتفظ بجميع الوثائق الخاصة بكل إنسان سواء كان من بلدنا العجوز أو كان غريبا عنها.
- الرجل الأول :** كم هي جميلة جدتي، متألقة الشباب في ثوبها الفاتح، تحت السماء الغائمة وهي محاطة بأولادها.
- الموظف :** لقد استعادت شبابها، يا سيدي، ذلك لأنها غيرت اسمها الذي كان يفصلها عن العالم ويفرقها في الشيخوخة.
- الرجل الأول :** بتغييرها لاسمها، لم يكن أمامها إلا استرداد شبابها.

(ينظر إليها؛ ينتابه القلق)

هل هذا من حقها؟ هذا أمر يجب ألا يحدث. يخيل إليّ أنه أمر غير لائق بالمرّة، غير لائق بالمرّة.



(تخمد النيران التي كانت مشتعلة في المنزل الموجود على يسار المشاهد. تبقى بعض الجمرات. ثم تتطفئ الجمرات بدورها).

احترق المنزل! خالي داخل الرماد.

(مرة أخرى، يعم الظلام. يعود الرجل الأول لحمل حقائبه. يختفي الشخصان الآخران).





## المشهد السادس

(من اليسار تظهر امرأة، وامرأة عجوز، ورجل عجوز، وشاب).

الرجل الأول في وسط خشبة المسرح. يحمل الشاب دمية، يظهر جانب من وجهها لنرى عينا سوداء واسعة، عين شرقية، مصرية.

يكون كل من المرأة والمرأة العجوز والرجل العجوز والشاب مجموعة متلاصقة. يتقدمون معا في وقت واحد نحو الرجل الأول من دون أن يتفرقوا. يمكن أن يتقدموا على منصة صغيرة بل يمكن أن تتقدم المنصة ببطء أو يبدو وكأنهم يسرون على زحافات بعجلات، أو لديهم فعلا زحافات بعجلات).

المرأة العجوز (للرجل الأول): معا نشعر بأننا في أحسن حال، أليس كذلك؟  
اقترب والتصق بنا. هكذا ندافع عن أنفسنا بشكل أفضل. فلنضم صفوفنا.

المرأة العجوز (للرجل الأول): ظننت دائما أنني أمك. أنا زوجتك.

الرجل الأول : إن لم تكوني أمي، فأين أمي إذن؟

المرأة : لقد توفيت يا حبيبي.

(تشير إلى الشاب الذي يحمل الدمية)

: ها هو ابنك وهذه ابنتك؟ ألا تتعرف عليهما؟

الرجل الأول : هل كان لي ابن؟ وهذه الصغيرة، لقد تركتها منذ عشر سنوات؛ ألم تكبر؟

المرأة : كنت تريد أن تجعلها يتيمة.



- الرجل الأول : غريب، هذا الوجه الأبيض وتلك العين السوداء  
الواسعة! كما لو كانت مصرية صغيرة.
- الشاب : ولكنها أختي الحقيقية.
- الرجل الأول (للمرأة): ظننت دائماً أنك أُمي.
- المرأة : ابذل جهداً. تذكر.
- الرجل الأول : لا، لا أذكر.
- المرأة : بلى، تذكر.
- الشاب : تذكر، يا أبي.
- الرجل الأول : (يصرخ) أرى ثقباً كبيراً. أشعر بدوار. أتذكر الآن،  
كانت في غاية السعادة يوم زواجنا.
- المرأة : سافرنا في رحلة، عند عودتنا لم نجد لها على قيد  
الحياة.
- الرجل الأول : عما قريب يكون قد مر على موتها ما يقرب من  
عشرين عاماً. أنا وحدي من زمن بعيد. منذ زمن  
بعيد جداً من غير أُمي الصغيرة العزيزة المسكينة.  
كيف استطعت أن أعيش من غيرها؟
- المرأة : أنت لم تلاحظ ذلك. لم تعلم ذلك. كنت أنا هنا، في  
مكانها.
- الرجل الأول : (يبكي كطفل صغير): أُمي الصغيرة العزيزة  
المسكينة، أُمي الصغيرة المسكينة. مرت عشرون  
عاماً، ثلاثون عاماً، أربعون عاماً، مر زمن طويل، لا  
أدري كم من الزمن. استغرقت في النوم وأنا يقظ.



كيف استطعت أن أنسى؟

- المرأة العجوز : أبوك أيضًا مات. ألم تلاحظ ذلك؟  
الرجل الأول : بالأمس رأيته، بالأمس. وتشاجرنا.  
المرأة العجوز : مات منذ خمسة وعشرين عامًا.

الرجل الأول (للمرأة): كنت أريد أن أقول له أشياء كثيرة وأسأله عن أشياء كثيرة. لو أن ابنتي يتيمة فهل أنت أيضا ميتة؟ هل أنت ميتة؟ هل أنت على قيد الحياة؟ لا أذكر الجنازات. هل مت أثناء غيابي؟ يجب ألا نترك بعضنا البعض. بمجرد أن نستدير يرحلون. وعندما نلتفت يكونوا قد رحلوا. يجب أن يخبرك أحد أنهم رحلوا، إذ إن ذلك لا يلاحظ. ربما يكون أنا من مات بدلا من أبي.

المرأة العجوز : لقد فقدت كل أفراد أسرتك: والديك أبناء عمك، أخوتك وأخواتك، الواحد تلو الآخر.

الرجل الأول : تصور أنني لم أكن أعرف.

المرأة العجوز : هكذا، بضع لحظات من الحلم ثم عرفت كل شيء.

الرجل الأول : كيف لم أدرك ذلك، كيف لم أشعر بالم فراقهم؟ كي يكون الإنسان واعيا، عليه أن يمضي حياته وهو يحلم.

الرجل العجوز : أيها البائس. من الأفضل ألا يدرك المرء. لن تكون الحياة كما كانت في الماضي. (من على يسار المتفرج، يدخل رجل في منتصف العمر).

الرجل الأول : أبي، أهو أنت. مازلت تتعل حذاءك الغليظ.





- الرجل : ولدي.
- الرجل الأول : كنت قد أعطيتي مالا لأشتري حذاء غليظاً مثل حذائك. ولكني اشتريت حذاء ناعماً. فانتابك الغضب. كنا نتناقش خلف مكتب البريد. أين صديقتك؟
- الرجل : ماتت، مع كل الميراث.
- الرجل الأول : وابنتها؟ وشقيقها وابن عمها؟
- الرجل : منذ زمن بعيد، منذ عام، منذ مائة عام.
- الرجل العجوز : الأبدية خارج إطار الزمن.
- الرجل الأول (للرجل): أنت حي وأنت ميت منذ تسعة عشر عاماً. أين أوراق اللعب الخاصة بك، أين الدومينو؟ أستطيع أن أخبرك.
- كل هذا العالم لم يكن يخصك. أستطيع أن أخبرك الآن، لا جدوى من ذلك.
- المرأة العجوز : إنه وحيد وحزين، حزين جداً.
- المرأة : مهجور.
- الرجل الأول : أبي المسكين، البائس العجوز.
- الرجل : سيارة، تاكسي كي أذهب إلى المطعم!
- الرجل العجوز (للرجل): المحطة في نهاية الممر، في آخر المستشفى. عليك أن تقفز فوق المرضى العجائز.



- الرجل : إنه طريق مسدود .
- الرجل الأول : لنذهب ونختفي داخل الجمع . (يتظاهر الرجل والرجل الأول بالانصراف، أحدهما من جهة اليسار، والآخر من جهة اليمين).
- المرأة العجوز : هناك زحام شديد، لن تتمكننا من المرور .
- المرأة (للرجل العجوز): لم تقتلا أطفالا . لستما قتلة .
- الرجل : لست خائفاً . أتحمل وزر جرائمى . سأقتل آخرين أيضا إن لم يستطيعوا منعى .
- الرجل الأول : ولكنى لا أستطيع أن أعيش وأنا أحمل ذنوبي . أنا، على الأقل لم أقتل أطفالاً . لماذا إذن تأنيب الضمير هذا الذي يثقل عليّ ولا أستطيع أن أبرأ منه؟
- المرأة : كلنا قتلنا أطفالاً، ولكن من دون قصد منا . (يسمع صوت محرك سيارة . نفير سيارة شرطة)
- الرجل العجوز : إنها السيارة السوداء الخاصة بالشرطة، ذات النفير الأتوماتيكي .
- الرجل الأول : احذر . نفير أوتوماتيكي !
- الرجل (للرجل الأول): إنى أحذرها مثلك ومثله .
- الرجل الأول : ماذا فعلت؟ أنا من استدعاها .
- المرأة : تعالوا هنا، لا تخشوا شيئاً . تعالوا هنا .
- الشاب : تعال يا أبى، تعال يا أبى .
- الرجل العجوز : معنا جميعاً، مع كل الأجداد .



المرأة العجوز : التصقوا بنا .

(الرجل والرجل الأول يذهبان وينضممان إلى الآخرين . تتحرك المجموعة ببطء ناحية يمين المشاهدين) .

الرجل العجوز : معنا . كل العائلة .

المرأة العجوز : ليقترّب كل منكم من الآخر . صار الجو أكثر دفئاً .

الشاب : على اليمين ، بطول نهر السين الأرض مزروعة .

المرأة : نباتات تخرج من الأرض وزهور بيضاء مثل الزنابق وأوراق خضراء .

(تتقدم المنصة الصغيرة بجوار الكواليس ، إلى يمين المشاهدين ، تسقط الشخصيات الواحدة بعد الأخرى ، الرجل العجوز والمرأة العجوز ، والشاب والدمية ، حيث نرى رأسها يتدحرج ، والمرأة والرجل . موسيقى خافتة آتية من الخلف . الرجل الأول الذي كان في آخر المجموعة يهرب عندما يصل إلى حافة الكواليس) .

الرجل الأول : أنا ، ليس بعد .

(يبقى وحيداً على خشبة المسرح)

حقائبي !

(يتوجه إلى خلفية المسرح ، على يسار المتفرجين ، حيث توجد حقائبه . يأخذ الحقائب) .

سأخبركم عندما تحل اللحظة .





## المشهد السابع

(يتقدم الرجل الأول ناحية اليمين).

صوت : من هناك؟

الرجل الأول : أنا.

(يظهر شاب من ناحية اليمين، يحمل بندقية يسدها إلى الرجل الأول).

الشاب : قف مكانك!

(يرفع الرجل الأول ذراعيه لتسقط الحقيبتان على الأرض).

الرجل الأول : لا أحمل في حقائبي سوى مواد غير ضارة.

الشاب: كلمة السر.

الرجل الأول : لا يترك الظل فريسته.

الشاب : كررها بشكل واضح.

الرجل الأول : لا يترك الظل فريسته. والجواب؟

الشاب : الفريسة لا تترك ظلها.

(يضع السلاح تحت إبطه).

: ماذا تريد؟

الرجل الأول : مرشدا.

الشاب : ماذا تريد؟



- الرجل الأول** : أريد أن أعرف طريقي. وهدفني الحقيقي أيضًا.
- الشاب** : أنا أنتمي لشرطة الطرق. لكن قبل أن تتطرق إلى البحث عن مرشد مثير للجدل في رأيي، وإن كان هذا الأمر يخصك، إلا أنني أريدك أن تجيب عن أسئلة أبي الهول.
- (يختفي الشاب، ويظهر أبو الهول، يمكن أن يكون أبو الهول هو الشاب نفسه وقد زود بجناحين ورأس حشرة).
- أبو الهول** : ستجيب عن أسئلتي. وهي: من الحكمة أن يحتفظ المرء بالأشياء الجيدة للآخر؟
- الرجل الأول** : (يصمت).
- أبو الهول** : أجب بسرعة. يجب الإجابة في اللحظة ذاتها. من الكياسة أن يحتفظ المرء بالأشياء الجيدة للآخر. أجب.
- الرجل الأول** : هذا هو المقصود .
- أبو الهول** : تشكل طرودًا غير مسجلة.
- الرجل الأول** : القذائف.
- أبو الهول** : لا يستطيعون لمس القلوب من دون أن يتحولوا إلى اللون الأحمر. بالجمع.
- الرجل الأول** : الشفرات.
- أبو الهول** : نبيلة عندما تبدو جميلة.
- الرجل الأول** : الروح.



أبوالهول	:	عنصر شديد الصغر في شبكة اتصالات مهمة.
الرجل الأول	:	عرق صغير.
أبوالهول	:	أسلاك.
الرجل الأول	:	الكتب.
أبوالهول	:	لا بد أنه كان محملاً بها.
الرجل الأول	:	الأطلس.
أبوالهول	:	بطبيعة التأنيث، من دون أن تكون عقيمة الفائدة.
الرجل الأول	:	بل أساسية بتاء مربوطة.
أبوالهول	:	روائي معروف، من حرفين.
الرجل الأول	:	سو، يوجين سو.
أبوالهول	:	لا بل بو، ادجار بو. احذر إنه الخطأ الأول. لا يمكنك أن تخطئ أكثر من مرتين.

في محافظة مورت وموزيل.

الرجل الأول	:	محافظة تول الفرعية.
أبوالهول	:	أمام مرجريت.
الرجل الأول	:	القديسة.
أبوالهول	:	لا بل دولاب المغزل: خطأ.. لك الحق في خطأ ثالث. وهي مكسورة نستعملها دائماً.
الرجل الأول	:	الياقات الياقات المكسورة.



- أبو الهول : لا بل البسلة المشقوقة. يجب ألا يضيف الماء إلى الشراب.
- الرجل الأول : الموظف المسؤول عن الخمر.
- أبو الهول : عندما تفرغ، نشعر بالراحة.
- الرجل الأول : الحقيقة.
- أبو الهول : من الحكمة أن يحتفظ المرء بالأشياء الجيدة للآخر.
- الرجل الأول : سبق أن قلت لك ذلك... إنها كلمة السر.
- أبو الهول : صحيح، قلت ذلك في البداية. ولكنك لم تحتفظ بها للنهاية. أنت راسب. مطرود. أرفض منحك تصريحًا بالإقامة.

(يختفي أبو الهول).

- الرجل الأول : ولكنني عرفت كلمة السر. وأجبت عن العديد من الأسئلة. كان يجب أن أحصل على درجة أعلى. على الأقل على ١٤ من عشرين.





## المشهد الثامن

(الرجل الأول الرجل ذو المجداف).

الرجل الأول : ألم تقل أننا في باريس؟ أما كان عليك أن تصحبني إلى الفندق؟ والآن تقول لي أننا على سطح سفينة. مظلم هذا السطح.

الرجل ذو المجداف: باريس مدينة كبيرة. يجب أن نستقل القارب كي نصل إلى الفندق.

الرجل الأول : أين بقية المسافرين؟

الرجل ذو المجداف: إنهم في الطابق السفلي. في عنبر القارب. سيحضر الكثيرون بعد قليل. أسرع في النزول لو كنت تريد الحصول على فراش. سيبقى العديد منهم جالسين، أو جالسين القرفصاء حول الأسرة المقدسة.

الرجل الأول : لا أريد الاختلاط بكل هؤلاء الناس لا أعرفهم. أريد غرفة فردية جيدة.

الرجل ذو المجداف: لا يمكنني أن أتصرف في غرف. يجب أن تطلب ذلك من ربان السفينة.

الرجل الأول : وأين هو هذا الربان؟

الرجل ذو المجداف: في مركز القيادة. لا تقلق، إنه يمر من وقت لآخر على سطح السفينة ليستقبل المسافرين الجدد.

الرجل الأول : وحقائبي؟ تركت حقائبي في القارب.

الرجل ذو المجداف : اهدأ قليلاً. لم أنس. سأحضرها لك.



(الرجل ذو المجداف يخرج).

الرجل الأول : من الجنون أن يترك الحقائق في القارب. يمكن أن يسرقها أي شخص.

(ينظر حوله).

: لا يبدو أنه سطح سفينة. ربما كان مجرد رصيف لمحطة بحرية.

(يأتي الرجل حاملاً الحقيبتين في يديه وواضعاً المجداف تحت إبطه).

الرجل ذو المجداف : ها هي حقائقك.

(يضعها عند قدمي الرجل الأول).

: لا شيء يضيع. رأيت، حتى أنك لم تكن قد وضعت اسمك عليها. النظام هنا لا يسمح بضياع شيء. يحضر المسافر دائماً إلى هنا ويسافر مع حقائقه.

الرجل الأول : كان لدي ثلاث حقائق.

الرجل ذو المجداف: بل اثنتان فقط.

الرجل الأول : ثلاث، ثلاث حقائق.

الرجل ذو المجداف: اثنتان، يا سيدي، اثنتان.

الرجل الأول : أنا أعرف ما أقول. تتقصني أهم حقيقة، الحقيقة التي تحتوي على ملابسني وخاصة على المخطوط



الخاص بي.

الرجل ذو المجداف: لم يكن لديك سوى حقيبتين، كنت قد حملتهما كل حقيبة في يد، وليس لدي سوى يدين، لم يكن هناك سوى حقيبتين. أنت تتصور أنه كان معك ثلاث حقائب. أو ربما تكون قد نسيتها في مكان آخر. يجب أن أتركك يا سيدي.

الرجل الأول: كان عليك أن تصحبني حتى الفندق.

الرجل ذو المجداف: انتهت مهمتي. لقد أسأت الفهم. كان عليّ أن أصحبك إلى هذا المركب.

الرجل الأول: ليس هذا سطح مركب. ليس هذا سوى الرصيف الطويل للمحطة البحرية.

الرجل ذو المجداف: إلى الرصيف، إن شئت. لا تقلق، ستجد من يعاونك.

الرجل الأول: تسخرون مني.

الرجل ذو المجداف: كل ما حدث أنني نفذت أوامرك.

الرجل الأول: لن تحصل على بقشيش.

(يخرج الرجل ذو المجداف من على يسار المشاهدين)

ومخطوطي؟ على أن أعيد كتابته. أن أبدأ من جديد، من أول سطر حتى آخر سطر. لا أذكر ماذا كتبت. هذا المخطوط، كان ثروتي الوحيدة.

(يظهر شاب في خلفية المسرح يرتدي زيًا رسميًا).



**الشاب :** لا بد أن حقيبتك في مدينة ليون. ومن ناحية أخرى لو كنت تريد القيام برحلة بحرية إلى الشرق، فلا بد أن تبدأ السفر من باريس. أنا نفسي مسافر.

**الرجل الأول :** في باريس توجد مطارات، ولا توجد محطات بحرية.

**الشاب :** لا أستطيع أن أخبرك، يا سيدي.

**الرجل الأول :** في باريس توجد مطارات ولا توجد محطات بحرية. أليس كذلك؟ ربما كان علينا، أن نستقل طائرة لنصل إلى محطة بحرية موجودة في مكان آخر.

**الشاب (يهزكتفيه) :** لا أعلم. استقل الطائرة.

**الرجل الأول :** لا أحب الطائرة كثيرًا. فأنا أشعر بالخوف في الطائرة.

**الشاب :** تخاف في الطائرة؟ ممن تخاف؟

**الرجل الأول :** ولكنني سأستقل الطائرة إذا لزم الأمر. فلست على أي حال أكثر جبنًا منك! ليس لأنك ترتدي الزي الرسمي...

(يخرج الشاب من جهة اليسار)

**الرجل الأول (وحده) :** هل صحيح هناك مطار في باريس؟ وهل هناك محطة بحرية أم لا؟ لا أستطيع أن أتذكر. لا أستطيع. وأين أجد مكانًا مريحًا بينما يتقاذفونني من هنا وهناك، أين لي أن أجد مكانًا هادئًا كي أكتب، كي أعود لأبدأ الكتابة من جديد؟





(تدخل امرأة من على يسار المشاهدين، متوسطة العمر، ترتدي ملابس حداد).

المرأة

:( تتجه مسرعة ناحية الرجل الأول): لو أردت أن تستقل الطائرة، فعليك أن تبدأ باستقلال القطار. الرحلة ليست طويلة، كما أنها ليست قصيرة. يأخذك القطار مباشرة إلى المطار، ولن تضطر إلى تغيير القطار. ولكن احذر، عليك أن تستقل العربة المناسبة. فهذا القطار يمر بانتظام، وهو يتوقف هنا، على الرصيف، أمامك بالضبط. في واقع الأمر هو لا يتوقف؛ إنه يبطئ من سرعته فقط. لا تجعله يفوتك. ليس هذا بالشئ الصعب. عليك أن تدفع، وتمسك بالمقبض وتتعلق به. هناك دائماً ثلاثة أو أربعة مسافرين يريدون أن يستقلوا هذا القطار. ما عليك إلا أن تسرع أكثر منهم. أنت سريع خفيف ولا شك.

(تختفي السيدة)

الرجل الأول : ومع ذلك فأنا أخشى أن يفوتني القطار.

(تسمع صفارة وصوت قطار قادم. يتجه الرجل إلى يمين المشاهد ثم يتوقف).

:( آه! حقائبتي! لا يمكنني أن أترك حقائبي. لقد سبق أن فقدت واحدة. تلزمني يد فارغة أستطيع بها أن أتشبث بالمقبض.... حمال! حمال! أما من أحد؟ حمال!)



(يدخل موظف، على رأسه قبعة، وييده راية صغيرة حمراء).

أخيراً! سيأتي القطار، هل يمكنك مساعدتي في إدخال حقائبي داخل القطار؟ هاتان الحقيبتان. يجب قذفهما داخل العربة بينما يبطئ القطار من سيره.

الموظف : لست حمالاً.

الرجل الأول : استدع حمالاً! سأجزل له الأجر.

الموظف : لا يوجد حمالون في هذه المحطة.

الرجل الأول : إذن ساعدني. وسأعطيك أنت المال.

الموظف : ممنوع قانوناً.

الرجل الأول : ليس من حقك أن تتلقى نقوداً؟

الموظف : تستطيع إعطائي كل ما تريد. أنا أقبل، ولكن ليس من حقي حمل حقائبك.

الرجل الأول : ومع ذلك سأعطيك بعض العملات الأجنبية.

(يبحث في جيوبه)

تبينت أنني لا أملك أي نقود.

الموظف : لا بد أنك تركتها في حقيبتك الثالثة.

الرجل الأول : صحيح. ولكن ماذا سأصنع بحقائبي، وأنا أركب القطار؟

الموظف : من عادة المسافرين أن يعتمدوا على أنفسهم.



- الرجل الأول : أخشى أن يفوتني القطار.
- الموظف : أي قطار؟
- الرجل الأول : القطار الذي سيصل بعد لحظة. لقد أعلنوا عنه.
- الموظف : لقد مر. ألم تره؟ لقد مر أمامنا منذ لحظة.
- (لم يمر أي قطار)
- الرجل الأول : لم أره. على أن أنتظر القطار التالي. هل سيصل  
حالا؟
- الموظف : لا أعرف... على أي حال، ليس مسموحاً أن تبقى  
طويلاً هنا. نحن في المنطقة لا يسكنها بشر.
- (no man's land) ممنوع البقاء هنا، ومن يخالف  
يكون عقابه الموت.
- الرجل الأول : عقابه الموت؟ ليس هذا عدلاً.
- الموظف : إنه قانون الـ no man's land<sup>(١)</sup>.

(١) no man's land عبارة إنجليزية استحدثت أثناء الحرب العالمية الأولى وتعني «المنطقة التي لا يسكنها بشر». (المترجمة).

## المشهد التاسع

(تضاء خشبة المسرح إضاءة قوية. موسيقى مرحة، في البداية خفيفة ثم يرتفع صوت الموسيقى شيئاً فشيئاً).

تظهر عربة صغيرة، تخترق البلاتوه من اليسار إلى يمين المشاهدين، لو أمكن تسيير العربة فوق قضبان. لون العربة صارخ. العربة مزينة بالورود. على العربة، شاب يرتدي معطفا خفيفا صارخ الألوان أيضا. يبدو الشاب سعيداً. تتحرك العربة ببطء، تتزلق.

عندما تصل العربة إلى ثلث المسافة تقريباً، يظهر الرجل الأول من اليسار وهو يحمل حقيبتيه.

يرى الرجل الأول الشاب داخل عربته)

الرجل الأول : شافرا أنت شافرا

أنت الملك، شافرا

(تختفي العربة داخل الكواليس. يضع الرجل الأول حقائبه على الأرض وينظر طويلاً إلى حيث اختفت العربة. ثم يجفف جبهته.

تعود العربة للظهور من جديد ناحية اليمين، الشاب، أي شافر، مازال داخل العربة، بصحبته هذه المرة فتاة ترتدي ثوباً أبيض أو ثوب عرس وتمسك باقة زهور في يدها. يدندن شافر بمرح. تلقي الفتاة بزهرة من باقتها، للرجل الأول.





تتقدم العرية ببطء نحو الكواليس على يسار المتفرج).

**الرجل الأول :** يحيا شافرا! تحيا العروس! (يلتقط الزهرة ويشمها):  
سأحتفظ بها طول حياتي! (تختفي العرية؛ ثم تعود  
للظهور من على يسار المتفرج يتجه رجل آخر ناحية  
الرجل الأول، بينما يستمر هذا الأخير في النظر  
تجاه الكواليس إلى اليسار).

**الرجل الأول :** يحيا شافرا! تحيا العروس!

**الرجل الآخر :** (يفتزع الزهرة من يدي الرجل الأول): إنها ليست من  
حقك!

**الرجل الأول :** ليس هذا ذنبي. لم يكن أنا الذي... (يختفي الرجل  
الآخر داخل الكواليس على يسار المشاهد بينما  
تتوقف الموسيقى).

لم أسئ إليه. (ثم، في اتجاه الكواليس) لم أسئ إلى أحد. (يعود الرجل  
الأول لحمل حقائبه. تتغير الإضاءة).



## المشهد العاشر

**الشخصيات :** الرجل الأول (الرجل ذو الحقائق) - موظف جمارك - رجل ثالث يمكن أن يقوم بدور موظف الجمارك أو بدور شرطي في لحظة ما، لو لزم الأمر. امرأة.

**الديكور :** خشبة مسرح عارية. الجدار الخلفي يشكل عدة منازل منخفضة، مهدمة، لا يبقى منها سوى جدارين الجدار الأيمن والجدار الأيسر، ليس لهذه المنازل أسقف أو يمكن أن يكون لها أسقف متداعية.

خلف هذه المنازل، وعلى الخلفية، نرى خيالات ترفع لبيوت عالية لا معقولة، غريبة الشكل، بعضها تم بناؤه والبعض الآخر جار بناؤه، العديد من هذه البنايات تبدو وكأنها أبراج أجراس عالية. إضاءة معتمدة.

في بداية المشهد نسمع من على يمين المشاهد صوت صفارة سفينة، وهدير الأمواج، وصوت حبال السفينة وأصوات غير واضحة. على يسار خشبة المسرح يوجد وتد خشبي يلف حوله موظفا الجمارك - البحارة - الحبال.

صوت آت من الكالوس الأيسر: «انتبهوا للمعبر!» يسمع صوت معبر يتم تركيبه، ويرى جزء من المعبر وهو يصل.

من جديد تسمع أصوات مبهمة، فوضى، حشد غفير. لو كانت إدارة المسرح غنية بالمثلين، يمكن أن ترى مسافرين يحملون متاعهم وهم يهبطون من المعبر ثم وهم يضعونه على الأرض للحظة كي يتمكنوا من



إبراز أوراقهم الثبوتية للبحارين اللذين أصبحا موظفي جمارك؛ وقد وضع كل منهما القبعة الخاصة بموظفي الجمارك، كما ارتدى كل منهما حمالة يتدلى منها جراب مسدس. يسرع المسافرون حاملين أمتعتهم بعد أن تم فحص أوراقهم الثبوتية بواسطة موظفي الجمارك - الشرطة ويجتازون المنصة ثم يختفون في الكواليس على يمين المشاهدين.

يظهر الرجل الأول خلفهم).

الشرطي الأول : من أين أتيت؟

الرجل الأول : من السفينة.

الشرطي الأول : كنا على وشك رفع المعبر. لماذا أنت الأخير؟

الرجل الأول : لأن حقائبي ثقيلة وتعيقني.

الشرطي الثاني : يا سيدي إنك تضيع وقتاً طويلاً. لا يبدو أنك تتعجل في أمور حياتك.

الرجل الأول (أي الرجل ذو الحقائق): أنت مخطئ أنا دائماً يقظ، أتحرك باستمرار.

الشرطي الأول : لو سمحت أريد أن أطلع على جواز سفرك. علينا القيام ببعض الإجراءات.

الرجل الأول : ليس معي جواز سفر. لدي بطاقة شخصية، بل اثنتان: بطاقة زيارة وبطاقة شخصية حقيقية. ها هما.

الشرطي الأول : (للشرطي الثاني): أعرف هذا السيد معرفة جيدة. إنه صديق ومواطن من بلادنا.



**الشرطي الثاني :** في بطاقة الزيارة، اسمك فيلار ومهنتك moustiquaire (ناموسية) <sup>(١)</sup>.

وعلى البطاقة الشخصية مكتوب مارتى أو مارلى، لا أرى جيداً، أو ربما ثاردي.

**الرجل الأول :** بل موفتى. لا أعرف أنا نفسي. ربما كان حرف الميم هو حرف السين وقد كتب بشكل خاطئ أو ربما حرف الميم وحرف السين قد اختلطا بشكل متعمد لكي يشكلا حرفاً ثالثاً نتيجة لهذا الخلط ويشكلا صوتاً آخر. أنا نفسي، لا أعرف كيف أنطقه. كتبت هذا الاسم، الذي أطلقته على نفسي كي أسخر من مديري، في الأول من أبريل. في جواز السفر الذي أصدرته الدولة الفرنسية من بلدية باريس يوجد اسمي الحقيقي.

**الشرطي الأول :** البطاقة الشخصية تكفي بالنسبة للمواطنين الفرنسيين أو البارييسيين فقط.

**الشرطي الثاني :** لكن لماذا هذا الاسم المزيف؟

**الشرطي الأول :** البطاقة الشخصية صحيحة. الاسم فقط هو المزيف. ربما كان اسماً مستعاراً.

(يخلع الحمالة ويرفع القبعة)

أنا أعرف اسمه، أعرفه، إنه زميل، صديق طفولة، اسمه كورياكيدس.

(١) ربما تلاعب بونسكو بالألفاظ هنا وكتب moustiquaire بمعنى ناموسية بدلا من mousquetaire بمعنى فارس. (المترجمة).





**الرجل الأول (على حدة):** يجب على أي حال أن أتصل تليفونيا بباريس؟  
فلمست متأكدًا من أنه اسمي الحقيقي. (لشرطي الأول): فليكن، ما دمت تقول ذلك.

**الشرطي الأول (للرجل الأول):** لا تحمل ما يستوجب رسومًا جمركية،  
أليس كذلك؟ سأساعدك في حمل حقائبك، بلى،  
سأحمل واحدة وسأرافقك كي أريك المدينة التي لم  
ترها من زمن بعيد.

(يحمل الحقيبتين).

**الشرطي الثاني :** إذن يا سيدي تفضل بالدخول. بطاقتك تعطيك الحق  
في الدخول، ولكنني لا أعرف إن كنت ستتمكن من  
الخروج من هنا. ( يخرج )

الرجل الأول (يتقدم حتى وسط المنصة، يتبعه الشرطي الأول؛ ينظر  
من حوله): أمر غريب. لم ينتهوا بعد من تدمير المدينة القديمة تدميرًا  
كاملاً، وبدأت مدينة أخرى تظهر خلفها. أشعر بالحزن لرؤية المنازل على  
هذه الحال. هنا كان يسكن بعض أقربائي، ماتوا بالطبع، أو أغلبهم على  
الأقل، لكن لا بد أن بعضهم بقي على قيد الحياة، ترى أين يسكنون الآن؟  
كما كان لي أصدقاء، زملاء المدرسة، كنت أحضر لزيارتهم، كما كنت أعد  
معهم مشروعات كبرى. لا بد أنهم مازالوا على قيد الحياة. ماذا أصابهم؟  
جئت لرؤيتهم.

**الشرطي الأول :** يمكنك العثور عليهم، يمكن أن يقوم مكتب السكان  
أو قسم الشرطة بإعطائك بعض المعلومات عنهم،  
هناك. على سبيل المثال، يوجد قسم شرطة، هناك  
حيث يوجد العلم.



الرجل الأول : ليس نفس العلم. لقد غيروا العلم.

الشرطي الأول : لم يتغير العلم. ما اسم أقاربك وأصدقائك؟ نحن نعيش في العاصمة، لكن في الواقع، هي مدينة من مدن الأقاليم. لا بد أنني أعرف بعضهم.

الرجل الأول : هذا أصعب ما في الأمر. لم أعد أذكر أسماءهم. ولم أعد أذكر سوى مشروعاتهم. كانوا يريدون أن يصبحوا مديرين. ولكن ضع الحقائق على الأرض. أستطيع أن أعود لأخذها. بعد البحث.

الشرطي الأول : لا، إنها ليست ثقيلة.

(يفتش الرجل الأول في جيوبه).

: لا تبحث عن دفتر العناوين، تعرف أنك فقدته.

الرجل الأول : كان لدي اثنان.

الشرطي الأول : سقطا من جيبك عندما كنت على المركب. وقعا في البحر. أريد أن أساعدك في البحث عن زملائك من بيت إلى بيت.

الرجل الأول : مجهود كبير للذاكرة! بعض الأسماء تحضرني. جوليان على سبيل المثال.

الشرطي الأول : ذلك الطويل النحيل، ذو الشوارب.

الرجل الأول : لم تكن له شوارب.

الشرطي الأول : إنه رئيسي المباشر. وهو لن يستقبلك. إنه مشغول جدًا، هو مدير الشرطة. كما ترى هناك من حققوا



مشاريعهم وأصبحوا مديرين. لو أنكرك أصدقاؤك  
القدامي فيمكنك أن تكون صداقات جديدة.

**الرجل الأول :** في عمري هذا! لكن قصر العسكريين مازال واقفاً.  
أستطيع أن أتبين الآن. كيف أدور حول الزاوية، تاركا  
قصر العسكريين خلفي، وأتقدم نحو الشارع الكبير.  
أستطيع التعرف على الطريق. في الطرف الآخر من  
الشارع كان يوجد المنزل الذي أملك فيه شقة. كنت  
أعيش فيها مع أسرتي.

**الشرطي الأول :** أي شقة؟ أي منزل؟

**الرجل الأول :** أمام الحديقة العامة.

**الشرطي الأول :** لقد تم تغيير مكان الحديقة. فهي الآن في الطرف  
الآخر من المدينة.

**:** منزلك القديم قد تمت مصادرتة. تسكنه امرأة عجوز  
الآن ها هي ذي.

(تظهر امرأة عجوز من جهة اليمين، تقترب من الرجل الأول).

**المرأة العجوز (للرجل الأول):** لم ترد أبداً على رسائلي.

**الرجل الأول :** وأنت لم ترددي أبداً على خطاباتي. كثيراً ما كنت  
أكتب لك.

**المرأة العجوز :** ماذا تريد أن تعرف؟ لا أستطيع أن أشرح لك. لن  
تستطيع أن تفهم.

**الرجل الأول :** لماذا هذا التعبير البارد على وجهك؟ يجب ألا تحمل  
عليّ. وأنا كذلك، لا أستطيع أن أشرح لك. لا أعرف



إن كنت تريد أن أقبلك.

**المرأة العجوز :** جئت بمفردك؟ لم يكبر جانو أبداً. أعني معنوياً. أنا من يهتم به. ماذا سيكون مصيره عندما أرحل؟ لم يملك جواز سفر كي يسافر معك.

**الشرطي الأول :** ألا يعد ينوي السيد السفر الآن؟

**الرجل الأول :** بلى. أريد أن أعود بأسرع ما يمكن.

**الشرطي الأول :** لا بد أن تبدأ بإفراغ محتويات حقائبك.

(تخرج السيدة العجوز من على يسار المشاهد).

**الرجل الأول :** أتساءل عما إذا كانت فعلاً هي. لو كانت هي، فسأشعر بالسعادة لكونها مازالت على قيد الحياة.

**الشرطي الأول :** ليس من اللطف عدم الذهاب لرؤية الآخرين. لن أعيد لك حقائبك. ليس فوراً على أي حال. (من على يمين المشاهد يظهر رجلان، متوسطا العمر، فيليب وپول).

**الرجل الأول (للرجلين):** هل أعرفكما أم لا؟ بلى إني أعرفكما. أنت ماريوس وسيزار.

**الشرطي الأول :** كنت تريد رؤية أصدقائك: هاك اثنان: السيد فيليب والسيد پول، هما الاثنان أصبحا مديرين.

**فيليب (للشرطي الأول):** لماذا تتدخل؟

**پول :** إننا لا نستطيع الاهتمام بهذا الرجل وبهواجسه. لدينا أعمال كثيرة.





- الشرطي الأول : (للرجل الأول) هذا ما كنت أقوله لك.
- بول : أنت قادم من بعيد، كأجنبي، كمشاهد.
- الرجل الأول : أرى أن المدينة قد تغيرت كثيرًا، الشوارع كما هي، والسكان كما هم، وفي نفس الوقت مختلفون.
- فيليب (لرجل الشرطة الأول) : منذ متى يحمل موظف يرتدي زيا عسكريا حقائب الأجانب؟
- الشرطي الأول : أنا آسف.
- (يضع الحقائب على الأرض ويقف وقفة عسكرية).
- حيث إنه من العائلة، اعتقدت أن بوسعي فعل ذلك، اعتقدت أن هذا من واجبي. فالحقائب ثقيلة جدًا.
- بول : اتركه يتدبر أمره.
- الرجل الأول : كنت واحدًا من فريق التحرير في جريدتكم. أعطني العنوان الجديد. أريد أن أنشر تقريرًا عن رحلاتي.
- فيليب (لبول) : هل سمعت ما يقول؟
- بول (للشرطي الأول) : يمكنك أن تستمر في مراقبته، ولكن عن بعد، من دون أن يشعر بك.
- (يخرج الشرطي الأول من الجهة اليمين يعود فيليب وبول من حيث أتيا ويخرجان من الجهة اليمين).
- الرجل الأول : ماذا حدث؟ كنا كأشقاء. سبق أن عملنا معا. أنتم من طلب مني السفر. نسيتم ذلك. مر وقت طويل.



(يبقى الرجل الأول وحده لعدة لحظات. يحمل الحقيبتين في يديه).

أين الطريق؟

(يأتي رجل شرطة من الجهة اليمنى، حاملاً منضدة. ويأتي آخر حاملاً مقعداً).

يجلس رجل الشرطة الأول، وقد وضع مرفقيه على المنضدة، يبقى الشرطي الآخر واقفاً. يقترب الرجل الأول من منضدة الشرطي، حاملاً حقيبتيه).

الشرطي الأول : منذ وصولك إلى بلدنا، حاولت رؤية بعض الناس، والاتصال بكبار الموظفين: لماذا؟ بداية، اخلع قبعتك.

الرجل الأول : لا أفهم.

الشرطي الأول (للشرطي الثاني): لم يعد يفهم اللغة. ترجم ما قال.

الشرطي الثاني : قال إنه لا يفهم.

الشرطي الأول : الكل يقول نفس الشيء.

الرجل الأول : كنت أريد رؤية بعض الأصدقاء.

الشرطي الثاني : يقول إن رؤية بعض الأصدقاء لم تكن الهدف الحقيقي من رحلته.

الرجل الأول : جئت كسائح، بواسطة شركة سياحة. منحنتي سعراً مناسباً، لا أعرف لماذا استسلمت لإغراء العودة، حتى وإن كانت عودتي لفترة محدودة جداً.



**الشرطي الثاني :** يقول إنه حضر بهدف معرفة أشياء خفية، أشياء سرية، وإنه كان ينوي الاستعانة بعلاقاته القديمة كي يحصل على المعلومات. ويقول أيضًا إنه كان يرغب في البقاء عندنا لفترة طويلة، ربما إلى الأبد. والدليل على ذلك أن أول زيارة قام بها كانت زيارة المقابر.

**الرجل الأول :** لم أنس اللغة تمامًا. قلت إنني أريد الذهاب إلى المقابر لأن هناك العديد من الموتى من أهلي وأصدقائي. كنت أريد أن أتلو صلاة على قبورهم. وإذا قمت بخصم عدد الموتى سأعرف من هم الذين لا يزالون على قيد الحياة. مجرد عملية طرح بسيطة.

**الشرطي الأول :** الحسابات ممنوعة عندنا.

**الرجل الأول :** لم أعد مواطنًا من بلدكم.

**الشرطي الثاني :** يقول إنه لم يعد مواطنًا من بلدنا.

**الشرطي الأول :** لقد أسقطت هذه الأوراق أيضًا. هل تعرفها؟

**الشرطي الثاني (للرجل الأول):** لقد أسقطت هذه الأوراق أيضًا. هل تعرفها؟

**الرجل الأول :** نعم. بالتأكيد. كيف عثرتم عليها؟

**الشرطي الثاني (للشرطي الأول):** ليس متأكدًا تمام التأكد.

**الشرطي الأول (للرجل الأول):** ليس من حقك طرح الأسئلة عليّ.

**الشرطي الثاني (للرجل الأول):** ليس من حقك طرح الأسئلة عليه.

**الشرطي الأول :** (إلى الرجل الأول، وهو ينظر في الأوراق) إنه خطاب.

غير مقروء. غير مقروء، طبعاً ما دمت لا تعرف إلى  
من كنت توجهه. هذا ما قلته للتو.

الشرطي الثاني (للرجل الأول): هذا ما قلته للتو.

الشرطي الأول : ومع ذلك بالإمكان قراءة كلمتين: منافسة وعجز.

الشرطي الثاني (للرجل الأول): كتبت منافسة وعجز.

الشرطي الأول : يمكننا أن نعتبر ذلك بمثابة إهانة لرجال الشرطة.

الشرطي الثاني (للرجل الأول): يمكننا أن نعتبر ذلك بمثابة إهانة للشرطة.

الرجل الأول : لم يكن ذلك ما أقصده أبداً.

الشرطي الثاني (للشرطي الأول): إنه ليس متأكداً إنه كان يقصد هذا  
١٠٠٪ على الأقل وهو في كامل وعيه.

الرجل الأول : لست عدوا للسلطة. ولا أعمل بالسياسة.

الشرطي الثاني (للشرطي الأول): يقول أنه يبغض السلطة، وأنه أخفى هذا  
الأمر حتى الآن. ويقول أيضاً أن سياسته تتعارض مع  
سياستنا.

الرجل الأول (لرجل الشرطة): لم أقل ذلك.

الشرطي الأول (للرجل الأول): في هذه الحال، ماذا تقصد بكلمة  
«غاق»<sup>(١)</sup>؟

رجل الشرطة الثاني (للرجل الأول): ماذا تقصد بكلمة «غاق»؟

الرجل الأول (للشرطي الثاني): لا أعتقد أنك وجدت هذه الكلمة في أوراقى.

---

(١) الغاق هو طير بحري من فصيلة البجع (الترجمة).





الشرطي الثاني (للشرطي الأول): يقول إن خطه شديد الرداءة ويتساءل كيف استطعنا قراءة كلمة غاق في أوراقه.

الشرطي الأول : أجبني بدقة ودون تعليقات.

الشرطي الثاني (للرجل الأول): ماذا تعني بكلمة «غاق»؟

الرجل الأول : طائر كبير، قائد روماني، بطل رواية مغامرات.

الشرطي الأول (للشرطي الثاني): ماذا قال؟

الشرطي الثاني (للشرطي الأول): قال هو أرنب، طائر من فصيلة الدواجن أو طائر من فصيلة الغربان.

الشرطي الأول : هذا هو ما فهمت. ترى جيدا أنه واع تماما لما يقول وما يفعل.

الشرطي الثاني (للرجل الأول): وضعك خطير. ولكن غير ميئوس منه. سأحاول أن أساعدك.

الشرطي الأول (للرجل الأول): أرى أيضًا في أوراقك تعبير «هذا ليس هليون»<sup>(١)</sup> ثم «هذا ليس ساق هليون».

الشرطي الثاني (للشرطي الأول): هذا يعني: «سأحسن ما أفعل في المرة القادمة».

الشرطي الأول : فعلا، العبارة غير واضحة. «للرجل الأول»: في أي اتجاه ستتحسن في المرة القادمة؟

الرجل الأول : في كل الاتجاهات.

الشرطي الأول (للشرطي الثاني): ماذا قال؟

(١) الهليون: نوع من الخضر ( المترجمة )



الشرطي الثاني (للشرطي الأول): قال في كل الاتجاهات.

الشرطي الأول (للشرطي الثاني): إنه ماكر.

(للرجل الأول) : في الظاهر، عبارة «هذا ليس هليون وليس ساق هليون» لا يمكن أن تعتبر إهانة للشرطة. هذا ما يكفر عن كل شيء. ما يمحو أفكارك السيئة. تستطيع أن تمضي. هيا، أنت حر. (للشرطي الثاني): يجب الاستمرار في مراقبته. لتقم بهذه المهمة.

الرجل الأول (للشرطي الثاني): ماذا قال؟

الشرطي الثاني (للرجل الأول): إنك حر. يمكنك الخروج.

الرجل الأول (للشرطي الثاني): شكرا. أشعر أنني لست بخير، من دون جواز سفري. هل يمكنك إرشادي إلى مكان السفارة الفرنسية أو قنصلية أكاديمية باريس حتى يستخرجوا لي جوازاً جديداً؟

(يخرج الشرطي الأول حاملاً منضدته ومقعده).

الشرطي الثاني (للرجل الأول): سر في خط مستقيم، ستجد على أي حال السفارة أو الأكاديمية. سر في خط مستقيم، المدينة مستديرة. أنت بحاجة لهذا الجواز، لو أردت التنقل داخل البلد، فلن تستطيع الخروج منه من دون جواز سفر معتمد، في طريقك، وقبل أن تصل إلى المكان الذي تريده، ستجد بركة كبيرة. هل لديك حذاء برقبة؟ بعد البركة، ستجد الأكاديمية القديمة، وهي الآن محتلة عسكرياً، وليست هي الأكاديمية التي نغنيها. عليك أن تتابع سيرك. ستمر بالتأكيد



في شوارع بلا منازل أو بمنازل مشتعلة، ولكن  
بعد ذلك، أسفل الساحل ستجد منازل أصدقائك  
مطمورة بعض الشيء. لا، لا، سأحتفظ بحقائبك  
كرهن. عندما تنتهي من رحلتك، أعيدها إليك.

(يخرج الشرطي الثاني حاملا الحقيبتين).

**الرجل الأول :** ماذا سأفعل من دون حقائبي؟

**:** لا جواز سفر ولا حقائب. لم أسأل عن اسم الشارع.

(يحاول قراءة اسم شارع كتب على إحدى اللوحات).

**:** لم أعد أعرف لغة البلد. كما أنه كتب باللاتينية  
أيضاً، وقد نسيت اللاتينية. ماذا أفعل؟ في خط  
مستقيم كما قال.



## المشهد الحادي عشر

(تظهر امرأة من الجهة اليمنى)

**الرجل الأول (للمرأة):** عفوًا سيدتي، هل يمكن أن ترشديني؟ ألا تعرفين أين توجد سفارة باريس؟ لقد فقدت جواز سفري، وفقدت حقائبي. أريد الحصول على ورقة من السفارة كي أثبت شخصيتي. لا يمكنني البقاء ولا الخروج. يلزموني تصريح كي أخرج وأعود إلى بيتي. أنا مسافر أجنبي. في الواقع ليس أجنبيًا بمعنى الكلمة، أنا مواطن قديم، أجل، أنتمي لبلدكم هذا. ربما كنت مزدوج الجنسية، ولكني الآن لا أحمل أية جنسية. فقط السفارة أو القنصلية تستطيع إخراجي من هذه المأزق.

**المرأة**

: كيف يا سيدي؟ أنا لا أفهم ما تقول.

**الرجل الأول**

: أقول أنني أبحث عن سفارتي، أنا لا أفهم هذه الكتابات لأنها باللغة اللاتينية. كنت أعرف اللاتينية في الماضي، ولكنني نسيت كل شيء: إذن أرشديني إلى الطريق.

**المرأة**

: أنا لا أفهم كلمة واحدة. ما هي اللغة التي يتحدثها هذا الرجل؟ أنت أجنبي ولا شك.

**الرجل الأول**

: سائح أجنبي. جئت من باريس. في الواقع، لا أعرف ما إذا كنت أجنبيًا أم لا.

**المرأة**

: إنه حتى لا يعرف ما إذا كان أجنبيًا أم لا، معنى





هذا أنه أجنبي. وإن كان لا يعرف. فمعنى هذا أنه  
يختبئ. لا بد أنه مثقل الضمير.

الرجل الأول : أؤكد لك أنني لم أقترف ذنبًا. لم أخطئ في شيء.  
المرأة : ليس أنا من يحكم على الأمر. ثم أنني لا أفهمك.

(يظهر شرطي من جهة اليسار).

الشرطي (للمرأة): ممنوع التحدث مع الأجانب.

المرأة : هو الذي بادرني بالحديث.

الشرطي : كان يجب ألا تردى عليه.

المرأة : على أي حال لم تكن محادثة حقيقية أنا لا أفهمه.  
ولا أعرف بأي لغة يتحدث.

الشرطي (للمرأة): أنا ألقى القبض عليك. هيا إلى قسم الشرطة.

المرأة : ما دمت أقول لك إنه هو من بدأ الحديث. لا تفعل  
ذلك. أولادي في انتظاري.

الشرطي : ستتكفل بهم الدولة. تستطيعين الشرح في قسم  
الشرطة.

(يتجه الشرطي نحو باب الخروج، إلى اليسار، مصطحبًا المرأة).

الشرطي (قبل أن يخرج، للرجل الأول): أما أنت، فإنك تحت المراقبة.

: ندرس حالتك.

الرجل الأول : سأقدم بشكوى لسفارتي.



الشرطي : لا توجد سفارة.

(يخرج الشرطي مع المرأة).

الرجل الأول : بلى، توجد واحدة. تأكدت من ذلك قبل حضوري إلى هنا.

(يظهر رجل ثان من جهة اليمين)

الرجل الثاني (للرجل الأول): كنت قد أنذرتك. وقلت لك لا تقم بهذه الرحلة، ولا تترك بلدك، ولا تخرج من باريس بل ومن الحي الذي تسكنه، بل ولا حتى من شقتك. ما هذا الهوس الذي يدفع إلى السفر. قلت لك ذلك، وكررت أكثر من مرة. الخطر في كل مكان. لا سيما في حالتك. كنت في مأمن. وسبق أن وعدتني أنك لن تسافر وأن تبقى هادئاً. ولكن ها أنت، تتجول، تتحرك، وتتسى.

الرجل الأول : لقد نسيت. أعني أنني أذكر أنني سبق أن قررت ألا أعود أبداً إلى هذا البلد. نسيت كيف نسيت هذا الأمر. نسيت كيف قررت الحضور إلى هنا. كيف اتخذت هذا القرار؟ في واقع الأمر، لم يكن هذا قراراً بالضبط. ربما تصرفت بطريقة آلية لا بد أنني فعلت هذا في الحلم.

الرجل الثاني : أنت تتمتع بروح المغامرة. ولكنك لا تمتلك شجاعة مغامراتك. تظن نفسك شخصاً جريئاً لا يبالي بالمخاطر. ولكن ليس لديك الاستعداد النفسي للقيام بهذه المغامرات. في الصباح تشعر بالخوف...



- الرجل الأول :** في الفجر، أجل، أشعر بالخوف. في الليل أيضاً،  
أثناء فترات الأرق التي تتتابني..
- الرجل الثاني :** ... في فترة بعد الظهر، تصبح شجاعاً، بعد الحقن  
التي تأخذها.
- الرجل الأول :** هل نحن في الصباح أو بعد الظهر؟
- الرجل الثاني :** فترات بعد الظهر قصيرة في هذا الوقت من  
السنة. ها هو ضباب الليل يهبط. وتتبدد شجاعتك  
كالدخان.
- الرجل الأول :** لا أحب الظلام. أعترف بأنني خائف، خائف جداً  
في هذا البلد الخطر. لو لم أكن سوى سائح، فإن  
السياح لا يتهددهم شيء. لم أنجح أبداً أن أصبح  
سائحاً حقيقياً. لقد أقيت بنفسي في فم الذئب.  
في مغارة الشيطان، في بطن الحوت، على أبواب  
الجحيم، في الجحيم نفسه.
- الرجل الثاني :** كل هذا بسبب غبائك. بسبب جهلك بنفسك وبما  
تمتلك من إمكانيات. كنت تعيش في واحة محاطة  
بالجحيم. كنت مرتاح البال. ها هم سياحي. وأنا  
مرشدهم. (يظهر من جهة اليسار مجموعة من  
السياح (ملابس سياحة، آلات تصوير...)) رجلان  
وامرأتان. الرجل الثاني الذي يسير خلف السياح  
الثلاثة يحمل حقيبتين).
- السائح الأول (للرجل الثاني):** آه! ها أنت ذا. (للسياح الآخرين): ها هو  
مرشدنا. (للرجل الثاني): ماذا سترينا اليوم من



أشياء جميلة؟ هل سنرى زهرة فم الذئب<sup>(١)</sup>.

الرجل الأول (للسياح): لا تضعوا أنفسكم في فم الذئب<sup>(٢)</sup>!

السائح الأول : براثوا فم الذئب!

السائح : فم الذئب.

السائحة الثانية : شيء مسل.

السائح الثاني : شيء مفيد!

الرجل الثاني : هذا ضمن البرنامج.

السائح الثاني : وكهف الشيطان؟

السائحة الأولى : وبطن الحوت؟

السائحة الثانية : وأبواب الجحيم؟

الرجل الأول (للسياح): لا تذهبوا إليها. أرجوكم، لا تذهبوا إليها.

الرجل الأول (للسياح): سنرى أبواب الجحيم قبل الظهيرة. سنتناول غذاءنا هناك.

الرجل الأول (للمرشد الذي لا ينصت إليه): أصحابهم إلى المتحف فقط.  
(للسياح) إلى المتحف فقط.

السائح الأول (لِلرجل الأول): نحن لا نخشى شيئاً.

السائح الثاني : نحمل جوازات سفر مستوفاة.

السائحة الأولى : وتأشيرات.

(١) زهرة عطرية متعددة الألوان تسمى أيضاً أنف العجل (الترجمة).

(٢) تعبير فرنسي شائع يعني لا تلقوا بأنفسكم في التهلكة (الترجمة).





السائحة الثانية : وسفارتنا .

السائح الأول : وتذاكر سفر ذهاب وإياب محجوزة بأسمائنا .

السائح الثاني : أماكن محجوزة في الطائرة .

السائحة الأولى : وأماكن على الباخرة التي سنكمل عليها رحلتنا .

السائحة الثانية : كل شيء مستوفي الشروط .

الرجل الثاني : كل شيء مستوفي الشروط بالنسبة لهم .

الرجل الأول (للسائحة الأولى): إني أعرفك سيدتي. أنا من بلادك. ولكني لا أحمل جواز سفر. هل تعرفينني؟ أنا جارك. أسكن في نفس الحي. كثيرا ما تقابلنا. (للسياح الآخرين، الواحد تلو الآخر): هل تعرفونني؟ قولوا إنكم تعرفونني. لقد سافرنا معا. ولكنني تهت عن المجموعة. في الواقع كان يجب أن أكون معكم. خذوني معكم.

(السياح الآخرون الواحد تلو الآخر يحدقون مليا في وجه الرجل الأول، يبدو عليهم الدهشة ويقولون الواحد تلو الآخر):

السائح الأول (للرجل الأول): أنت مخطئ، يا سيدي.

السائحة الأولى : أنا لا أذكرك.

السائح الثاني (للرجل الأول): أنت تخلط الأشياء. لم نجلس أبدا على نفس المقهى. أنا أعرف كل سكان الحي، أسكنه منذ عشرين عاما. لم أرك أبدا.

الرجل الأول (للسائحة الثانية): سيدتي، لقد ساعدتك الأسبوع الماضي



في السوق في حمل حقيبة المؤن.

السائحة الثاني (للرجل الأول): لا أشتري مؤنا أبدًا.

الرجل الأول : عجبًا! هذا غير ممكن، تذكرني جيدًا.

الرجل الثاني (للرجل الأول): عجبًا، عجبًا ماذا؟ ألا تدرك أنك تقول

سخافات (للسياح) هيا سيداتي سادتي، اتبعوني.  
السيارة في انتظارنا.

: (يخرج الرجل الثاني من الجهة اليمنى، يتبعه السياح،  
الذين يسرعون بخفة وهم يطلقون صرخات مرح.  
يختفون. عند خروجه، بترك السائح الثاني حقائبه  
في وسط خشبة المسرح).

الرجل الأول : (صارخًا باتجاه بقية الشخصيات التي تخرج تباعًا):  
لا تتركوني وحدي! (ينظر إلى الحقائب).

: يقولون إنهم لا يعرفونني، بينما كانت حقائبي معهم.  
لم أحسن الحديث إليهم. بالتأكيد، لم أحسن الحديث  
إليهم. (يأخذ الحقائب ويجلس على إحداها).

: لا بد أن الحل كان في الحقيبة الثالثة. هل نسيتها؟  
هل سرقوها مني؟

: (تمر فتاة من جهة اليسار). يا آنسة، يا آنسة! أنت  
شخص أعرفه. في الإجازة، منذ... عدة أسابيع، منذ  
عام. چاكليين، أليس كذلك؟ كنت في الثامنة عشرة.

الفتاة : صحيح. الآن عمري خمسة وعشرون.

الرجل الأول : سريعًا خمسة وعشرون؟ يمضي الزمن سريعًا.



**الفتاة**

**الرجل الأول**

: يمضي الزمن سريعاً. ألم تكن تعرف ذلك؟  
: بالطبع، ومن لا يعرف ذلك؟ ولكن ليس بهذه السرعة.  
لا، لم أكن أعرف أنه يمر سريعاً هكذا. قلت لي إنك  
كنت في الثامنة عشرة في العام الماضي.

**الفتاة**

**الرجل الأول**

: أنا في السادسة والعشرين. حتى الآن.  
: ستلحقين بي قريباً. أنا من جيل لحظاته أكثر طولاً.  
في زمن أبي، كانت اللحظات أكثر طولاً بشكل  
واضح. كانت كل لحظة تستمر أسبوعين. أسبوعان  
من أسابيع أيامنا هذه. كان أبي يقول لي إنه عندما  
نبلغ الخامسة والثلاثين من العمر نكون قد وصلنا  
إلى النهاية. كان أسلافنا يموتون وهم في ريعان  
الشباب، ولكن عمرهم كان طويلاً، أطول من عمرنا  
بكثير.

**الفتاة**

: هذا هو السبب في أن الشبان ينتحرون أو يقتلون.  
لأنه يتم تثبيتهم في شبابهم، إلى الأبد داخل  
مجموعات الأبدية. على أن أسرع. فسأحتفل بعيد  
ميلادي. يجب ألا يفوتني، وإلا، لو جاوزت الساعة،  
فسأضطر للاحتفال بعيد ميلادي الثلاثين. وهذا  
يستلزم زهوراً كثيرة. فترتفع التكلفة.

(تخرج)

(يمر رجل من اليسار إلى اليمين).

**الرجل**

: الأمر يختلف من مكان لآخر. هناك بلاد البطء.  
وهناك بلاد السرعة.

(يخرج الرجل كما يخرج الرجل الأول حاملاً حقائبه).



## المشهد الثاني عشر

(خشبة المسرح خالية)

(تدخل امرأة من خلفية المسرح)

المرأة : (عليها أن تقوم بكل براءة وحيرة بادعاء ما يسببه الهجر من عذاب): كابيننة لو سمحت.

(أحد الرجال يحضر كابيننة تليفون ويضعها وسط البلاتوه. ينسحب. تدخل المرأة إلى الكابيننة وترفع السماعة):

المرأة (تطلب الرقم) : ٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١ ألوا! اهو أنت يا حبيبتي؟ هذا أنا. أنا داخل كابيننة تليفون متحركة، نعم جواله. نعم ابتكار من هيئة البريد. الأطباء هم الذين تدخلوا. وحصلوا على ذلك. أحضرها لي أحد ممرضى المستشفى. وهي ليست للمرضى فقط، بل للجميع بشكل عام. لا أعلم. إنها من أجل الصحة، من أجل سلامة البلاد من الأمراض. لا، لا، ليست من أجل التجسس. لا يوجد أحد، أنا متأكدة من أنها غير موصلة بخط آخر. لم أعد مريضة، تركوني أخرج. أنت من طلب مني الاتصال. لا، لم يتغير شيء. لا تعتقدين ذلك. هل أستطيع أن أحضر إليك... هل أستطيع أن أحضر الآن؟

(يأتي من خلفية المسرح الرجل الأول بحقيبتيه. يقترب من الكابيننة).

الرجل الأول : التليفون. ربما أكون قد أنقذت.





**المرأة (في التليفون) :** لا تريدان أن أحضر؟ لا، لن يغضب زوجك. تعرفين ذلك؛ كنا معا في المدرسة. كان موافقا. لم يكن يفار مني. هو يعلم جيدا أنني أحبك، وأنتك تحبينني. هل هو شخص آخر؟ هل غيرت زوجك؟ من هو؟ ذلك الشاب الأشقر؟ إنه لطيف. سبق أن رأيته عندك. لا أعرفه؟ لا يعرفني؟ ألو، لا يريد أن يعرفني؟ هذا فظيع.

الرجل الأول (يضع حقيبتيه على الأرض ويفتح باب الكابينة): سيدتي، اسرعي. علي إجراء مكالمات عاجلة.

**المرأة :** لحظة يا سيدي. من فضلك (تمسك بالسماكة من جديد): غير معقول. منذ يومين، عندما دخلت المستشفى، كان هو نفسه، لم يتغير. تقولين منذ ستة أشهر؟ يا إلهي، الزمن شديد النسبية! لست مخطئة معي التقويم، تقويم القطب الشمالي المداري<sup>(1)</sup> (N.E.P) معك تقويم مختلف؟ هل عند التقويم الرسمي؟ الرسمي كان تقويمي، كان تقويمنا. لم يعد لدينا أشياء مشتركة؟ ولا حتى الزمن؟ ماذا سنصنع، ماذا سيكون مصيري؟

**الرجل الأول :** أسرع يا آنسة، أسرع.

**المرأة (للرجل) :** لم يعد لديها نفس التقويم.

**الرجل الأول :** هذا ما يمنعك من الاتصال هاتفيا، ثم إنني أريد أن أقضي حاجتي.

(1) (N.E.P): اختصار لتعبير : North eleptic pole القطب الشمالي المداري.



(من دون أي إيماءة؟ من دون أي قلق، قلق الطفل).

المرأة : وأنا أيضًا. ولكنني أتماسك. أقضي حاجتك أولاً، ثم بعد ذلك اتصل. بهدوء.

(ببساطة شديدة، من دون أي تأثيرات كوميدية ومن دون ابتذال، كما لو كان قلق الأحلام).

الرجل الأول : عليّ أن أتصل أولاً. عليّ أن أتصل الآن، حالا.

(يبقى في مكانه)

المرأة (في التليفون): ما دمنا في أزمنة مختلفة، فيمكن أن نلتقي في مكان آخر. في الفضاء. في المكان الذي تحدديه. اسمعي، كنا مثلنا مثل التوأم. تقولين وهم؟ إنه رفض إذن. إني أحبك يا عزيزتي. أموت من غيرك. كما لو كنت ممزقة إلى جزئين وأنا وحدي أشعر بأنني لا أملك إلا نصف قلب.

الرجل الأول (على حدة، في قلق): هل أتصل أولاً، أم أقضي حاجتي أولاً،

: ما هو الأكثر حكمة؟

المرأة (في التليفون): لا تريد حقاً؟ كنت أنظر إلى صورتك بلا توقف. كنت أتأمل عينيك، وأداعب شعرك. وعندما أغلق عيني كنت لأزال أرى وجهك. في الليل، في أوقات الأرق، كنت أراك في أثناء الكوابيس، وفي نهايتها كانت صورتك تبعث في قلبي الطمأنينة. كنت موجودة. ألم تعرفي ذلك؟ ماذا يهمني لو أن زوجك



يعمل في قذف القنابل من الطائرات وأنه يقتل  
ويسحق؟ كل هذا هراء. ليس هناك غيرك أنت، يا  
زهرتي وأيقونتي.

**الرجل الأول :** لم أعد قادرًا على الاحتمال، يا سيدتي، أسرع،  
تفهمي حاجتي.

**المرأة (للرجل الأول):** انهض يا سيدي (في التليفون): افهميني يا حبيبتي.

**الرجل الأول (من دون أي حركة):** لا يهمني ذلك، افهمي، لا يهمني.

**المرأة (في التليفون):** افهميني، أرجوكي، أتوسل إليك أتضرع إليك. هل  
أخطأت في رقم التليفون؟ آه، حسنًا، ليس أنت؟...  
تقولين أنه أنت، برقم آخر. مصائب العالم الكثيرة ربما  
تمنعك من التفكير في مصائبي. لا تبالي بمصائب  
العالم فليكن، ولكن اهتمي بمصيبتي أنا، أرجوكي،  
اهتمي بها. كاستثناء يا ملاكي يا شيطاني.

(تنتحب). لم أعد سوى خرقة بالية.

**الرجل الأول :** سيان بالنسبة لي. أسرع. إنه دوري.

**المرأة (في التليفون):** إني أموت، أسمعين، سأموت. نعم، أعرف، هناك  
الملايين الذين يموتون، للأسف، سأضع السماعة،  
وأموت.

**الرجل الأول (للمرأة):** أسرع إذن!

(المرأة تضع السماعة).

**المرأة (للرجل) :** تفضل.



(تسقط على الأرض).

الرجل الأول : أخيراً.

(يفتح باب الكابينة، يحمل الجسد بين ذراعيه، يسحبه حتى منتصف المسرح تقريبا، ثم يهرع إلى كابينة التليفون.

يتظاهر برفع سماعة التليفون ثم يتراجع، يأخذ حقائبه ويسندھا إلى باب الكابينة المفتوح حتى لا ينغلق). بهذه الطريقة، أستطيع مراقبة الحقائق.

(يرفع السماعة، وينصت)

: ما من صوت. قطعة النقود.

(يبحث بعصبية)

: ولكن، لدي قطعاً معدنية للتليفون.

(يبحث في كل جيوبه)

: ها هي

(يحاول إدخالها في فتحة الجهاز)

: ليست القطعة المناسبة. معي غيرها.

: (يبحث من جديد في جيوبه، باضطراب متزايد،

يحاول مرات عديدة، ويكرر مرات عديدة): ليست

القطعة المناسبة، ليس هذه القطعة، ليست مناسبة،

ليست هذه القطعة.

(يعرق، يجفف جبهته، يعاود البحث في جيوبه، وأخيراً يجد قطعة تدخل

في الفتحة).





أخيراً، القطعة المناسبة!

(يطلب الرقم)

١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١

(ينتظر بضع لحظات)

لا يوجد رنين. لكي يتم الاتصال، الأمر واحد في كل البلاد.

(يضع السماعة، يرفع السماعة، ينتظر بضع لحظات)

آه! الرنين، الرنين. أخيراً صوت! القنصلية؟ ألو، القنصلية؟ ألو، الرقم خطأ؟

(يضع السماعة، يرفع السماعة، يطلب الرقم نفسه).

١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١.

(يُسمع صوت يجيب في البداية بصوت خفيض، ثم لا يلبث أن يعلو مكرراً نفس الجمل ومنتزاعاً في القوة حتى يغطي المسرح بأكمله).

**الصوت** : الرقم الذي طلبت غير موجود بالخدمة. رجاء الرجوع للدليل. الرقم الذي طلبت غير موجود بالخدمة. رجاء الرجوع للدليل. الرقم الذي طلبت غير موجود بالخدمة. رجاء الرجوع للدليل. الرقم الذي طلبت غير موجود بالخدمة. رجاء الرجوع إلى الدليل.

**الرجل الأول** : بلى، أؤكد لك ذلك. أنه الرقم الصحيح.



**الصوت :** الرقم الذي طلبت غير موجود بالخدمة. رجاء الرجوع إلى الدليل.

**الرجل الأول :** سحقاً!

(يضع السماعة. يبحث بانفعال في جيوبه. لا يجد شيئاً. يفتح إحدى حقيبتيه. يبحث. يُخرج من الحقيبة أشياء مختلفة، ملابس داخلية، مناديل ينثرها حول الحقيبة. يجد ورقة كبيرة).

**:** ها هو الرقم.

(يقرأ)

**:** ١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١. هذا هو الرقم الصحيح. كان يجب أن أتذكره.

(يتوجه إلى التليفون، يرفع السماعة، يتراجع، يضع السماعة، يعود إلى حقيبته، يعيد الأشياء إلى الحقيبة، بعصبية، يتأكد من أنها مغلقة بشكل جيد، يعيدها إلى مكانها كي لا ينغلق باب الكابينة. يرفع السماعة من جديد. يطلب الرقم).

**:** ١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١. لقد أخطأت طلبت رقم ١٢. ذلك لأنني لم أضع القطعة المعدنية. أين هي؟

(يبحث عن القطعة المعدنية في الأرض. يجدها في النهاية. ويبد مرتعشة، يعيد إدخال القطعة في فتحة الجهاز يرفع السماعة، يطلب الرقم مرة أخرى).



١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١... ١١ :

صوت (محايد وبطريقة آلية)

: خطوطنا مشغولة. شكرًا للانتظار عدة لحظات.  
(بصوت أعلى). خطوطنا مشغولة. شكرًا للانتظار  
عدة لحظات.

(ثم تسمع موسيقى جاز، عنيفة، تتردد في كل أرجاء المسرح )

الرجل الأول : صبرا ، صبرا ، صبرا.

(يُسمع صوت طلقات نارية آت من يسار المتفرجين. ثم يصل رجل  
يرتدي زيًا رسميًا ويحمل رشاشًا يسير الرجل بخطى تساير إيقاع الجاز،  
يتجه إلى اليمين ويطلق النار. بينما تستمر موسيقى الجاز):

: ماذا تفعل؟ لم أعد أسمع.

الرجل ذو الزي الرسمي : أطلق النار على الهاربين.

الرجل الأول : لا يريدون أن يُقتلوا ولا شك.

الرجل ذو الزي الرسمي: ولا أنا أيضًا. لا أريد أن أقتل. ولا أنت أيضًا. ولكن  
ماذا بهم؟ (يستمر في إطلاق النار وهو يخرج من  
ناحية اليمين).

المرأة ذات الزي الرسمي (تصل من ناحية اليسار، وهي آخذة في إطلاق  
النار من رشاش، تتجه إلى اليمين. تسير، هي أيضًا، وكأنها ترقص، على  
نفس إيقاع الجاز)



ما من أحد يريد الموت. خسارة. (تخرج من جهة اليمين وهي مستمرة في إطلاق النار. تتوقف موسيقى الجاز بشكل مفاجئ).

المرأة ذات الزي الرسمي : لا تقلق، لا يتم إطلاق النار على الذين يستخدمون

التليفون. أنت في مأمن. (تخرج)

الرجل الأول : ألو.

الصوت الآلي : الرقم الذي طلبت غير موجود بالخدمة. رجاء الرجوع للدليل.

صوت آخر(آت من التليفون وإن كانت نبرته هذه المرة قد فقدت جمودها)

نستطيع أن نحولك على خط آخر. معك من تطلب.

الرجل الأول (في التليفون): سيدي القنصل العام، سيدي السفير، لو كنت عرفت، لو كنت عرفت... أنت تعرف كل شيء. لا أسمعك جيداً. هناك ضوضاء في التليفون.

صوت رجل (آت من التليفون): ضع السماعة. أنهم يطلقون النار في كل مكان. سأتلقي مكالمتك على خط آخر. في القبو. اتصل مرة ثانية.

الرجل الأول : لنحاول الحديث على الرغم من كل شيء. ربما لا أجدك بعد ذلك. ربما لا أجدك بعد ذلك. ربما لا أجدك بعد ذلك!





الصوت نفسه : ضع السماعة. اتصل مرة ثانية. ١-٢-٣-٤-٥-٦-٧-٨-٩-١٠-١١.

الرجل الأول (يضع السماعة): لم يعد لدي قطع معدنية للتليفون.  
(يفتح باب الكابينة. يصرخ): قطعة معدنية! لوجه الله. (يسمع صدى)  
قطعة معدنية! دنية! دنية! دنية!

(يأخذ الرجل الأول الحقيبتين ويضعهما في وسط البلاتوه. يجلس فوق  
إحدهما، يفتح الأخرى، بشكل أكثر هدوءًا، يبدو عليه الإجهاد.

من على يسار المتفرجين يظهر طبيب يرتدي بالطو أبيض ويتجه إلى  
اليمين. على صورة صليب أحمر كبير. يحمل في يده حقنة شرجية. تتبعه  
ممرضة، ترتدي بالطو أبيض وعلى صدرها صليب أحمر تحمل مقصًا  
ضخمًا).

المرضة : أمامك مباشرة. يا دكتور توجد الجثث. تتمدد على  
هكتارات وهكتارات. يا له من عمل.

الطبيب : إنه واجب الطبيب.

الرجل الأول : ماذا ستصنع بها.

المرضة : نعيدها للحياة، نحن نقوم بعملية الموت الرحيم  
المعكوسة.

الرجل الأول : ربما لا يريدون ذلك.

الطبيب : لن نسألهم رأيهم. نحن في حاجة إلى ممثلين  
صامتين، إلى مناصرين، ومحاربين.

الرجل الأول : سيتألمون.



- الطبيب : إنها الحياة!
- الرجل الأول : سيعيشون إلى ما لا نهاية؟
- الطبيب : بل مجرد تأجيل. قررته السلطات.
- الرجل الأول : إذن، ما الفائدة؟
- المرضة، (للرجل الأول): لا تطرح أسئلة يا سيدي. أأكون جاسوسًا؟
- الرجل الأول (في أثناء خروج الطبيب والمرضة من جهة اليسار):  
أبدًا، صدقوني، أنا أبحث عن قنصلية بلدي. أنا سائح أجنبي. أعني نصف  
أجنبي.
- المرضة : هذا ما ترددونه باستمرار.
- الطبيب (للممرضة): أسرع، يا آنسة.
- (صوت الطبيب من داخل الكواليس)
- : هيا، إلى العمل.
- (تختفي الممرضة بدورها).
- (يدخل الممرض من على يسار المتفرج. يحمل كابينة التليفون إلى  
اليسار. ينتفض الرجل الأول).
- الممرض : احمل الكابينة إلى مكان آخر. لكل دوره. أنت لا  
تحتاج لقطع معدنية كي تستخدم التليفون كما أنك  
لا تحتاج إلى تليفون. نحن في بلد ديموقراطي.  
سيصلون بك. ستسمع وتستطيع أن ترد.



(يخرج الممرض من جهة اليسار حاملاً الكابينة. تُسمع أنات وصيحات وبكاء أطفال حديثي الولادة آتية من جهة اليمين).

يعود السياح الأربعة الذين ظهرُوا في المشاهد السابقة ويجتازون المنصة، يتبعهم المرشد الذي أطلق عليه في المشهد الحادي عشر اسم الرجل الثاني. على رأسه قبعة وفي يده عصا الشرطة البيضاء).

السائحة الأولى : هذا رائع.

السائح الأول : يستحق الانتقال.

السائح الثاني : التقطت بعض الصور.

السائحة الثانية : لم يقتلوا سوى الثيران. نادراً ما قتلوا مصارع الثيران.

السائحة الأولى (للمرشد) : شكراً يا سيدي، إذ أريتنا أشياء مثيرة للاهتمام.

المرشد : شكراً أيها السيدات والسادة.

السائح الأول : شكراً لصراحتك.

(يرحل السياح وهم يقولون «إلى اللقاء» ويلوحون بمناديلهم).

المرشد (وهو يضع النقود في جيبه والقبعة على رأسه، يتوجه ناحية

الرجل الأول : المرشد الذي سنطلق عليه اسم الشرطي، يقترب من الرجل الأول، يتهم عليه، ثم ينسحب إلى الخلفية ويبقى بلا حراك وقد ركز بصره على الرجل الأول.

يأتي من على يمين المتفرج، جندي يحمل بندقية بسنوكي. يتوقف على



بعد بضعة أمتار من الرجل الأول ويبقى ساكنا من دون أن يتكلم.

ينظر الرجل الأول بقلق إلى الرجلين، ثم ينظر ناحية اليسار، يسير عدة خطوات باتجاه الكواليس، ثم يعود إلى حقائبه ويحملها بصعوبة. يتقدم خطوة أو خطوتين ناحية المخرج، يتوقف، يضع الحقائب، يجفف جبينه. من جهة اليسار تظهر امرأة ترتدي زياً رسمياً تحمل سوطاً. تقوم بعدة خطوات (ثم تتوقف).

**المرأة ذات الزي الرسمي:** إنها تزداد ثقلاً.

**الشرطي:** سبق أن أخبرته بذلك.

(مشهد صامت. يسير الرجل الأول عدة خطوات باتجاه الجندي، يعود إلى حقائبه، ثم يسير عدة خطوات باتجاه الشرطي الذي يهزأ منه. يعود الرجل الأول إلى حقائبه. يسير عدة خطوات باتجاه المرأة ذات الزي الرسمي التي تتظاهر بتهديده بالسوط. يعود الرجل الأول إلى حقائبه).

**الرجل الأول:** ولكن على أي حال لدي رخصة قيادة. (ابتسامة ساخرة من الآخرين. يسير مرة ثانية عدة خطوات باتجاه الجندي الذي يهدده بالسونكي. يتراجع الرجل الأول، يعود إلى حقائبه يحملها بعناء أكبر، يجلس على إحداها بعد أن وضعها على الأرض. ينظر مرة أخرى إلى الشخصيات الثلاث التي لا تتحرك).

**الرجل الأول:** هل أستطيع التدخين؟

(يضحك الجندي ضحكة قصيرة. تهز المرأة كتفها. يتظاهر الشرطي بالبحث في جيبه).

**الرجل الأول:** على أي حال، أنا لا أدخن.





(تتقدم الشخصيات الثلاث باتجاه الرجل الأول، تبدو عليها سمة التهديد.  
يتوقفون على بعد مسافة معينة من الرجل الأول).

**الشرطي :** تستطيع. ما هو مطلوب منك هو ألا تتخطى حدودنا.

**الرجل الأول :** بعد أن ينهض، يعاود الجلوس، ثم ينهض، ثم يجلس فوق إحدى حقيبتيه ويبحث في الأخرى. تبدو على وجهه علامات الأمل. يأخذ من حقيبته أنفاً مستعاراً ويضعه على وجهه، كما يأخذ نظارة سوداء وشارب ولحية مزيفة ويلصقها على وجهه. ينظر إلى نفسه في مرآة أخذها هي أيضاً من حقيبته، ثم يعيدها إلى الحقيبة ويغلقها. تبدو عليه علامات الرضا. يسير عدة خطوات في اتجاه الشرطي).

**الرجل الأول :** كما ترى، هي أقل ثقلاً الآن. (يهز الشرطي رأسه بعلامة النفي) انظر، ترى جيداً أنه ليس أنا، (لا يعيره الجندي أي اهتمام).

**:** ترى جيداً أنني شخص آخر، (للمرأة) ترى جيداً أنني أجنبي، سائح أجنبي. ترى جيداً أنك مخطئة.

(مخاطباً الثلاثة تباعاً)

**:** أنتم لا تعرفونني. إنني شخص آخر. إنه ليس أنا، ليس أنا.

(تحيط به الشخصيات الثلاث، من دون أن تتطرق بكلمة ويقومون بحصره في دائرة ضيقة يسدد الجندي سلاحه في صدر الرجل الأول).



الجندي (ينتزع القناع عن وجه الرجل الأول) كم أنت غبي!  
الرجل الأول : لا أذكر اسمي. عندما أتذكره، سترى من أكون.

(يُسمع رنين التليفون، ثم صوت نسائي، يتحدث بلا مبالاة)

الصوت : سيدي، ألو، القنصل في انتظارك.

الجندي (للمرأة) : أزيلني عنه الماكياج. لن يذهب بهذا الطلاء على وجهه لمقابلة السيد السفير.

(تلقى المرأة بسوطها، وتخلع زيها الرسمي، فتظهر ببالطو أبيض، أصبحت عاملة ماكياج. في يدها علبة صغيرة، تُخرج منها إسفنجة صغيرة، ومناديل ورقية كي تزيل الماكياج. تزيل الماكياج برفق عن وجه الرجل الأول).

المرأة (للرجل الأول) : يمكنك الاحتفاظ بقبعتك.

(بينما تقوم بإزالة الماكياج، يدير الجندي ظهره ويخرج من على يمين المشاهد. يتقهقر الشرطي خارجاً ثم يتوقف في وسط المسرح، وقد عقد يديه خلف ظهره).

المرأة (للرجل الأول وهي تزيل الماكياج)

: برفق يا سيدي.

الرجل الأول : أسرع. لا أريد أن أفقد دوري.

المرأة : اهدأ. لا تتحرك.

الصوت : السيد القنصل العام في انتظارك.

المرأة (للرجل الأول) : لحظة ثانية، سينتظرونك. هيا. انتهى الأمر.



**الرجل الأول :** شكرا سيدتي، شكرا من كل قلبي.  
**(الشرطي)** : يمكننا المرور، أليس كذلك؟

(يستعيد حقايبه)

**الشرطي :** أعيد إليك كل هذه الأشياء المزيفة. ستحتاج إليها  
عند القنصل، ذلك لو أردت أن يكون لك اسم. (يتجه  
الرجل الأول ناحية اليمين).

**الشرطي :** الخروج ليس من هنا.

(يتجه الرجل الأول ناحية اليسار).

**:** ولا من هنا، ولكن لو أردت، فإن كل الطرق تؤدي إلى  
روما. سنراقبك.

(يخرج الشرطي من أقصى المسرح).

**الرجل الأول (صارخاً):** أنا آت. انتظروني.

(يتظاهر بالتوجه إلى اليمين، ثم إلى اليسار، ثم إلى الخلف، ثم إلى  
اليسار وقد قرر واندفع فجأة. يبدو المشهد خالياً لبضع لحظات. يدخل  
رجل من الجهة المقابلة للجهة التي خرج منها الرجل الأول، وهو في ثياب  
رثة، يبحث في الأرض).

**الرجل ذو الثياب الرثة:** ها هو عقب سيجارة، وهذا عقب آخر. أي  
اثان. عقب آخر. عقب آخر، أي أربعة. ستة. سبعة.  
أعقاب.

(يبحث عن عقب ثامن).



## المشهد الثالث عشر

(الشخصيات) الرجل ذو الحقائق (الرجل الأول)، قنصل، سكرتيرة القنصل.

(الديكور) مكتب، مقعد.

القنصل جالس على كرسيه أمام مكتبه. السكرتيرة في ثياب الممرضة، تقف بجوار القنصل، تسمع من بعيد أصوات انفجارات، ودوي رشاشات؛ كما نرى، من وقت إلى آخر، وميض حرائق).

الرجل الأول : أخيراً، سيدي القنصل، لا يمكنك أن تتصور مقدار سعادتي لكوني وجدت قنصليتي. ومن حسن الحظ في وقت العمل الرسمي. لم أكن لأستطيع أن أقضي الليل في الخارج بسبب القتلة. كم من أخطار واجهت! إنه كابوس، كابوس حقيقي. لا، لن أقص عليك مغامراتي. اضطررت أن أجري، وأن أدافع عن نفسي. كنت قد تذكرت أن القنصلية في الرقم ١٢، ولكنني لم أكن أعرف في أي شارع. والشوارع كثيرة العدد. ساعدتني العناية الإلهية. العناية الإلهية. لقد نجوت. كما لم تصلني أي أخبار من أسرتي، هل وصلتكم أي خطابات لي؟ ولكن هذا لم يعد يهم. أعطني جواز سفر، أو استخرج لي جوازاً جديداً. وتأشيرات. أعدني إلى وطني.

القنصل (علامة الصليب الأحمر على ذراعه): أنت محظوظ لأنك وجدتني هنا. نحن على وشك قطع العلاقات الدبلوماسية مع هذا البلد، كما أنها ليست ساعات عملي





المعتادة سنبقى هنا لعدة أيام أخرى.

الرجل الأول :

أنا منهك للغاية.

القنصل :

لا تجلس فوق حقائبك، يمكن أن تتفجر<sup>(١)</sup>.

الرجل الأول :

ولكنها لم تتفجر من قبل.

القنصل :

في هذا البلد الذي يعد نفسه لشن الحرب علينا، كل شيء مفخخ. الميكروفونات موضوعة في كل مكان. لا يهم، ربما لا يكونوا ينصتون بعد، وحتى هذا المساء نحن نتمتع بالحصانة الدبلوماسية. (للسكرتيرة) قدمي له مقعداً.

(تقدم الممرضة مقعداً للرجل الأول. يجلس الرجل الأول).

الرجل الأول (وهو يجلس): كم هذا ممتع! لو كان بالإمكان أن نظل جالسين طول العمر، حتى نهاية الأزمنة، إلى الأبد، لن نطلب أكثر من ذلك.

الممرضة :

المقاعد ليست خالدة.

القنصل :

لم يكتشفوا بعد المقعد الخالد، كما لم يكتشفوا بعد الحركة الدائمة<sup>(٢)</sup> (perpetuum mobile) بالنسبة لأوراقك، يجب أن تسرع. هل لديك صورتان؟

(١) يستخدم يونسكو، وهو يتلاعب بحروف الكلمات كلمة exmoser وهي كلمة غير موجودة باللغة الفرنسية ربما يكون قد استبدل حروفاً بحروف وأراد بها exploder بمعنى ينفجر (المترجمة).  
(٢) mobile تعني حركة دائمة - وفي مجال الموسيقى تعني مقطوعة يمكن تكرارها إلى ما لا نهاية وهناك مقطوعة للمؤلف Avo Part بذات العنوان العام ١٩٦٢ كما أنه توجد قصة قصيرة لتشيكوف تحمل نفس العنوان. (المترجمة).



الرجل الأول : لا .

المرضة : لم يعودوا يعطونهم سوى صور مزورة .

الرجل الأول : بلى . إن شئتما انظرا إليّ جيداً، اطبعا صورتى وملاميحي في ذاكرتكما .

القنصل : سنحاول، ولكن الأمر صعب .

المرضة : بالنظارة .

(تعطي القنصل نظارة، وتأخذ واحدة لها، ثم يقتربان من الرجل الأول ويتأملانه بعناية من جميع الاتجاهات. ثم يعودان كل إلى مكانه).

القنصل (للممرضة): ما رأيك؟

المرضة : أعتقد أن الأمر ممكن . شريطة ألا يغير ملابسه .

القنصل : وألا يغير القبعة .

الرجل الأول : لا ارتديها دائماً .

المرضة : حتى وإن كنت لا ترتديها .

القنصل : اسم والدك؟

الرجل الأول : اسم والدي؟ اسم والدي؟ اسمه، على ما أظن، لست واثقا، اسمه ... اسمه . لا، حقا، لم أعد أتذكر .

القنصل : شيء مؤسف .

الرجل الأول : كانت معي أوراق، بها الأسماء، في الحقيبة الأخرى .

المرضة (للقنصل): ضع علامة استفهام على الدفتر الذي تعده، ففي ذلك حل للمشكلة .



- القنصل** : لا جدوى، على ما أعتقد، من سؤالك عن اسم والدتك.
- الرجل الأول** : كان أبي يناديها أحيانا باسم أورسول، وأحيانا أخرى باسم إليز، أو مارييت أو بلانش.
- المرضة (للقنصل)**: اكتب جان، فهو الاسم الأكثر قربا من الواقع.
- القنصل (لِلرجل الأول)**: كي نساعدك. ما هو عمرك؟
- الرجل الأول** : آه يا سيدي القنصل، لو استطعت أن تخبرني به، أريد حقا أن أعرفه.
- القنصل** : فلنكتب «سنا غير محددة». ومهنتك؟
- الرجل الأول** : أنا كائن.
- القنصل** : هناك العديد من الكائنات.
- الرجل الأول** : ليسوا جميعا مثلي.
- القنصل** : لنكتب «كائن ذو خصوصية».
- الرجل الأول** : لا ليس ذا خصوصية ولكن متخصص من فضلك. «كائن متخصص».
- المرضة** : الأمر يختلف.
- القنصل** : في الوضع الذي نحن فيه! لو أن هذا الأمر كان سيساعده، أو إذا اعتقد أن ذلك سيساعده.
- الرجل الأول** : أريد أن أتأكد. اكتبوا أيضا أن طولي ١٧٠ متر.
- القنصل** : منذ متى؟



- الرجل الأول :** عندما كنت طفلاً، كان طولي أقل بكثير.
- القنصل :** إن هذا يُعقد كل شيء. في النهاية سأكتب: طول متغير. ونظراً لعدم الدقة في معلوماتك، لا يسعني إلا أن أقترح إجازة مرور. كما أن هناك مشكلة أنك من أصل أجنبي، لا أستطيع أن أخالف قوانين هذا البلد.
- الرجل الأول :** لن يتركوني أمر بإجازة مرور. هذا ليس كافياً بالمرة.
- المرضة :** لكي نساعد، يمكننا أن نوقع له على شهادة طبية، يرفقها بإجازة المرور. الشهادتان تكمل أحدهما الأخرى. ولكي نكون مراعيين للشروط، عليه أن يتناول قرص أسبرين على الأقل.
- الرجل الأول :** هذا ما ظننته.
- (تناول الممرضة قرصاً من الأسبرين للرجل الأول كما تعطيه كوب ماء).
- القنصل (للممرضة):** قليلاً من الماء. تعرفين جيداً أن الماء مقنن.
- الرجل الأول :** (يبتلع قرص الأسبرين بنقطة ماء): شكراً. أنا أبتلع بصعوبة، ولكن لا بأس (للقنصل) شكراً يا دكتور.
- القنصل :** ها هي الشهادة الطبية.
- الرجل الأول :** شكراً سيدتي. شكراً سيدي. مع كل هذا تعتقدون أن باستطاعتي المرور أليس كذلك؟ هذا يكفي بالتأكيد لكي أمر من الحدود. لقد أنقذتموني. شكراً، شكراً





مرة ثانية.

القنصل

: على ظهر شهادتك المرضية ستجد خريطة المدينة.

الرجل الأول

: أدين لكما بحياتي، أدين لكما بحريتي. (يحمل حقائبه).

القنصل

: لا تنس أوراقك.

الرجل الأول

: وثيقة العبور، والشهادة المرضية، أضعهما في جيبتي، جيب سترتي، تريان ذلك، أنتما شاهدان. أستطيع بالتالي أن أستقل الطائرة، أو القطار، أو أي وسيلة انتقالات. تبدو الحقائب خفيفة الوزن، الآن وقد أصبحت حراً. حاول التخلص من الورطة أنت أيضا يا دكتور، وحاولي التخلص أنت أيضا من هذه الورطة يا أختاه.

القنصل

: لا تقلق علينا. لقد تعودنا على ذلك. عليك فقط أن تصدق على هذه الوثائق من السلطات البلدية والطبية في البلد. لكن لا تقلق، إنه مجرد إجراء روتيني، روتيني فحسب. لن يستغرق ذلك سوى ثانيتين.

الرجل الأول

: سأذهب للبحث عن غرفة في أحد الفنادق حتى أترك فيها حقائبي كي لا أعطي انطباعاً سيئاً.

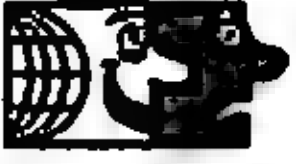
(يخرج)

المرضة

: يا له من سكين!



- القنصل** : أعطيته أوراقاً مختلفة. لم يشأ أن يخبرنا بهويته الحقيقية.
- المرضة** : هو لا يعرف هويته.
- القنصل** : وهل نعرف هويتنا؟ نعرفها بشكل إجمالي بفضل وظائفنا.
- (تسمع صرخات آتية من الشارع. يدخل شرطي من على يمين المشاهد).
- الشرطي** : باسم حكومتي أعلنكما يا سيدي وسيدتي، بأنكما الآن بلا وظيفة. وبالتالي بلا هوية، لم تعد الحكومة تعرفكما.
- القنصل** : هذا أفضل. على أي حال لن يستطيعوا توجيه أي لوم لنا.



## المشهد الرابع عشر

(على المسرح نرى أربعة أسرة، اثنان على اليمين واثنان على اليسار. على الأسرة اليمنى عجوزان؛ وعلى الأسرة اليسرى امرأتان عجوزان. الكل يثن).

- العجوز الأول :** لم أقض حاجتي منذ عامين.
- العجوز الأولى :** أما أنا فأعاني من الطحال إنه يتضخم، حتى لا يترك مكاناً لأي شيء آخر.
- العجوز الثاني :** أما أنا فأحتاج للتبول كثيراً. براميل وبراميل. يمكن أن أملأ بحيرة.
- العجوز الثانية :** تنمو بداخلي أشجار جافة كما ترون، هي تخرق ضلوعي. انظروا، يمكنكم لمسها. (يأخذ العجوز الأول عكازيه ويتجه نحو العجوز الثانية وهو يثن. تقترب العجوز الأولى بدورها من العجوز الثانية وهي ترتكز على عصا؛ يحاول العجوز الثاني النهوض، لكنه لا يستطيع، ينظر من خلال منظار مكبر).
- العجوز الأول :** (بعد أن رفعت العجوز الثانية طرف قميصها ينظر ويتحسس): إنه صلب، نشعر بأطراف الأغصان.
- العجوز الأولى :** نرى الأوراق وهي تنمو، وكأنها إبر. (للعجوز الثاني): تعال انظر.
- العجوز الثاني :** أرى جيداً من هنا، بفضل الطالع الفلكي.
- العجوز الأول :** تعال تحسس.



**العجوز الثاني :** لا أستطيع أن أتحرك. أخشى أن أغرق الأرضية. إن ذلك يتوقف عندما لا أتحرك.

**العجوز الأول (للعجوز الثانية):** لا بأس يا جميلتي. لقد عانت زوجتي من هذا الأمر هي أيضا. إنه يشفي مع الرجيم.

**العجوز الثانية :** وهل شفيت؟

**العجوز الأول :** لقد استعادت شبابها. إنه إشارة لقدوم الربيع.

**العجوز الأولي :** أنا أيضا أريد أن أصاب بمرض يعيد الشباب.

**العجوز الثاني :** ما تقوله غير صحيح. لقد ماتت بسببه. أرى كل ما حدث، بواسطة الجهاز الخاص بي.

**العجوز الثانية :** أنا خائفة، خائفة جداً. ما كان يجب أن أرىكم هذا.

**العجوز الأول :** إنه يكذب. كان لزوجتي أشجار حور<sup>(١)</sup>. أما أنت فلديك أشجار صنوبر.

(يتجه العجوز الأول والعجوز الأولى وهما يعرجان كل إلى فراشه. يثنان. تُسمع جلبة، ويُسمع صوت أقدام، آتية من الخارج).

**العجوز الأول :** لقد جاءوا.

**العجوز الثاني :** صمتاً.

**العجوز الثانية :** آه ضلوعي، آه! ضلوعي، لقد تم دفعها من الداخل. ستتفجر.

**العجوز الأولى :** اصمتي.

(١) شجر الحور، يتميز بكبر حجمه، وهو يشبه شجر الصفصاف (الترجمة).





العجوز الأول : ممنوع البكاء.

العجوز الثاني : لنضحك.

(يضحك الأربعة، بصعوبة. يسمع صوت الرجل الأول آتيا من خلفية المسرح).

صوت الرجل الأول: شكرا يا بني لأنك حملت حقائبي حتى باب غرفتي. إنها ثقيلة جداً بالنسبة لي.

العجوز الأول : إنه ليس الطبيب.

العجوز الثاني : اطمثوا، إنه زبون.

العجوز الأولى : لنطمئن.

العجوز الثانية : لكن كل الأسرة مشغولة.

العجوز الثاني : أتمنى أن يحضروا سريرا إضافياً.

العجوز الأولى : وإلا أصبح الأمر كارثياً.

العجوز الأول : أرجو ألا يحدث ذلك. (تدفع الحقيبتان من الخارج، حتى تتدفعا إلى وسط المسرح . يدخل الرجل الأول من الخلف).

الرجل الأول (ملتفتاً): شكرا، مرة أخرى لأنك دفعتهما إلى هنا.

(يعود العجائز الأربعة إلى الأنين مرة أخرى. ينظر العجوز الأول إلى الأسرة الواحد بعد الآخر، بينما يثن العجائز).

الرجل الأول : ثمة خطأ.



(يلتفت، يحاول الخروج، الباب مغلق) لقد أخطأتم. كنت قد طلبت حجرة لي وحدي. هذا ليس فندقاً.

الرجل الأول : (صارخاً باتجاه الخارج): لقد أخطأتم!

العجوز الأول : لا تهز الباب. لا تخلعه.

العجوز الثاني (وهو يئن): إنه لا يُفتح إلا من الخارج. يقولون إن هذا نظام عصري.

الرجل الأول : من هم «الذين يقولون»؟

العجوز الأولي (وهي تئن): الأطباء.

العجوز الثانية (وهي تئن): المهندسون المعماريون.

العجوز الأول : (وهو يئن): العمدة، مستشارو البلدية.

الرجل الأول : ماذا بوسعي أن أفعل؟ ما من نوافذ أيضاً.

العجوز الثاني (وهو يئن) انتظر، حتى يفتحوا الباب.

العجوز الأولي : نحن أيضاً، ننتظر.

العجوز الثانية : أخبرونا نحن أيضاً، إنه فندق.

العجوز الأول : الكل ينتظر.

العجوز الأولي : وضعونا هنا كي نمرض.

الرجل الأول : أنها مستشفى.

العجوز الثانية : لو استطعنا فعلاً أن نعرف.

الرجل الأول : أما أنا فمسافر، سائح أجنبي!



**العجوز الأول** : نحن أيضا كنا سياحاً أجنب.

**الرجل الأول** : سأشكو لقنصلية بلدي! قنصلية بلدي!

**العجوز الثاني** : لم تعد أجنبيا، طالما أنت هنا، فالضمان الاجتماعي  
يعنى بك بشكل كامل مثلك مثل أي مواطن من  
مواطني البلاد.

**الرجل الأول** : (بينما يواصل العجائز الأنين): ولكنه أسلوب  
ميكافيللي! لماذا تصرفوا معي بهذا الشكل؟ لا بد  
أنهم سيفتحون الباب في النهاية، أليس كذلك؟ كم  
من الوقت علينا أن ننتظر؟ ساعات؟

(لا يرد الآخرون).

: أسابيع؟ شهور؟ سيفتحون الباب في النهاية. سأشرح  
لهم. سيفهمون، إنهم بشر. كما أنه ليس لي فراش.

(يجلس فوق إحدى الحقيبتين، ويفتش في الأخرى. يستمر العجائز  
في الأنين. نسمع أصوات ووقع خطوات تقترب. يصل طبيب في ملابس  
بيضاء، تتبعه ممرضة. تحمل الممرضة حقنة ضخمة. قبل ظهور هاتين  
الشخصيتين يقول العجوز الأول:

: يقول العجوز الأول: لقد وصلوا!

**العجوز الثاني** : صمتا! لا تتنوا، لا تبكوا.

(يحاول العجائز الأربعة بكل طاقتهم أن يضحكوا. عند وصول الطبيب  
والممرضة يقهقهون. تضحك العجوز الثانية أيضا ولكن يصدر عنها أنين،  
تحاول كبته. بمجرد أن يصل الطبيب والممرضة يقوم الرجل الأول بحمل



حقيبتيه ويسرع ناحية الباب الذي مازال مفتوحاً).

الطبيب : إلى أين؟ تريد أن تخرج؟ انتظر حتى نتعارف.

(يهرع العجوز الأول والعجوز الأولى باتجاه الباب، يخرج الطبيب مسدساً).

الطبيب : لا تتحركا.

(يتوقف العجوز. يُغلق الباب بعنف).

: كل في مكانه!

(يعود العجوز الأول والعجوز الأولى كل إلى فراشه. العجائز يأخذون في الضحك).

الطبيب (يظهر المسدس للعجوز الأول ثم يعيده إلى جيبه)

: عذراً يا سيدي، ليس هذا سوى مجرد جهاز لتقويم العظام.

: (للعجائز): هل شفيتم؟ هل أنتم في صحة جيدة؟

العجوز الأول : نحن في صحة جيدة.

العجوز الثاني : لقد شفينا.

العجوز الأولى : بإمكاننا الخروج.

العجوز الأول : بإمكاننا السير بضع خطوات في الحديقة.

العجوز الأولى : نحن سعداء هنا، سعداء عندكم.





العجوز الثاني : نحن سعداء وبصحة جيدة.

الطبيب : كاذبون!

(ينهض العجائز قليلا، يكفون عن الضحك، لا يتحركون).

المرضة (للعجائز): ناموا!

الطبيب (للعجائز): لن تستطيعوا خداعي. أنا طبيب.

الرجل الأول (للطبيب): لا يرجى لهم شفاء. هم يعرفون ذلك.

(للعجائز) : لن تستطيعوا خداعي. أنا طبيب.

الرجل الأول، (للطبيب): أنا أختلف عنهم، يا سيدي العمدة.

الطبيب : أعرف. لقد أخطأت الفندق. ليس هذا دار البلدية، بل مستشفى. نادني دكتور.

الرجل الأول : سيدي العمدة، آه، آسف. سيدي الدكتور، اسمي...

الطبيب : أعرف. لقد أعلمت بزيارتك.

الرجل الأول : القنصلية؟

الطبيب (للممرضة): هل معك بطاقة زائرنا؟

الممرضة : أجل يا دكتور، إنه السيد كوريا كيدس.

الطبيب (للرجل الأول): كوريا كيدس، هذا هو اسمك.

الرجل الأول : أعتقد ذاك يا دكتور، أجل، بالتأكيد نظرا للظروف، أنا سائح.

الطبيب : طبعاً، مثل الجميع. لكن أين جماعتك؟



الرجل الأول، (للطبيب): جئت لمقابلتك كي أحصل على التأشيرة.  
(للممرضة) لا بد أنك تعرفين ذلك فلقد قمت  
بتسجيل كل شيء.

الممرضة : هذه الجزئية لم تكن مدونة على بطاقتك.

الرجل الأول : أمر مذهش. أمر مؤسف، انظري جيداً للبطاقة.

الممرضة : نظرت جيداً.

الطبيب (للرجل الأول): كل شيء يبدو لك مذهشاً. إنها جزئية بلا  
أهمية.

الرجل الأول : أريد أن أخرج.

الممرضة : كلهم متشابهاً. (للرجل الأول) انتظر حتى يفتح  
الباب.

الرجل الأول : طويلاً؟ لا أريد أن أموت هنا.

الطبيب : لا، اطمئن، لا.

الممرضة : سنحضر لك نصيبك من الطعام.

(عاد العجائز للأنين بصوت خفيض).

الطبيب : لا بد أن تبقى هنا لمدة قصيرة جداً، في الحجر  
الصحي، لمدة قصيرة جداً.

العجوز الأول : قالوا لي نفس الشيء.

العجوز الأولى : قالوا لنا جميعاً نفس الشيء.

الطبيب (مبتسماً، للرجل الأول) الأمر يختلف بالنسبة لك. حالتك



مختلفة.

- العجوز الثانية : هذا أيضا، قالوه لنا.  
الرجل الأول : حتى إنه ليس لي فراش.  
الطبيب : سأجد لك فراشاً. (صیحات هلع من العجائز).  
العجائز : (مع تجزئة العبارة): لا أريد! أنا بصحة جيدة. لم أكن في أكمل صحة مثل الآن. نحن في أفضل حال عندكم، نحن مدللون.

(تلوح الممرضة بحقنتها الضخمة باتجاه العجائز الأربعة تباعاً).

- العجوز الأول : لا تطلقى النار!  
العجوز الثاني : لا تطلقى النار عليّ.  
العجوز الأولى : لا تطلقى النار! أشعر بأنني بخير أشعر بأنني شابة، لقد عدت ثلاثين عاماً إلى الوراء.  
العجوز الثانية : لدي أشجار، وأغصان وأوراق تنمو، وزهور. لا تقتليها!

الطبيب: (للممرضة مشيراً بإصبعه إلى العجوز الثانية): هي.

العجوز الثانية : (بينما يخفي العجائز الثلاثة الآخرون وجوههم تحت الغطاء)

: أتوسل إليك. لن تقومي بذلك؟

- الرجل الأول : لا أريد أن أكون شاهداً على ذلك. أريد تأشيرتي.  
الممرضة (تتجه ناحية العجوز الثانية): لن تتألمي. سترين، سيكون الأمر



ممتعاً.

**العجوز الثانية :** لا، لا أريد، لا.

**الطبيب (للرجل الأول):** مبن فضلك، ساعد الممرضة في الإمساك  
بذراع المريضة من أجل الحقنة. وستحصل على  
تأشيرتك.

(يتردد الرجل الأول لمدة لحظة، ثم يهيم بإمساك ذراع العجوز الثانية،  
التي تبعد الحقنة بذراعها الثانية وهي تصيح)

**العجوز الثانية :** لا أريدا

(بينما يمسك الطبيب بالذراع الأخرى للعجوز الثانية، تقوم الممرضة  
بحقنها في ذراعها الأيمن. تصرخ المرأة العجوز ثم تتكلم).

**العجوز الثانية :** ليس بعد، في يوم آخر! (ثم تحت تأثير الحقنة:  
شيء عذب. نمت الأوراق، تفتحت الزهور.

**:** (تفيض روحها).

**الطبيب :** (يُخرج مسدسه ويُصوبه إلى صدغ العجوز الثانية،  
ويطلق النار): أن نأخذ احتياطين خير من أن نأخذ  
احتياطا واحدا. (للرجل الأول): ساعد الممرضة في  
حمل الجثمان.

**الرجل الأول :** بشرط أن أحصل على تأشيرتي.

**الطبيب :** سنرى ذلك.

**الممرضة (للرجل الأول):** ثق به.





(تحمل الممرضة والرجل الأول الجثمان ويتجهان ناحية باب الخروج. يُخرج العجائز الثلاثة رؤوسهم من تحت الغطاء ثم يظلون جالسين في فراشهم. بينما يخرج الرجل الأول والممرضة حاملين الجثمان، يسير الطبيب القهقري وهو يحمي المخرج. يأخذ العجائز الثلاثة في التهديد بطريقة عدوانية).

**الطبيب :** (يصوب مسدسه ناحية العجائز): لا تتحركوا!  
(يخرج الطبيب هو الآخر. ينهض العجائز الثلاثة ويبقون واقفين بجوار أسرتهن، يفتح الباب مرة ثانية ونرى الطبيب وهو يدفع الرجل الأول بقسوة، الذي لا يلبث أن يسقط فوق حوائبه).

**الطبيب (بجوار الباب):** أنا لم أعدك بتأشيرة، ليس على الفور. وعدتك بسرير في فندقنا، وقد حصلت عليه.

**الرجل الأول (وهو ينهض):** على الأقل قوموا بتغيير الملاءات.

**الطبيب :** لا أستطيع أن أمنح تأشيرة لحقائبك.

(يختفي الطبيب. يتجه العجائز الثلاثة ناحية الرجل الأول، يحيطون به مهددين).

**العجوز الأول :** سافل!

**الرجل الأول :** ليس خطأي.

**العجوز الثاني :** حثالة!

**الرجل الأول :** لم أكن أرغب في ذلك.

**العجوز الأولى :** قاتل!

(يأخذ العجائز الثلاثة في كيل اللكمات له ويضربونه بالعصا. يقاوم الرجل الأول ويُبعد المهاجمين عنه ويُسقط أحد العجائز على الأرض. في النهاية، يأخذ حقائبه ويستخدمها كدرع ويتجه ناحية باب الخروج متقهقرا ومدافعا عن نفسه. يخرج بحقائبه من الخلف. بعد أن يخرج، يُغلق الباب بطريقة آلية. يضرب العجائز الباب بقبضتهم).

العجوز الأول : افتح!

العجوز الثاني : أفتح!

العجوز الأولى : إن لم تفتح، سنحطم الباب.

الثلاثة معا (وهم يطرقون على الباب) افتح، افتح، افتح!

(يسمع صوت كمان يعزف نغمات شرقية. يستدير العجائز الثلاثة ويبقون وظهورهم للباب).

تمر يابانية شابة من اليسار إلى اليمين، وهي ترتدي كيمونو. ينظر إليها العجائز الثلاثة من دون أن يتفوهوا بكلمة.

: تختفي اليابانية.

تتوقف الموسيقى. يستدير العجائز للباب ويطرقونه من جديد.

العجائز : افتح، افتح، افتح!

(نفس الموسيقى، مرة ثانية. تخترق اليابانية خشبة المسرح في الاتجاه المعاكس، ثم تختفي. يظل العجائز صامتين وظهورهم للباب يتأملونها. ثم بمجرد أن تختفي، يستديرون ناحية الباب ويطرقونه بقوة). افتح، افتح، افتح!



## المشهد الخامس عشر

(الرجل الأول راقد).

الشابة : إنه المأمور.

(يدخل رجل بلحية سوداء، وعلى صدره شارة ضخمة تشير إلى كونه المأمور).

المأمور : لم نريح كل شيء.

(يختفي المأمور)

الرجل الأول (بينما ينهض، يظهر الشاب): يا دكتور، لقد حلمت إنني أحلم. كنت قد وعدتني بحل اللغز، كان يجب أن تكشف لي سر العالم. والآن، لا أعرف حتى ما يوجد داخل حقائبي، حتى هذا لا أعرفه. لن أدفع لك أتعابك. حتى لو أردت الدفع، فأنا لا أملك مالا.

الشاب : ولا فلساً واحداً لرسوم الجمارك! والجمارك الأخرى. ولا فلساً واحداً لعامل الهويس حتى يقوم بفتح عيون السد العميق! كيف كنت تتصور الحصول على المعرفة؟ يمكن للفلس أن يمر من حلم إلى حلم. لا بد دائماً من أن نعطي شيئاً مقابل شيء.

الرجل الأول : لم تعلمني أي شيء.

الشاب : يوماً ما سأجد إنساناً أستطيع أن أعلمه شيئاً.

الرجل الأول : تعلمه ماذا؟



**الشاب :** ما يريد. ما سيعرفه. ما سيستطيع هو أن يعلمني إياه. لست سوى إنسان مسكين، يا سيدي، طبيب بائس. أقول لك الحقيقة، على الجاهل أن يعلمني ما يريد أن يتعلمه.

(تظهر الشابة والمأمور مرة أخرى).

**الشاب :** أفهم ذلك. لو كنا لم نصل إلى شيء، فذلك خطأ المأمور.

**الرجل الأول :** لا أعرف إلى أين وصلنا. (للشابة): يبدو لي أنني أعرفك.

**الشابة :** لا أعتقد يا سيدي. أبدأ. أنا قادمة من الريف وأعمل مساعدة للمأمور.

**الرجل الأول :** بلى، يبدو لي أنني أعرفك.

**الشابة :** ربما حلمت بذلك. على أي حال، لم أحضر إلى هنا كالتزام اجتماعي.

**المأمور :** باسم القانون!

**الشابة (للرجل الأول):** يجب أن أخبرك بأنك ستقدم للمحاكمة.

**الرجل الأول :** أنا لا أخضع إلا لقوانين بلادي.

**المأمور (للشابة):** هل علم بلاده موثق في سجل الإعلام المعترف بها؟

**الشابة :** نحن لا نعرف علم بلاده.

**المأمور (للشاب):** أيها الحارس زود المدفع بحرية!

**الشاب :** أمرك يا سيادة العقيد.





الشابة (للرجل الأول) ربما لا يكون الأمر خطيراً جداً.

الرجل الأول : هل ارتكبت خطأ؟

الشابة : ما يهم ليس الخطأ وليس هذا ما نحاكمه عليه، بل على شدة الخطأ. الخطأ لا يهم، ما يهم هو الإنسان. من حَقك أن تدافع عن نفسك.

المأمور : محكمة!

(يتم إحضار طاولة كبيرة محملة بالفاكهة، والبطاطس وأنواع متعددة من الخضراوات. تضع الشابة الشقراء رداء أحمر اللون على ظهر المأمور وغطاء للرأس، تدخل سيدة مسنة).

المأمور (للشاب) : أدخل المتهم.

(يقوم الشاب، وهو يحمل سلاحه، بإجلاس الرجل الأول على كرسي وثير بجوار الخضراوات المعروضة على المنضدة. تجلس المرأة العجوز أمام مقعد الشهود، أو بالأحرى تتحول الشابة الشقراء إلى امرأة مسنة، ليست مسنة جداً. شعرها أسود وأبيض. ترتدي شالا داكن اللون).

الرجل الأول : أرفض اتهاماتكم.

(يجلس على مقعده الوثير وقد تريخ، يشعل سيجارة).

الشاب (للرجل الأول) : انهض! نحن في المحكمة (يتحول الشاب إلى حارس).

المأمور : (الذي سنسميه القاضي): باسم القيصر، والمحكمة وولي العهد.

الرجل الأول : لم أعد أوّمن بالقيصر، ولا بالمحكمة، ولا بولي العهد.



المرأة المسنة (ترسم إشارة الصليب): باسم القيصر، والمحكمة وولي العهد.

القاضي (للرجل الأول) : اقسم بما تؤمن به.

الرجل الأول (رافعا يده) : باسم البرلمان والمؤسسات الدستورية.

(يعود للجلوس)

ليس لدي كرسي.

القاضي : إذن، يمكنك أن تظل واقفاً.

الرجل الأول : لا أفهم ماذا جاء بهذا البصل وهذا البنجر وهذه الخضراوات والبطاطس على منصة المحكمة.

القاضي : تجيب عندما تسأل.

(يعود القاضي للجلوس. للمرأة المسنة): اجلسي!

المرأة المسنة : ليس لدي كرسي.

القاضي : إذن. ابقِي واقفة.

المرأة المسنة : أفضل ذلك. على الرغم من الروماتيزم، الذي أعاني منه.

: فبالإمكان سماعي عندما أوجه الاتهام.

الرجل الأول (بقوة): أنا الذي يوجه الاتهام .

(يذهب حتى منصة القاضي، يضرب عليها بقبضة يده، يعود إلى كرسيه)



الوثير. يشير بأصبعه إلى المرأة المسنة).

كل ما تقوله هذه المرأة هو مجرد أكاذيب. إنها بائعة خضر.

لديك الدليل، ما دمت قد أحضرته فوق منصتك. أردت أن أشتري منها كيلو بطاطا وكيلو بنجر. (يزداد الرجل الأول عنفاً).

عرضت عليها النقود، لكنها رفضت أن تبيعني أي شيء.

القاضي : ماذا كنت ستصنع بهذه الخضراوات؟

المرأة المسنة : لم يكن يريد شراءها بهدف أكلها.

القاضي : ماذا كنت ستصنع بها، قل الحقيقة.

الرجل الأول : كنت أريد أن أعد سلطة وحساء غليظا مهروسا. ثم، إن هذا الأمر يخصني.

المرأة المسنة : غير صحيح.

الرجل الأول : أنا لا أكذب أبداً. لم تشأ أن تبيع لي بضاعتها بسبب لكنتي الأجنبية.

القاضي : أنت من يدعي هذا.

المرأة المسنة : هو من يدعي هذا.

الحارس : أجل سيدي القاضي، المتهم هو الذي يدعي هذا.

الرجل الأول : لم أحضر هنا كمتهم. أنا من يتهم. أنا من يشكو. ادعت هذه المرأة إنتي أقول أشياء سيئة عن بلدها. كانت تقول لي أن كل شيء على ما يرام، وأن الدخول

كافية وأن مرتبات الوزراء أعلى من مرتبات مدرس المرحلة الابتدائية. قالت إن هذا غير صحيح وأنتي أسيء إلى بلدها. بينما هي التي تسيء إليّ. أنا لا أنتقد أي بلد، ولا حتى بلدي. أنا في زيارة عندكم، هذا صحيح. ولكن للأجانب نفس حقوق المواطنين عندما يتعلق الأمر بشراء بطاطس أو بنجر، خاصة عندما لا يتجاوز الشراء كيلوين فقط، يا سيدي كيلوين فقط. كنت أريد أن أكل، يا سيدي، كنت جائعاً.

القاضي : إنه إحساس نبيل.

الرجل الأول : إذن دعوني وشأني خلصوني من عالمكم، ومحاكماتكم وأسئلتكم، وملاحظاتكم وتلميحاتكم.

القاضي (للمرأة): لم يكن عليك رفض البيع إلا لأسباب سياسية.

الرجل الأول : ترى يا سيدي القاضي إنني على حق. لن تستطيع هذه المرأة أن تثبت أنني أسأت إلى بلدكم. وأنا أطالبكم بأن تحكموا عليها بغرامة كبيرة وبالسجن مدى الحياة. أطالبكم بالحجز على بضاعتها لصالح، وسأقاسم البضاعة مع المحكمة الموقرة. أطالب باسترداد الأموال التي قد أكون أنفقتها وأن تتدخلوا لدى السلطات الإدارية لكي تمنحني تأشيرة خروج وأن تعيدوا العلاقات الدبلوماسية مع الدولة التي أنتمي إليها. أطالب بمنحي الميدالية العسكرية أو أي ميدالية أخرى من اختياركم. على أن يدون ذلك على رق من الجلد مزين بالرسوم وبأحرف محفورة. أطالب....



**المرأة المسنة :** هذا مبالغ فيه. إن وقاحة هذا السيد فاقت الحدود،  
تحت القسم، باسم القيصر، والمحكمة وولي العهد،  
أقسم بأن أقول الحق. في النهاية، استجبت لإلحاحه،  
بعت له البنجر والبطاطس التي طلبها مني. وقد  
أخطأت، لأنه لم يأكلها.

**الرجل الأول (للمرأة العجوز):** كيف تستطيعين قول مثل هذا التأكيد؟  
(للقاضي): إنه تأكيد إجرامي. أطالب أن توقعوا  
عليها عقوبة الإعدام.

**المرأة المسنة :** أستطيع بكل بساطة تقديم الدليل.  
**الرجل الأول :** كيف أكون قد أكلتها وهي ها هنا، سليمة، على منصة  
القاضي، قاضي المحكمة الموقرة؟  
**المرأة المسنة (للقاضي):** مر بفتح حقائبه.

**القاضي :** انظروا داخل حقائب المتهم.  
**الرجل الأول :** هذا إجراء مثير للسخرية. أنا لا أخشى شيئاً.  
**الحارس (للقاضي):** أمرك يا سيادة القاضي.

(يذهب لفتح الحقائب).

**المرأة المسنة :** إذن؟  
**الحارس :** يوجد كيلو بنجر مخلوط بالإسمنت.  
**القاضي :** افتح الحقيبة الثانية!

(يذهب الحارس لفتح الحقيبة الثانية).





**المرأة المسنة : ها قد رأيت.**

الحارس (بعد أن فتح الحقيبة): توجد شرابات، وأسمنت، ومزيد من الأسمنت وكيلو بطاطس.

**المرأة المسنة : رأيت أنه لم يأكلها.**

الرجل الأول (الذي نهض وأخذ ينظر داخل حقائبه): لا أفهم أي شيء، يا سيادة القاضي، أؤكد لك أنني لا أفهم أي شيء.

القاضي (للمرأة المسنة): براءة . سنمنحك إعانة على سبيل التعويض (للرجل الأول) سنبت في أمرك. أيها الكاذب!

(ينسحب أعضاء المحكمة للمداولة)

**الرجل الأول : لا أفهم شيئاً. لا أفهم شيئاً.**

(يقول كل من القاضي والحارس والمرأة المسنة): باسم القيصر، والمحكمة وولي العهد.

**الرجل الأول :** لو كنت قد اشتريت هذا البنجر وهذه البطاطس فكيف يمكن أن تكون داخل حقائبي وفي الوقت نفسه على منصة القاضي؟ هل أستطيع أن أغلق حقائبي على الأقل؟

(ينسحب القاضي والحارس والمرأة).

**الرجل الأول (وهو يغلق حقائبه):** إنه سحر هذا البنجر القذر! هذا درس لي حتى لا أذهب إلى السوق.



## المشهد السادس عشر

(يظهر الرجل الأول من الخلف وقد حمل حقيبتيه؛ يتقدم بحذر، خطوة واحدة، ينظر يمينا ويساراً. تظهر سيدة من ناحية اليمين، ترتدي ثوبا حريريا أسود اللون وعلى رأسها قبعة ريفية الطراز؛ تجتاز خشبة المسرح بينما تسمع أجراس كنيسة.

يلتصق الرجل الأول بالحائط، واضعا الحقيبتين عند قدميه حتى لا يراه أحد).

الرجل الأول : اليوم الأحد.

(تختفي السيدة.

تظهر امرأتان، تجتازان خشبة المسرح في نفس الاتجاه.

ترتدي المرأتان عباءتين أو معطفين أو تمسكان بمظلة).

المرأة الأولى : أرايت يا عزيزتي السيدة جوبيون. تذهب إلى الكنيسة في ثوبها الحريري، بدون معطف وبدون مظلة، رغم أن الجو ينذر بالمطر وهناك سحابة سوداء ضخمة في الأفق.

المرأة الثانية : أهي شجاعة أم أنه عدم إدراك؟

المرأة الأولى (وهي تمر بجوار الرجل الأول) : چاك؟ كيف حالك؟

الرجل الأول : أنت مخطئة أنا لست چاك.

المرأة الثانية (للرجل الأول): تعرف السيدة جوبيون أو على الأقل تعرف



والدها. إنه يسكن في المنزل رقم ٣ في ميدان  
السوق، لديه حانوت، وهو بائع أسلحة.

**الرجل الأول :** أنا لا أحتاج إلى بندقية.

(تختفي المرأتان من على يسار المشاهد. يحمل الرجل الأول حقيبتيه  
بصعوبة، يضعهما على الأرض، يجفف جبهته يعود لحمل الحقيبتين ويرفعهما  
بعناء.

تأتي من على يسار المشاهد امرأتان أخريان بصحبة رجل. يلتصق  
الرجل الأول بالحائط مرة أخرى. يتجه الثلاثة ناحية الرجل الأول  
المرأة الأولى الأخرى: إذا أردت معرفة الأماكن فيجب أن تعلم أن هذه ليست  
المدينة الحقيقية.

**الرجل الآخر :** مع أنك في ميدان الكنيسة.

المرأة الثانية الأخرى: المدينة الحقيقية، القديمة، هي بلدة صغيرة، على  
مسافة كيلو مترين من هنا، بلا أطلال، بلا غابات،  
بلا سوق.

المرأة الأولى الأخرى: إنها في الاتجاه المضاد. على طريق بواتيه.

**الرجل الآخر :** يمكنك الوصول إليها، بعد المفصل، على يمينك،  
بعد حديقة الخضراوات، بعد القصر، ثم ستري على  
يسارك مرعى به أغنام.

المرأة الثانية الأخرى: شارع المفصل ينتهي بجسر خشبي...

المرأة الأولى الأخرى: يمر الجسر فوق نهر الجارون الصغير.



الرجل الآخر: وهو يُعرف في بلدنا باسم الجسر القديم. كان عمي - رحمه الله - السكير الرسمي للقرية كان يمر عليه وهو يترنح. وكان يصيح: «يا إلهي، أتوسل إليك، دعني أمر بسلام، ولن أشرب مرة ثانية». لكن عندما يصل إلى الشاطئ الآخر كان يأخذ في الرقص والغناء صائحا: «سأشرب ثانية. آه، آه، آه!» (تفجر المرأتان الأخريان في الضحك).

المرأة الثانية الأخرى: على الناحية الثانية من الجسر يوجد طريق. بعد ذلك، يوجد طريق ضيق يؤدي إلى شارع العذراء ثم إلى كوبري سان چاك.

المرأة الأولى الأخرى: ثم أمامك يوجد المرج حيث تجد به دربا صغيرا تحيط به زهور الربيع البرية: الوردية والبيضاء، والزرقاء والخضراء.

الرجل الآخر : من خلال فتحات السياج يمكن أن ترى مروجاً، وبحيرة اصطناعية في وسطها تطفو فتاة ذات شعر أحمر وعلى وجهها نمش. لا تتوقف. تابع السير في شارع لا بوسيل الصغير ستري على يمينك، ثم، على يسارك، وأمامك تماماً ممرات من الحصى، وأحواض من زهور إبرة الراعي الحمراء وغدير متعرج.

المرأة الثانية الأخرى: ضفافه مزروعة بزهور «لا تتساني»<sup>(١)</sup> وزهور السوسن الزرقاء والصفراء والخضراء والسوداء، ثم على طول الممشى أبراج الحمام بألوان قوس قزح.

المرأة الأولى الأخرى: ثم، توجد تلة صغيرة جداً مليئة بأشجار البندق. بعد المراعي، هناك حديقة بها أشجار فراولة برية، ثم

(١) هي زهرة myosotis بالفرنسية. وبالإنجليزية هي زهرة forget me not. واسمها العلمي «إذن الفار» (المترجمة).



السياج الريفي الذي يشير إلى نهاية الحديقة.

الرجل الآخر : هناك، ستضطر إلى التوقف.

المرأة الثانية الأخرى؛ ولكن هذا الطريق ليس الطريق الحقيقي المؤدي إلى

لا شابل أنتونيز<sup>(١)</sup>. يجب أن تتحرف بشكل مفاجئ

ناحية اليمين بعد السياج الرمادي، ثم ستري حقول

القمح الخضراء، التي تتخللها زهور الخشخاش ذات

اللون القرمزي والتي شكلت الآن حدائق، حدائق.

المرأة الأولى الأخرى؛ ينحدر هذا الطريق إلى الضواحي حيث تقابل الطرف

الثاني من شارع لا بوسيل، ثم إلى اليسار، تدور في

مكانك، تخرق مفترق الطرق، وتمضي في السير

فتجد البلدة والكنيسة وبلده لا شابل أنتونيز.

المرأة الثانية الأخرى؛ رحلة سعيدة يا سيدي.

: الرجل الآخر (رافعا قبعته): رحلة سعيدة.

المرأة الأولى الأخرى؛ رحلة سعيدة.

(تتحني احتراماً، تختفي الشخصيات الثلاث مع على يمين المشاهد.

يتظاهر الرجل الأول برفع حقيبته. يسمع صوت دجاجة مرتعبة

تقاقي.

تلتصق الشخصية مرة أخرى بالحائط. مع على اليمين تصل دجاجة

تطاردها امرأة شعبية ويدها سكين مطبخ).

المرأة الشعبية : حيوان قذراً!

(١) لا شابل أنتونيز: بلدة صغيرة تقع غرب فرنسا تعتبر من أصغر الوحدات في التقسيم الإداري الفرنسي.  
(الترجمة).





(تحاول الإمساك بالدجاجة، ولكنها لا تستطيع).

؛ سخطا!

(تنجح في الإمساك بالدجاجة. تضعها تحت إبطها. تفصل عنق الدجاجة. الرأس منفصل عن الجسم. تسيل الدماء).

؛ حيوان قذرا!

(بينما تختفي من جهة اليسار المرأة الشعبية وهي تردد: «حيوان قذرا» يأتي من جهة اليمين سيد وسيدة أحدهما يحمل منضدة والآخر كرسيان. يجلس السيد على أحد الكرسيين، بجوار المنضدة بينما تخرج السيدة وتعود بمفرش تضعه فوق المنضدة؛ تخرج مرة ثانية وتعود بأدوات مائدة لشخصين وتضعهما على المائدة؛ تجلس؛ يخرج السيد من جهة اليمين ويعود بطبقين، يجلس.

يأتي من اليسار رجل في زي إمبراطور روماني، أكاليل غار، قيثاره. يظل واقفا أمام الشخصيتين الآخرين).

الرجل ذو الرداء الروماني: ركضت وراء المجد. والآن ها أنا مع تاج الغار.

(يشير إلى تاج الغار).

ركضت أكثر مما ينبغي، وبدلا من أن أنتظر. كان يجب علي أن أنقذ العالم. أو على الأقل أحاول إنقاذه. هل الفشل النبيل أفضل من النجاح الباهر؟

؛ إن أبهة الفرور أبهة جنائزية. أنا حزين. لقد انقلب الهرم.



(تأتي المرأة الشعبية من على يمين المشاهدين، حاملة مقعدا وثيرا وتضعه أمام المنضدة في مواجهة الشخصيتين الآخرين. تخرج مع جهة اليمين. يجلس الرجل ذو الرداء الروماني على الكرسي الوثير).

الرجل ذو الرداء الروماني؛ سأذهب للقاء زوجتي الأرملة، وأولادي اليتامى..

(يفني بمصاحبة قيثارته؛ «ابني اسمه فيتاغورس»<sup>(١)</sup> وابنتي اسمها أوريكا<sup>(٢)</sup> ولكن القيثارة إيطالية).

السيد : الحلوى ينقصها سكر.

(تأتي المرأة الشعبية حاملة دجاجة مشوية فوق طبق وتضعها على المائدة. يفرس السيد شوكتة في الدجاجة، وكذلك السيدة، ثم يأتي الرجل ذو الرداء الروماني بنفس الشيء؛ لا يبدو على وجوههم أي تعبير. لحظة من الصمت).

السيدة (إلى الرجل ذو الرداء الروماني): ما رأيك؟

الرجل ذو الرداء الروماني (الذي جلس) الدجاجة ليست طرية.

المرأة الشعبية : على الرغم من أنها كانت حية منذ لحظات. (ينصرف السيد من جهة اليمين حاملا المنضدة؛ وكذلك السيدة حاملة المقاعد؛ ينهض الرجل ذو الرداء الروماني؛ تخرج المرأة الشعبية من جهة اليمين حاملة المقعد الوثير؛ يبقى الرجل ذو الرداء

(١) فيلسوف وعالم رياضيات يوناني عاش في القرن السادس (المترجمة).

(٢) أوريكا: باليونانية القديمة تعني (وجدتها) وهي الصيحة التي أطلقها أرشميدس عندما اكتشف القوانين التي تحكم الأجسام المغمورة بالماء (المترجمة).



الروماني واقفا لحظة، ثم ينصرف من جهة اليسار. يأخذ الرجل الأول حقيبتيه مرة ثانية بعد أن كان قد وضعها بجواره أثناء الحوار السابق، يرفعهما بصعوبة، ثم يضعهما على الأرض، يجفف جبينه، يأخذهما مرة ثانية، وبالكاد يتمكن من رفعهما.

يصل رجل ثان من على يسار المتفرج).

**الرجل الثاني :** يبدو أن حقائبك لاتزال ثقيلة.

**الرجل الأول (واضعا حقيبتيه مرة أخرى على الأرض):** أبدا! أو إن شئت، وفقا للظروف. هي تارة ثقيلة وتارة خفيفة.

(يأتي رجل ثالث من على يمين المشاهدين. يرتدي ملابس الشرطة).

**الرجل الثالث (للرجل الأول):** ماذا تحمل في حقائبك؟

**الرجل الثاني (للشرطي):** حسنا تفعل بالتحقق منه. هذا الرجل غريب الأطوار بحقائبه هذه.

**الرجل الثالث (للرجل الأول مشيرا إلى شارته):** أنا المأمور. ماذا تحمل بداخلها؟

**الرجل الثاني :** إنها ثقيلة جدا، لا أستطيع رفعها.

**الرجل الأول :** أبحث عن قنصليتي. نسيت ما إذا كنت قد ذهبت إليها بالفعل وإن كانوا قد منحوني تأشيرتي.

**الرجل الثاني :** قنصليتك ممنوعة.

**الرجل الأول :** ربما كانت مفتوحة على الرغم من ذلك، بشكل استثنائي في أيام الأعياد. اليوم هو الأحد.



**الرجل الثاني (للرجل الأول) :** كيف استطعت أن تعرف إنه الأحد؟

**الرجل الثالث :** ماذا تحمل في حقائبك؟

**الرجل الأول :** أسمنت. أسمنت فقط. (يقوم الرجل الثاني، يساعده الرجل الأول بفتح الحقائب. يُخرج منها الرجل الثاني والرجل الثالث ملابس داخلية وشرابات ودمية إلخ... ثم يعيدون هذه الأشياء إلى مكانها).

**الرجل الثالث (للرجل الأول):** فعلا. إنه أسمنت يمكنك أن تغلق الحقائب.

(يقوم الرجل الأول بتنفيذ الأمر).

**الرجل الثالث (للرجل الأول):** ولكنك لا تحمل رخصة البناء. حاول الحصول عليها.

**الرجل الأول :** أنا ذاهب للقنصلية للحصول على رخصة البناء هذه.

(ينصرف كل من الرجل الثاني والرجل الثالث، الأول من على يمين المشاهدين والثاني من على يسارهم).

**الرجل الأول :** لقد أزاحا عن كاهلي هما ثقيلًا.

(يرفع الحقائب بسهولة شديدة، يتقدم خطوة، ينظر إلى اليمين وإلى اليسار، يسمع صوتًا، يعود للاتصاق بالحائط).

تدخل من اليمين وتخرج من اليسار المرأة اليابانية التي ترتدي الكيمونو في المشهد السابق).

**الرجل الأول (وهو ما يزال ملتصقاً بالجدار):** هذا العالم مليء بالمخاطر!

(وفقا لإمكانات الإخراج أو احتياجات المخرج، نرى رجلاً يمر من اليمين



إلى اليسار حاملاً مدفعاً رشاشاً وهو يقول) الخطر مثله مثل الشيطان، تكفيه كلمة واحدة. تستدعيه، فيسرع إليك. (يختفي الرجل الذي يحمل الرشاش. تسمع صرخات، وطلقات رصاص، وفرقعات وأصوات طائرات نفاثة، وصراخ ولید. ينظر الرجل إلى جميع الجهات، مذعوراً وقد ألصق ظهره بالجدار. تمر من اليمين إلى اليسار امرأة ترتدي أسمالاً وتغطيها الدماء وهي تصرخ وتسقط ثم تنهض، ثم تنهار مرة ثانية ثم تنهض ثم تختفي. حركاتها ذات إيقاع محدد وسريع، إيقاع متقطع. يأخذ الرجل الأول حقائبه ينظر يمينا ويسارا، يتقدم حتى منتصف البلاتوه. أصوات محرك تقترب. يصل من جهة اليمين رجل يركب موتوسيكل أو دراجة بخارية تُصدر أصوات فرقة ويدور حول الرجل الأول. يأتي من اليمين رجل ثالث، يركب هو أيضا موتوسيكل أو دراجة بخارية. يقوم الرجلان بتطويق الرجل الأول ويضيقان الحصار على، يحاول الرجل الأول الهرب: يبدو على الرجلين سمة التهديد، يرتدي كل منهما خوذة ونظارة سوداء).

**الرجل الأول (وقد سُلت حركته):** (ليس أنا. لقد أخطأتم، أقسم لكم. ليس أنا).

(يستمر راكبا الدراجتين في الدوران حول الرجل ثم، يخرجان من جهة اليسار. يبقى الرجل وحيدا مع حقيبتيه في وسط البلاتوه. تبتعد الأصوات. ثم تختفي).

**الرجل الأول :** هل حان الوقت لأتساءل: أين حقيبتني الثالثة؟





## المشهد السابع عشر

الرجل الأول (حاملاً حقيبتيه): يا له من متزّه جميل! (يرى في الخلفية حائط أبيض، به نافذة. تضاء النافذة، يظهر وجه رجل).

الرجل الأول (في اتجاه النافذة): ماذا تريد مني، لم أسئ إلى أحد. أنا أشعر بالعطش. أمر طبيعي لقد جريت كثيراً. (تفتح النافذة).

الرجل في النافذة: لديك. فندق في نهاية المتزّه. (يختفي الرجل والنافذة. تظهر من على يمين المشاهد أدوات بار يتوسطه ساق).

الساق : لا أستطيع أن أسقيك إلا لو قدمت لي شهادة تثبت سلامتك العقلية.

الرجل الأول : لماذا؟ أنت تهينني. وهذا ليس عدلاً. لو أنه كان على الجميع تقديم مثل هذه الشهادة لما سقيت أحداً.

الساق : الأمر يختلف بالنسبة لك. يبدو أنك مجنون، لقد تم حقنك. أنت مدمن مخدرات.

الرجل الأول : أنا زيون، مثلي مثل الآخرين. بالإضافة إلى أنني أحمل البطاقة الزرقاء، بطاقة المسافر. تريد أن تعتدي على حقوق الإنسان! يا له من بلد غريب. ها هي بطاقتي.

الساق : لا يعتد بها عندنا.

الرجل الأول : ولكن في كل البلاد المتحضرة...



الساقى : لن تتجح في إقناعي.

الرجل الأول : لدي بطاقة أخرى في حقائبي. لحظة لأبحث عنها.

الساقى : لن تتجح في إقناعي.

(يبتعد الرجل الأول بحقائبه ويذهب إلى الطرف الآخر من البلاتوه.  
يضع حقائبه على الأرض).

الرجل الأول : إنه أمر غير مقبول تمامًا. (يبحث في جيوبه، يأخذ  
علبة سجائر، يخرج سيجارة، يحاول إشعالها،  
يفشل).

: إنها مبتلة.

(يحاول إشعال سيجارة أخرى وأخرى وأخرى، يفشل).

: بها ثقوب يدخل منها الهواء.

: الساقى (ساخرا، ثم): ترى جيداً أنك مجنون.

الرجل الأول : (يلقي بسجائره الواحدة تلو الأخرى): سأشتري  
غيرها. هل لديك سجائر؟

(يتجه ناحية البار، يختفي الساقى كما تختفي عناصر البار. يقوم الرجل  
الأول بركل المكان الذي كان يوجد به الساقى).

كان المحل هنا! والآن لا يوجد سوى حفرة.

(يوجه عدة ركلات للمكان الذي كان به البار): سأنتقم!

(على يسار المشاهد، حيث كان الرجل الأول، قبل قليل، تظهر شجرة صغيرة، ومائدة مستديرة وثلاثة مقاعد من مقاعد الحدائق.

يجلس ثلاثة رجال حول المائدة. تأتي امرأة حاملة مائدة صغيرة أخرى، ثم مقعدا يجلس عليه الرجل الأول. مشهد صامت.

المرأة في المواجهة؛ بجوارها الرجل الأول جالسا إلى المائدة. في الخلفية، المائدة الأخرى وحولها الرجال الثلاثة.

ينظر الرجل الأول إلى المرأة، ثم يلتفت ناحية الرجال الثلاثة، يتبادل النظرات مع واحد منهم، يبدو أن ثمة تعاطفا بينهما).

**الرجل الأول :** جئت إلى هنا كي أشرب، لأنني أشعر بالعطش بعد أن سرت مسافة طويلة حاملا هذه الحقائب. وأيضا لكي أبتعد عن سخافات بعض الناس. أعتقد أنني أجد هنا بينكم بعض التعاطف، بعض الفهم، أو ربما يخیل إلي ذلك.

**المرأة (للرجل الأول):** لا تقلق يا سيدي، أنا هنا في خدمتك. سأحضر لك شراباً وطعاماً أيضاً. (تخرج من اليسار).

**الرجل الأول :** أي نوع من الشراب ستحضر لي؟ أي نوع من الطعام؟ ... أنا في الانتظار (فترة صمت. يخرج الرجال الثلاثة من على يسار المشاهد، حاملين المقاعد والمنضدة).

أي نوع من الطعام وأي نوع من الشراب؟ أي نوع من الطعام وأي نوع من الشراب؟ أنا في الانتظار. ماذا ستحضر لي؟



(يبقى الرجل الأول ساكناً لفترة وجيزة. بعد فترة طويلة، وعلى الجانب الآخر من خشبة المسرح حيث كانت عناصر البار والساقى، نرى ضوءاً ونسمع أصواتاً بشرية وموسيقى راقصة وإن كانت خافتة بعض الشيء.

من الخلف يظهر ثلاثة رجال يرتدون ملابس السهرة أو ملابس رسمية ثم يختفون من جهة اليمين من حيث يأتي الضوء.

ثم من على اليسار تأتي امرأة، شقراء ترتدي سروالاً قصيراً وصدرية وقفازاً أبيض اللون. تتجه ناحية الرجل الأول).

المرأة الشقراء : (يجب أن تكون في ريعان شبابها وأن يبدو عليها الطهر والنقاء): أنا سعيدة جداً لوجودك بين مدعونا.

الرجل الأول : وزوجك؟

المرأة الشقراء : هو سعيد بالتأكيد. هو سعيد. بل لقد أله على حضورك. أجل. مع متاعك.

الرجل الأول : إنه عائق للحركة.

المرأة الشقراء : تعال، سأعلمك الرقص.

الرجل الأول : وحقائبي؟

المرأة الشقراء : تماماً. ها هو زوجي. سيحرسها. (يصل الزوج من جهة اليمين).

الزوج (للرجل الأول): أنا سعيد لوجودك معنا. سأقوم بحراسة متاعك. تثق بي ولا شك؟ (تسحب المرأة الشقراء الرجل الأول إلى وسط المسرح. تحيطه بذراعيها. يبدو الرجل الأول متحفظاً).

المرأة الشقراء : (عصرية جداً، من دون مبالغة مثيرة للسخرية) لا تقلق. لن يترك زوجي متاعك يضيع. (يمسك الرجل الأول المرأة من كتفيها، يأتيان بخطوتي رقص، ثم يتوقف الرجل الأول).

المرأة الشقراء : أنت خجول جداً. زوجي يدير ظهره.

الرجل الأول : هل تعتمد ذلك؟

(دون القيام بأي إيماءات، أو حركات؛ أداء متحفظ ومنضبط).

المرأة الشقراء : نعم، تعتمد ذلك.

الرجل الأول : لا بد من البحث عن مكان خفي. (يسحبها حتى نهاية البلاتوه. يظهر شرطي).

الرجل الأول : هنا، ممنوع.

المرأة الشقراء : توجد بعض الأدغال بالقرب من هنا. (تسحبه).

الرجل الأول : الشرطي يتبعنا.

المرأة الشقراء : وراء هذا الجدار.

(يتقدمان عدة خطوات).

الرجل الأول : إنه يراقبنا.

رجل الشرطة : لن تجدوا سجائر هنا. (يختفي رجل الشرطة).

الرجل الأول : أين نستطيع اللجوء؟

المرأة الشقراء : تحت سقف هذا الرواق.

(يتقدمان عدة خطوات. يظهر رجل الشرطة من جديد).





الرجل الأول : إنه في كل مكان.  
المرأة الشقراء : لنذهب إلى مكان آخر.  
الرجل الأول : ليس لدينا وقت. على أن أستقل القطار.  
المرأة الشقراء : سأصحبك بنفسى إلى المحطة بسيارتي.

(تختفي المرأة الشقراء من جهة اليمين. يتجه الرجل الأول ناحية متاعه).  
الزوج (يبدو طبيعيا ومهذبا): حقائبك هنا. لكن عليك أن تسرع حتى لا يفوتك القطار.

(تعود المرأة الشقراء للظهور، ترتدي قبعة، ويدها حقيبة).  
المرأة الشقراء : خذ متاعك أو لا تأخذه، هيا بنا، سيتحرك القطار بعد عشر دقائق.

الرجل الأول : لم يبق وقت. لم يبق وقت. لا أستطيع أن أسافر من دون حقائبي. (تزداد إضاءة ركن خشبة المسرح من على يسار المشاهد. يظهر رجلان أو ثلاثة بالملابس الرسمية. موسيقى. لحن الفالس).

المرأة الشقراء (للرجل الأول): انضم إلينا.  
الزوج : هيا، مادامت تطلب ذلك.

الرجل بالملابس الرسمية (للرجل الأول)  
: لا أستطيع أن أبدأ في الرقص. لم أحضر إلى هذا البلد كي أرقص.

(رقص. موسيقى قوية. ألعاب نارية. لمدة طويلة ثم يتوقف كل شيء بشكل مفاجئ، تبقى الشخصيات ساكنة).

## المشهد الثامن عشر

الشخصيات : (الرجل الأول وامرأة، رجل ثان).

الرجل الأول : هل هو المكان؟ هل وصلت؟

(يخيم الظلام على المنصة. يمسك الرجل بمجذاف في يده).

الرجل الثاني : كم ساعتك الآن؟

الرجل الأول : لقد بدلت عدداً كبيراً من الساعات أثناء كل هذه الرحلات والبلاد، وخطوط العرض، حتى أصبح من المستحيل معرفة في أي عام نحن، وفي أي شهر وبالطبع في أي ساعة. أرى بعض العتمة. هل هو الشروق أم أن الليل بدأ يهبط؟

الرجل الثاني : ها هي حقائبك أحضرتها لك من المركب.

الرجل الأول : أهنتك على حسن قيادتك للمركب. كانت الرحلة طويلة وخطرة. كان النهر مضطرباً، ولكن لماذا كان بهذه القذارة، كان لونه يكاد أن يكون أسود؟ مثله مثل رصيف هذا المرسى.

الرجل الثاني : ذلك لأنهم يغسلونه بمياه النهر القذرة.

الرجل الأول : شكراً لأنك أحضرت حقائبي. منذ أن فقدت الحقيقة الأخرى، لم أعد أملك القدرة على تبين المنظور. شيء ما ينقصني، من الداخل. أصبحت عاجزاً. هذا لا يظهر، بطبيعة الحال، عندما تنظر إليّ.

الرجل الثاني : هل هذه حكمة؟



- الرجل الأول** : أعتقد أنه ليس المكان الذي كنت أود الوصول إليه.
- الرجل الثاني** : لم يكن من الممكن أن نرسو في مكان آخر. لم يكن هناك جسر عائم.
- الرجل الأول** : أود على أي حال معرفة المكان الذي رسونا فيه، مادمت لا أعرف المكان الذي أبحرنا منه.
- (ينصرف الرجل بمجدافه. من جهة اليسار بالنسبة للمشاهد، تظهر امرأة لا هي شابة ولا عجوز، نصفها الأعلى عار. ترتدي تنورة قذرة بعض الشيء حول عنقها عقد من اللؤلؤ).
- المرأة** : كنت قد كففت عن انتظارك. أخيرا أنت هنا. نحن في ميناء كيشينيڤ<sup>(١)</sup>.
- الرجل الأول** : ليس هذا هو المكان الذي افترقنا فيه.
- المرأة** : إنه المكان الذي نلتقي فيه.
- الرجل الأول** : هل تسكنين هنا؟
- المرأة** : جئت بعد سفرك مباشرة، أملا في أن تعود. انتظرتك.
- الرجل الأول** : جئت من بعيد جدا. مررت بمدن مظلمة. حاولت أن أقول، كان على أن أقول الحقيقة.
- المرأة** : ما هي الحقيقة التي كان عليك قولها، ولمن؟
- الرجل الأول** : لم أعد أعرف. هل كنت أعرف؟ لم أعد أعرف. لذلك لم أكن أجد سوى أمثلة مستهلكة. كي أقوم بهذه

(١) ميناء كيشينيڤ: ميناء في مولداڤيا (الترجمة).



الرحلة اضطررت إلى أن أعمل بالبحرية. غسلت  
جسورا قذرة بمياه قذرة. الماء الذي كان يسقط كان  
لونه أسود وكيشينيّف ليست مدينة مشمسة.

المرأة : لماذا جئت إلى كيشينيّف؟

الرجل الأول : كي ألقاك، أنت، بعد غياب طويل جداً.

المرأة : لم تكن تعرف، منذ لحظات، أين رست مركبك، ولا  
من أين أتيت. أما أنا فقد كنت أعرف. مادمت كنت  
أنتظرك. لدي قرون استشعار، لأنني أنتظرك في كل  
مكان، أنتظرك في كل ركن من أركان العالم. أنا من  
قال لك إننا في كيشينيّف.

الرجل الأول : على أي حال، هو مكان مثالي للقاء.

المرأة : للقاء.

الرجل الأول : للقائنا نحن: نحن فقط. لا أجد تعبيراً دقيقاً، ذلك  
لأنني أضعت الأمثال. غسلت جسورا قذرة بماء قذر.  
الماء الذي كان يسقط كان لونه أسود. قمت بكنس  
الأرصفت بمقشّة قديمة بيد قصيرة، وليس بمكنسة  
كهربائية، بينما كان هناك آخرون يلعبون بأجهزة  
الحاسب الآلي. اقتلعت بيدي الأعشاب الخبيثة  
بينما كان لدى الآخرين مجزات آلية تقوم بالعمل  
وحدها. وعلى الطرق أيضاً.

المرأة (ساخرة، مشككة): وعلى الطرق، ماذا فعلت أيضاً؟

الرجل الأول : كنت أقوم بتكديس الحجارة والحصى داخل جوالات  
لأنني لم أكن أملك رافعة. كنت أحفر الأرض بأظفري،



لأنني لم أكن أملك حفارة.

المرأة

: كان هذا يقلل من ضيق الجيران.

الرجل الأول

: كانوا قد منعوني من إحداث ضوضاء. حصدت بواسطة منجل، لأنني لم أكن أملك آلة حصد، وأحياناً كنت أحصد بواسطة منجل صغير كنت أبذر الحبوب بيدي لأنني لم أكن أملك آلة بذر.

المرأة

: لماذا قمت بكل هذا؟

الرجل الأول

: كي أتمكن من العودة للقائك.

المرأة

: كاذب! مرت سنوات وأنا أنتظرك. أجمل سنوات عمري. أنظر.

الرجل الأول

: لدي المال. لنتزّه في المدينة. لدي المال، أوراق مصرفية، نستطيع أن نستعيد وضعنا. لا تبكي. أتوسل إليك، كيف لا أستطيع مواساتها.

(يلوي يديه بينما تتحب المرأة).

أنت مخطئة، لم يتقدم بك العمر. لماذا صار لبشرتك ذلك اللون الداكن، هي ليست نظيفة لماذا تظلين عارية وسط الناس؟

(يضمها بقوة بين ذراعيه، ويبكي هو أيضاً)

أحبك من كل قلبي. ستصير المياه صافية، والسماء شفافة، لم يبتعد الناس عند مرورك، سيباركونك وسأكون إلى جوارك. أحبك. سنعود كما كنا مدرسين.





جففي دموعك. لا تبتلي لآلئك أتوسل إليك.

المرأة

: إنه وقت غروب الشمس.

الرجل الأول : أمامنا مستقبل مهني. سترين غداً، سيكون كل شيء  
جديداً. أفهم الآن، عرفتك الآن.

المرأة

: أنت تستيقظ من وقت لآخر، في هذه الحياة التي لم  
يكن لك فيها غير النوم طوال الوقت.

الرجل الأول

: استيقظ في الحلم. لن أنام بعد الآن وأنا أحلم.



## المشهد التاسع عشر

الرجل الأول : (حاملا الحقيبتين في يديه. يجوب المسرح جيئة وذهابا، عدد من المرات. من وقت لآخر يضع الحقيبتين على الأرض، يجفف جبينه، ثم يعاود الكرة.

تمر امرأة في الاتجاه المعاكس من دون أن ينظر أحدهما إلى الآخر. يتكرر ذلك عدة مرات.

تختفي المرأة، ثم تصل شخصية أخرى، رجل من دون قبعة، يرتدي الصدرية الحمراء الخاصة بالخدم. يجتاز خشبة المسرح جيئة وذهابا ثلاث مرات. يختفي. نفس الشيء مع امرأة على عربة صغيرة متحركة، يدفعها الشرطي الأول. يختفيان.

ثم مرة أخرى يرفع الشرطي الثاني مقعدا متحركا عليه الشرطي الأول.

ثم، مرة أخرى يرفع الشرطي الأول مقعدا متحركا عليه الشرطي الثاني وذلك مرتان أو ثلاثة، مثلهم مثل الآخرين.

ثم، مرة ثانية، بينما الشخصية الأولى تجتاز خشبة المسرح من اليسار إلى اليمين، تصل من الاتجاه المضاد، أي من اليمين إلى اليسار المرأة العجوز وهي تدفع الكرسي المتحرك وهو خال، وذلك مرتين أو ثلاثة. كل هذه الشخصيات، بما فيها الرجل الأول لا يبدو أنها تلاحظ وجود الآخرين.



ثم السيدة العجوز تدفع العربة الصغيرة يتبعها بمسافة، رجل عجوز يسير وهو يعرج.

ظهور ثم اختفاء المقعد المتحرك بالمرأة الشابة، تدفعه المرأة العجوز وهي أيضا على مقعد متحرك يتبعها الشرطيان ورجل ثالث.

أثناء هذا الوقت، يستمر الرجل الأول في ذهابه وإيابه.

في النهاية، يظهر الشرطي الثاني في الاتجاه المضاد لسير الرجل الأول، وهو يدفع العربة الصغيرة التي تحمل حقيبتين مطابقتين لتلك التي يحملها الرجل الأول.

ثم تجتاز امرأة خشبة المسرح وهي تدفع عربة صغيرة عليها الحقيبتان. ثم في الاتجاه المضاد يدفع الشرطي الأول عربة صغيرة عليها الحقيبتان.

ثم تدفع المرأة الثانية العربة في الاتجاه المضاد عليها الحقيبتان وتختفي.

ثم يدفع الشرطي الثاني العربة في الاتجاه المضاد، عليها الحقيبتان.

يمكن أن تستمر هذه الحركة المسرحية لبعض الوقت. كل شخصية بالاتجاه العكسي لحركة الرجل الأول ثم تختفي.

ثم تقوم المرأتان، الواحدة تلو الأخرى، بدفع عربة عليها حقيبتان.

ثم من اليمين إلى اليسار، يقوم الشرطيان الواحد تلو الآخر بدفع عربة عليها حقيبتان، ويختفيان.

ثم في أحد الجوانب، يقوم الشرطيان أحدهما بعد الآخر بدفع عربة

عليها حقيبتان، بينما في الاتجاه المضاد تصل المرأتان تدفع كل منهما العربات الصغيرة وعليها الحقيبتان وتتوقفان وسط خشبة المسرح.

يجد الرجل الأول نفسه وقد حمل حقيبتيه في يديه وسط الآخرين الذين توقفوا).

الشرطي الأول : عفوا.

الشرطي الثاني : عفوا.

المرأة الأولى : عفوا.

المرأة الثانية : عفوا.

الرجل الأول : عفوا.

الرجل الرابع : (يدخل بعريته الصغيرة من ناحية اليسار ويتوقف في الوسط: يا له من ازدحام!) (تتوقف الحركة لبضع لحظات. تُسمع صفارات. تتفرق الشخصيات وتخرج، الرجال الثلاثة من اليمين، والمرأتان والرجل الآخر من اليسار، يعود الرجل الأول إلى مقدمة المسرح. ثم يجتاز خشبة المسرح كل من رجلي الشرطة والرجل الرابع والمرأتان تباعا من اليسار إلى اليمين، يخرجون، ثم يظهرون من ناحية اليمين، في نفس الطابور الواحد تلو الآخر، ويخرجون من اليسار في حركة تتوافق مع إيقاع الصفارات التي تصاحبها موسيقى تجعل من كل هذا ما يشبه الباليه).

النهاية







يوجين يونسكو

Eugène Ionesco

رحلة إلى عالم الموتى

Voyages chez Les Morts

ترجمة: أ. د. نادية كامل

مراجعة: أ. د. محمد شيحة

جاليمار ١٩٨١



## الشخصيات

- جان.
- جد جان: ليون.
- العم الكبير لجان: ارنست
- الجدة - جدة الأم - العجوز؛
- والد جان.
- والدة جان.
- زوجة الاب الثانية، مدام سمبسون، هليين.
- شقيقاه: پول النقيب.
- بيير موظف كبير.
- شقيقة جان: ليدا
- (جان يخلط بينهما)
- زوجة جان: ارليت
- لويس (صديق جان غير الوفي).
- الكسندر (صديق جان).
- زوجته فيوليت.
- جورج (صديق طفولة جان).
- الكومبارس؛
- مخرج سينمائي
- فلاحون
- نساء
- إلخ



## الديكور

خشبة المسرح مقسومة بواسطة حاجز له باب. يمكن أيضا عدم تقسيم خشبة المسرح على أن يُكتفى بوجود باب أو إطار باب في وسط خشبة المسرح. في الجزء الأيمن يوجد فراش حقير يرقد عليه شيخ عجوز على رأسه طاقيّة. على الجانب الآخر يجلس رجل أصغر سنا على فراش حقير، يقرأ الجريدة. على كل جانب مقعد ومنضدة. من جهة اليسار، يدخل چان. يفتح الباب ومن دون أن يتوقف في الغرفة الأولى، يتجه إلى الغرفة الثانية حيث يوجد العجوز الراقد.

چان : صباح الخير يا جدي.

الجد : أنا جدك لأمك، لكنني أود أن تتاديني باسمي، ليون.

چان : صباح الخير يا ليون.

الجد : لماذا تنظر إليّ بهذه الطريقة؟ كان عمري أربعة وسبعين عاما عندما توفيتُ. وأنا الآن ميت منذ ثلاثين عاما. تذكر ذلك، كنت صغيرا.

چان : يبدو عليك الغضب. لكنك كنت أكثر لطفا عندما كنت على قيد الحياة. كنا نذهب معا إلى السينما. ومعك صعدت لأول مرة إلى سطح برج إيفيل. هل جدتك معك؟ (يصمت الجد).

هل إيما معك؟

الجد : ماتت وهي أرملة، هي حرة.

چان : لا تراها كثيرا إذن! أنظر إليك، لم أكن أعرف أني



أشبهك إلى هذا الحد . نفس الحواجب، نفس لون  
العينين، نفس الأنف الغليظ بعض الشيء .

الجد : اتركني وشأني، أنا أفكر في اختراعي .  
چان : اختراعاتك؟ ثانية؟ في حياتك لم تتجح أبدا . هل  
تعتقد أنها الآن ...

الجد : اذهب لرؤية أرنست، ابني، خالك في غرفته .

چان : سأعود .

الجد : سلبوني كل شيء . حتى إنهم يمنعوني من تدخين  
غليونني .

(يلتفت، وجهه صوب الجدار .

يتظاهر چان بالطرق على الباب) .

چان : هل يمكن؟

إرنست : ادخل .

(يدخل چان) .

چان : هل تسكن مع جدي الآن؟

إرنست : من أعطاك عنواني؟

چان : صباح الخير يا إرنست .

إرنست : نادني يا خالي . أسألك كيف عرفت عنواني .

چان : ماذا دهاكما أنتما الاثنان؟ هل هو الموت الذي



## جعلكما غاضبين هكذا؟

إرنست

لست ميتا. عمري تسعون عاما، يمكن أن أكون والد والدي. أنا قررت ببساطة أن أتوقف مثبتا عمري عند سن التسعين. لا أرغب في المزيد.

چان

هل لديك فرشاة؟ كي أصل عند والدي وعندك، مررت بطرق موحلة. كما أن الجو كان ممطرا. لذلك أشعر بأنني مبلل بعض الشيء ولكن المهم أن حذائي أصبح متسخا وكذلك أسفل البنطلون، ثم لما كانت كل البيوت بيضاء اللون ومنخفضة، لم أستطع التعرف على بيتك، أعني بيتكما، مادمت تسكن مع ليون.

إرنست

لم تُجب عن سؤالي. من أعطاك عنواني؟

چان

لم أعد أذكر. لم أعد أذكر. ربما والدتي.

إرنست

هي لم تكن تعرف عنواني. لقد رحلت قبلي. أنا لا أراها أبدا. ولا أعرف أخبارها. العائلة لا تحبني. على الرغم من كل ما فعلت من أجل أفراد العائلة! أوجدت أعمالا لكل أفراد العائلة، ساعدتهم وهم، كلما تحسنت أحوالهم كانوا يتيهون في أمجادهم، ولا أعود أراهم. إذن، من أعطاك عنواني؟ لا أريد أن يعرفه أحد فكرت دائما في الآخرين، والآن لا أريد إلا أن أفكر في نفسي.

چان

كما أنك لا تعرف أيضا أين الخالة سوزان؟ ربما تعرف عنوان والدتي. فهي من أبحث عنها. لم أراها منذ وقت طويل. لا أريد أن تعتقد أنني قد نسيتها.



أريد أن أحضر لها هدايا، زهورا آه، من أعطاني  
عنوانك؟ ربما أكون قد وجدته بنفسني؟ تلك الطرق  
الموحلة قد ألهمتني، تلك البيوت المنخفضة. كنت  
أقول لنفسني إنها كانت تحب هذا النوع من المساكن.  
كثيرا ما كانت تنقل من منزل إلى منزل، باحثة عن  
الأدوار الأرضية أو الأدوار تحت الأرضية. هي من  
أبحث عنها، وأنت من وجدت. تلك البيوت المنخفضة،  
ولكن قذرة بعض الشيء إنه ذوق العائلة.

إرنست : أخي إندريه هو الوحيد الذي يعرفها. طلبت منه ألا  
يعطيه لأحد، لأي أحد. ولكني لم أسمع عنه أي شيء  
بعد ذلك.

چان : إنه في العقد الثامن من عمره، مادمت تريد أن تعرف  
عمره الآن، لكنه في صحة جيدة.

إرنست : تراني الآن، وأنا في ثياب رثة، متسخا، أرتدي بذلة  
رسمية سوداء قديمة مليئة بالثقوب. تلمع من شدة  
القدم. لم أكن أريدك أن تراني على هذه الحال. بعد  
كل ما فعلته من أجل الجنس البشري.

الظلم! الظلم يسود. بالكاد أستطيع دفع ثمن جريدة  
مرة واحدة كل أسبوع. لذلك فلسْتُ على علم....  
أبدو كمتشرد، ولكنني احتفظت بكبريائي وحرיתי.

چان : لم يكن بإمكانك أن تتغير، يا خالي.

إرنست : لا يمكن شرائي.

چان : أملك مالا. الكثير من المال أستطيع أن أعطيك



بعضاً منه مادمتم شقيقها .

(يخرج چان رزمة من الأوراق المالية من جيبه).

ها هو، لك وللجد، ستمائة ألف، فرنك جديد.

إرنست : (الذي لا يبدو عليه الامتحان) هذا يكفي في الوقت الحاضر. لكن هذا ليس كافياً. عليك أن تقدم غيره.

چان : أذكر الآن كيف عرفت عنوانك، أو ما يشبه عنوانك، على الأقل عرفت الاتجاه. كنت قد تبعتك قليلاً في شوارع المدينة، ثم فقدت أثرك. لكن قبل ذلك رأيتك وأنت تتنقل من بيت إلى بيت ومن حانوت إلى حانوت. كان الأمر غريباً. ربما كان ذلك من أجل بعض الأعمال. ثم، اختبأت حتى لا تراني، خلف زاوية أحد الشوارع، ثم اختفيت، هربت مني.

ماذا فعلت كي أعثر عليك؟ أحدهم، ولكن من هو؟ كان قد صحبني في جزء من الطريق وأعطاني مع ذلك، بعض المعلومات عن الاتجاه.

إرنست : (وقد انتهى من إحصاء النقود)

إنها ستمائة ألف فعلاً.

چان : (خارجاً من جهة اليسار) سأعود، لكن عليّ أن أبحث عنها.

(يذهب إرنست إلى غرفة الجد، والنقود في يده).



- إرنست : انظر يا ليون، لدي نقود . فيكتور هو من أعطاه لي،  
أعاد لي جزءا من الدين الذي كان يدين لي به .
- الجد : أعتقد أن اسمه ليس فيكتور .
- إرنست : لا يهم .

- (ينهض الجد قليلا يجلس على حافة الفراش، ينظر إلى النقود).
- الجد : هذه الأوراق المالية لا تساوي شيئا . فهي لا تصرف  
في قريتنا، ولا حتى في سوق الأوراق المالية .

\*\*\*\*\*

- الديكور : (لا توجد ديكورات معدة، فقط كرسي ومنضدة).
- الشخصيات : (الأب ، رجل آخر في الخمسين من عمره، الرجل  
الآخر جالس أمام المنضدة، توجد حافظة وثائق  
على المنضدة. يدخل جان من جهة اليمين).
- الأب : هل أتيت لرؤيتي؟ لم أكن أنتظر زيارتك هل جئت  
من أجلي حقا؟ أم من أجلها على ما أعتقد أليس  
كذلك؟
- جان : إن أكثر ما يدهشني، هو أن أكتشف في رحلاتي  
مدنا غير متوقعة، مدنا لم أسمع عنها طوال حياتي .  
لم أكن قويا في الجغرافيا هذا صحيح، ولكنني كنت  
أعرف الأساسيات منها . وإذ بي فجأة أجد في وسط  
الصحراء مدينة جديدة . لا بد أنها كانت مستعمرة  
فرنسية . شيء متناسق . بها ميادين، ليست شديدة  
الاتساع، وشوارع ليست شديدة الضيق، وطرق ليست



شديدة الاتساع وبيوت متناسقة، ليست شديدة  
الارتفاع ولا شديدة الانخفاض، يشعر المرء بأن هذه  
البيوت مريحة من الداخل، كما أن بها شرفات.

في الخارج لا يوجد أناس كثيرون، ربما كان سبب ذلك أن السكان  
مستريحون في بيوتهم، لديهم كل ما يلزم.

الأب : ربما أكون قد سمعت عن هذا البلد، أجل، فإن  
أخي الذي كان عالما جغرافيا كبيرا. والذي توفي  
وهو مازال شابا، كان قد رسم حدود هذا البلد.  
إنه، في الواقع، مستعمرة فرنسية قديمة. تقع في  
شمال الصين يمارس الناس فيها رياضة الفروسية،  
يطلقون عليهم اسم: «آخر فرسان الغرب» على الرغم  
من أنهم يسكنون الشرق الأقصى. تتلاقى الأطراف.  
لم تستطع رؤيتهم لأنهم ربما كانوا في الحقول عند  
زيارتك لهذا البلد.

جان : وجدته بالمصادفة البحتة في نهاية طريقي، في  
إحدى نهايات طريقي. تقول إن هذا البلد موجود  
في شمال الصين؟

الأب : اسمه بوجاندي وعاصمته اسمها بوكال تقع في سهل  
بوكالا، وسط الأراضي.

جان : كيف نفسر وجود البحر والمحيط؟ لقد ظهر لي  
فجأة وأنا أدور حول زاوية الشارع، لونه أزرق، مثل  
الكوت داوزور، حتى إن به ميناء.

الأب : أنت لم تأت للبحث عني. لا يهم، لقد تجاوزت



## الإحساس بالمرارة.

جان : هكذا بدت لي صورة البحر في نهاية الشارع، كان  
الشارع ينحدر بعض الشيء، كما في شوارع سان  
فرانسيسكو على ما يبدو، وإذ بي ألمحه وبه سفن  
على هذا النحو:

(نرى على الجدار الخلفي نهرا كبيرا أزرق اللون، ومزروعات وأشجارا  
شديدة الخضرة تحت إضاءة قوية).

انظر، كانت مثل هذه.

(تختفي الصور).

الأب : كنت أعرف أنك ستحضر، وكنت أعرف أن حضورك  
ليس من أجلي. ولكنني أؤكد لك أن الأمر سيان  
بالنسبة لي. إن السلطات الجديدة قد استبعدت  
كل المحامين، عدا ثلاثة أو أربعة أنا واحد منهم.  
كنت دائما أتميز بالحكمة، كنت أطيعهم. وأدافع عن  
المتهمين الذين يطلبون مني الدفاع عنهم، ولكن في  
الحدود التي يحدونها في الدفاع.

جان : من الذي دافعت عنه؟ لم يكن من حقك الدفاع. أنت  
كنت من يكيل لهم التهم بدلا من الدفاع عنهم.

الأب : أنت مخطئ. جميعكم مخطئون. رؤوسكم مليئة  
بدعاية الآخرين. لقد دافعت عن سعاة البريد الذين  
أضربوا بسبب شدة الحرارة. دافعت عن طلباتهم.  
ولكن كان عدم دفاعي عن مجرمي الدولة سيبدو





غريبا. بعد ذلك قاموا بإلغاء وظيفة المحامي. ولكن  
بما أنني كنت مطيعا، كانوا لطفاء معي. وأعادوا  
تأهيلي.

جان : أعادوا تأهيلك في الشرطة؟

الأب : لا في الرواية، في الرواية الواقعية. نحن ننتمي  
لوزارة الشرطة. نتلقى إعانات من وزارة الشرطة.  
لسنا رجال شرطة. لست رجل شرطة. الدليل إنهم  
يراقبونني. حذفوا من رواياتي بعض الإطلاقات من  
هنا وهناك. أجزاء قليلة. أنا أكتب روايات - نهرية،  
ليست بزرقة المحيط الذي رأيته أو الذي ظننت أنك  
رأيته في بوجاندا.

(يخرج من درج المنضدة رزمة أوراق ضخمة) انظر إنه الفصل الأول،  
إنها رواية كثيبة.

جان : أوراق بلا أهمية، كم من الأوراق، أنت بيروقراطي.

الأب : أنت لا تحقق عليّ لأسباب سياسية. أنت تحقق عليّ  
لأنني طلقت زوجتي.

جان : بل هجرتها.

الأب : أنا آسف لأنني لا أستطيع أن أعطيك عنوانها. لقد  
اختفت، أوصلتها حتى المحطة. لم تشأ أن تخبرني  
إلى أين هي ذاهبة. أعرف فقط إنها حجزت سريرا  
في القطار.

جان : لو كانت عربات نوم فإن وجهة القطار تكون



مسجلة على اللافتات بالمحطة. كان يمكن أن  
تسأل الموظفين، أعتقد أنك كنت سعيدا برحيلها.  
لقد فعلت كل شيء كي يحدث هذا، لم تحاول أن  
تستبقها. كان يكفي أن تقول كلمة واحدة.

الأب : لم تكتب لي أبداً.

جان : من باب التحفظ.

الأب : وأنت، هل كتبت لك؟

جان : لم تصلني خطاباتها أبداً. ولكنها كتبت لي، أنا متأكد  
من ذلك، ولدي الدليل، أجل، أجل دليل ذهني.

الأب : لا بد أنها ذهبت إلى مكان بعيد جداً. إلى حيث لا  
يمكن أن نرى أحداً، لا بواسطة العين ولا بواسطة  
الآلات.

هي من هجرتنا.

جان : بل أنت، لكي تتزوج مرة ثانية.

الأب : أنا وحيد. زوجتي الثانية ماتت. الكل كان يعتقد أنها  
على قيد الحياة وأنها أرملة منذ وقت طويل. ترى كم  
يخطئ الناس.

(يظهر على المسرح فراش قديم له ناموسية وستائر مسدلة يقوم رجلان  
هما شقيقا السيدة سيمبسون، وسنطلق عليهما اسمي بول وبيير، بدفع  
السريير حتى وسط خشبة المسرح)

ستري. (يفتح بول وبيير الستائر فيظهر الفراش الذي ترقد عليه



امراة ميتة. في الأركان الأربعة للسرير توجد أربع شمعات موقدة). ها هو الدليل.

- چان** : ما هذه المهزلة؟
- الأب** : ليست مهزلة. هذه الجثة هي الدليل الحي. هما شقيقاها: پيیر وپول.
- پيیر (لچان)** : هل تعرفت علي؟ كنت صغيرا جدا.
- پول** : علمنا أنك صرت شخصية مرموقة. كنا فخورين بك عندما علمنا أنك فزت بكأس ديفز.
- پيیر** : (مشيرا إلى الفراش الذي يحمل المرأة الميتة).
- كما ترى، أختي ماتت.
- پول** : أجل، أختي ماتت.
- پيیر** : هيلين، أختنا الكبرى، حسناء العائلة.
- الأب** : من حق كل إنسان أن يتزوج مرة أخرى، من حقه أن ينفصل ويتزوج. لم يكن الأمر يستحق أن نحقد عليها. لم تستفد من الميراث، ولا أنا. تبرعت بكل الأموال للدولة. من حسن الحظ أن كتبني تباع بشكل جيد. حتى أن ثمنها يتم دفعه مقدما. أحيانا أكتبها، ويوقع عليها پيیر أو پول. وأحيانا أوقع عليها ويكتبها پيیر أو پول.
- پيیر** : جمعية تعاونية لثلاثة أشقاء.
- پول** : لطالما تدبرنا أمورنا مع الحكومات.



- چان** : لا أصدقك. أنت من يقوم بكل شيء، أنت من يكتب كل شيء، كالعادة وهم من يستفيد. عائلة من اللصوص من رجال العصابات.
- الأب** : كيف تجرؤ على مخاطبتي بهذه اللهجة؟
- چان** : وأنت كيف تجرؤ على الكذب؟ كيف جرؤت على خيانتها وسرقتها، كما سرقتني؟
- الأب** : لم أكن مدينا لك بشيء. حصلت على كل شيء بفضل مزاياي، لم يساعدني أحد.
- چان** : لست في حاجة لمساعدتك، ولكن هي، هي من كانت بحاجة لمساعدتك، كنت مدينا لها بذلك.
- بيير** : لن تتعاركا!
- پول** : لا يفترض ولا يليق أن نقوم بذلك أمام امرأة ميتة.
- بيير** : لم يعد لها دخل بذلك.
- الأب** : كم هي جميلة، على الرغم من الشعر الأب. انظروا إليها إنها أقل شحوبا مما كانت وهي على قيد الحياة.
- بيير (إلى چان)** : كنت ضعيفا في مادتي الطبيعة والكيمياء، اضطررنا لإعطائك دروسا خصوصية.
- الأب** : دفعت ثمنها.
- چان (إلى بيير وپول)** : لا أستطيع أن أسامحه، ذلك لأنني لا أعرف إن كانت هي قد سامحته.



بيير :

أغلى ما نملك هو الحياة.

بول :

هذا ما كانوا يقولونه لنا في المدرسة العسكرية.

جان :

سأعاود البحث عنها مرة بعد مرة كي أسألها، عندما أجدها، عن رأيها في هذا الأمر. في حال ما كانت مازالت تفكر فيه. ربما تكون قد نسيت كل شيء.

\*\*\*\*\*

الديكور :

(باب منخفض جدا في الخلفية، في وسط الجدار الخلفي. في البداية خشبة المسرح مظلمة. في الداخل سنرى عندما تضاء خشبة المسرح، ثلاث أسرة أو أرائك كما سنرى ثلاث سيدات، لا نسمع في بداية المشهد سوى أصواتهن. كما توجد امرأتان. نسمع أصوات وقع أقدام، وأصوات ارتطامات، شخص بالخارج).

المرأة الأولى :

يجب أن تتحني، يا سيدي لكى تدخل. صحيح الباب ليس شديد الارتفاع. عليك أن تتحني. أخطر حتى لا ترتطم به. أضياء النور يا سيدي، لو كنت لا ترى شيئا فالزر فوق فتحة الباب. أبحث، يا سيدي، ستجده في نهاية الأمر. أبحث جيدا. إنك ستضيء لنا جميعا. أشعر بأنك وجدته.

(تضاء الأنوار. ترتدي المرأتان قناعين متطابقين. يرى في الخلفية الباب متناهي الصغر الذي يدخل منه جان زاحفا على بطنه مسبقا بقبعته التي تتدحرج على أرض المسرح لعدة لحظات).





ادخل يا سيدي، ادخل.

المرأة الثانية : هيا ادخل.

(دخل جان. يتقدم وهو مازال زاحفا على بطنه حتى يصل إلى القبعة فيأخذها بيده. ينهض).

المرأة الأولى : لم تؤذ نفسك؟

جان : لماذا تبقون في الظلام؟

المرأة الثانية : لأنه لا يمكن أن نضيء النور أو نطفئه إلا من الخارج. كما فعلت أنت. يمر الناس أمام بابنا وهم على ظهر جواد. وعندما يلاحظون أن الباب صغير جدا وبأنهم لا يستطيعون الدخول عندنا وهم فوق الجياد، يطفئون النور لكي يضايقوننا.

المرأة الأولى : آخرون قلوبهم رحيمة، يضيئون النار.

المرأة الثانية : نحن نخضع لهؤلاء وأولئك، وفقا لكونهم خيرين أو قساة.

جان : لماذا توافقان على العيش في هذا المنزل بلا نوافذ؟  
.... أبحث عنها منذ بعض الوقت.

المرأة الأولى : أتبحث عن أمك؟

جان : أنتما تشبهانها. هل يمكن أن تكون أحداكما هي أمي؟

المرأة الأولى : كلنا متشابهات. أعني كل من ينتمي إلى جماعتنا.

المرأة الثانية : حتى أننا لسنا أقرباء، لا يا سيدي، لسنا شقيقتيها.



- ما يجمعنا هو مواءمات وتشابهات روحية.
- المرأة الأولى : ربما ستأتي، ذهبت لقضاء بعض الحاجيات.
- المرأة الثانية : سافرت منذ خمسة عشر يوما.
- المرأة الأولى : لا، كانت هنا هذا الصباح.
- المرأة الثانية : هذا الصباح فقط؟ ويكون قد مر خمسة عشر يوما؟
- المرأة الأولى : ستعود.
- جان : هل يمكنني الانتظار؟
- المرأة الثانية : إذن فهي ستحضر. يمكنك الانتظار.
- جان : لا أدري أن كنا نتكلم عن نفس الشخص.
- المرأة الأولى : يمكن أن نصنع لك بعض الفطائر.
- المرأة الثانية : لم يعد لدينا دقيق.
- جان : لا تتعبني نفسك. إن سقف بيتكم منخفض أيضا.
- المرأة الأولى : الإيجار معتدل.
- جان : لا بد أنها في مكان ما.
- المرأة الأولى : لا أعلم ما الذي دعاها للرحيل. بقيت هنا أياما وأسابيع وشهورا وسنوات، ثم، فجأة...
- جان : ألم تقل لك إنها تنتظر أحدا؟
- المرأة الثانية : لا، لم يكن لها أن تعرف، فالبريد سيئ للغاية. ثم، هل كتبت لها لتخبرها بحضورك؟



جان : البريد سيئ للغاية.

المرأة الأولى : أتفهم ذلك.

المرأة الثانية : ربما تكون سافرت لبعض الوقت.

جان (قلق وحزين): ربما تكون قد سافرت لأنها أحست بأنني سأحضر؟  
لم أسئ إليها أبدا، فيما عدا أن كنت فعلت ذلك من دون قصد.

المرأة الأولى : تلك مشكلات لا يمكن أن نتدخل فيها.

المرأة الأولى : ربما تكون قد ذهبت إلى الإقليم الآخر لزيارة إحدى صديقاتها، صديقتها جوليان. فهي تمتلك قصرا جميلا أسود اللون. كانت قد قضت أوقاتا سعيدة في هذا القصر، كانت تريد رؤيته مرة أخرى قبل أن يتم هدمه.

جان : القصر الأسود؟ تقصدين القصر الأبيض؟

المرأة الأولى : على الرغم من أنها كانت هنا، منذ لحظة. ربما تكون قد رحلت للأبد.

جان : تعتقدين أنها رحلت للأبد؟

الديكور : (غرفة حقيرة. مقعد وثير قديم في ركن الغرفة، يجلس عليه الأب. مقعد ومنضدة بأدراج في الناحية اليمنى من خشبة المسرح).

(الأب جالس على مقعده الوثير، ينظر من وقت لآخر لساعة في معصمه.  
يتحدث):



الأب

تأخر بالطبع، شيء لا يدهشني. كان دائم التأخر. درجاته في المدرسة كانت سيئة. كيف استطاع أن ينهي دراساته العليا؟ كان سيئاً في اللغة اليونانية، وسيئاً في مادة العلوم! لكنه في النهاية استطاع الحصول على كل شهاداته. كنت أرغب أن أصنع منه مهندساً! لكنه لم يطعنني أبداً. كان دائماً ضدي. يا له من جيل! دائماً ما يكيل الاتهامات؛ لم يفهمني أبداً، كان يمقت أصدقائي، وعائلتي الجديدة.

(يدخل جان).

جان

أنت ثانية! منذ سنوات وأنت تسكن أحلامي أنت، وزوجتك وأمي وأصهارك. لم أحلم بكم منذ سنوات، عشرات السنين ما معني العودة إليكم الآن؟ هل سألحق بكم بعد قليل؟ لم تنته من تصفية حساباتنا؟ دائماً ما نعود لهذه البدايات المخيفة.

الأب

ذلك لأن العالم لم يعد يهتمك.

جان

مازلت على قيد الحياة! مازلت أناضل بشكل سيئ وسط الضجيج والجنون، أدعي الاهتمام ولكن لقد زهدت هذه القصة.

الأب

ألا أنك نجحت، كما يقولون. عشت حياة حافلة بعض الشيء، بل حافلة جداً. نلت المجد.

جان

أنا الآن أكبر منك سناً. إلا إنني عندما أراك أمامي، أجد نفسي على الدوام الطفل البائس الذي كنت تضطهده، وتضربه. كنت تسبني بسبب أمي التي لم

تسع إليك أقل إساءة والتي هجرتها .

لحسن الحظ أنتي استطعت الهرب من منزلك وأنا في السابعة عشرة . ما الذي كان سيضيفه لي أب يقوم بضرب خدمه ؟ على أنك في بعض الأحيان كنت تظهر بعض المشاعر الطيبة تجاهي ، أو بعض الفخر عندما أنجح في المجتمع . لكن عندما صنعت مني السياسة شخصا منبوذا ، السياسة الحقيرة لبلدك ، أنت أيضا صنعت مني شخصا منبوذا . كنت لا تستطيع مقاومة قبول رضا المجتمع ، مجتمعك ، أو رفضه . لكن كما ترى ، انتصرت عليك لأنني كنت محظوظا ، أملك الشجاعة كي لا أمتثل لأمرك أبدا . لا أستطيع أن أزعم أنك أنت أيضا لم تتجح تحت جنح الظلام . كنت الأسير لدى جماعة الماسونيين والديموقراطيين واليساريين ، واليمينين والحكومات النازية ، والحرس الحديدي ، ثم النظام الشيوعي .

كنت عاقلا ومتواضعا .

الأب

لم يكن ذلك بسبب فلسفة ما . لم يكن ذلك بسبب فلسفة ما . وإنما لتوفيق مصالحك ، وفي النهاية لم تتجح في ذلك ولم تتجح في حياتك الخاصة ، مع زوجتك ، زوجتك الثانية التي لم تستطع أن تتحملك والتي كانت تجعل ابنة أختها تنام بينكما حتى لا تقوم بلمسها . تلك الحمقاء ذات الأقدام الضخمة . لم أقرك إلا عندما علمت ، بعد وفاتك ، أنك اتخذت عشيقا ، خادمك الفجرية . أذكر أنني رأيتك في السينما عصر أحد الأيام ، بصحبته ، تظاهرت بأني

چان





لا أعرفك، إلا أن بعض الشكوك كانت قد بدأت  
تساورني.

الأب : كنت مثقلا بالعمل، وبإحساس بذنب دائم، لأنني لم  
أكن شخصا متوحشا كما تظن، كانت هي بهجة  
حياتي. بهجتها الوحيدة.

چان : كنت قد اشتريت لها منزلا، لم تعد تستطيع أن تفيد  
منه، لأنها ماتت هي الأخرى، مثلك. من المؤسف  
أننا لم نستطع التفاهم. كان يمكن أن تقص لي كل  
ذلك، كنت قد دعوتني لكي أتناول مشروبا معها.  
الإنسان الوحيد من بين المحيطين بك الذي يمكن  
مرافقته.

الأب : أترك هذه الأمور جانبا، هذه أمور ماتت منذ زمن  
بعيد. قم بمحو أحقادك تجاه كل هذه الشخصيات  
وهذه الأسر التي ماتت منذ زمن بعيد.

چان : إذا كنتم تظهرون في أحلامي، فمعنى ذلك أن  
أحقادي ليست بالكبيرة. المشكلة لم تحل بعد.  
انقلابات وحروب فرقتنا. لم نتمكن أبدا من  
التفاهم. لماذا آتي لرؤيتكم في الحلم؟ لقد مت من  
زمن طويل. سرعان ما سألحق بك. لكنني سأظل  
الأب، حتى وأنا في الجانب الآخر، كما سأعاني كي  
أراك، لأنك قد حصنت نفسك داخل مقابر زوجتك  
الثانية وأصهارك، القراصنة، هل هم فعلا قراصنة؟  
كانوا أشرارا أغبياء، لا قيمة لهم، ربما ليس أكثر  
من الآخرين، ولكن أنا، سيكون لي قبر مع زوجتي



وشقيقتي، ابنتك، إلا لو كنت بعيدا، بعيدا جيدا، أنا  
وزوجتي ثم بعد ذلك ابنتي! سنكون في بلاد أخرى  
ظننا أنها أفضل. ظننا أنها أفضل.

الأب

ستقلب الأرض سيختلط كل شيء، وقد تقتل الأرواح  
بدورها، ولم يتبق لك من العمر إلا القليل، دعني ألق  
نظرة على ما تركت من أعمال، ما كتبت.

چان

سأريك كل هذا.

(ينهض، يتجه ناحية منضدة، يفتح أدراجا، يخرج بعض الأوراق، يتبعه  
الأب . يفتح الأب درجا ويخرج منه أوراقا مبعثرة).

الأب

هذا كل شيء، كراسات ناقصة، أوراق بها خريشات،  
أنظر إليها، ولا أجد شيئا واضحا. حتى أنك حاولت  
أن ترسم. وكنت قد أخبرتك بأنك لا تملك موهبة  
الرسم، ما من شيء واضح، ما نسميه إنتاجك الأدبي:  
حرف الألف والباء والتاء والواو ليس من الممكن جمع  
الحروف لتكوين أي معنى، أوراق مبعثرة، وتوقعات  
وتم أخذ ذلك في الاعتبار! لا يوجد أي شيء يا ولدي،  
لم تترك أي رسالة، لقد تمتت ببعض المهمات،  
شذرات كلمات، أشباه العبارات، ربما تكون قد ظننت  
نفسك حاملا لرسالة، شاهدا، محلا للوضع. ما من  
وضع يبدو واضحا، إنه الخواء.

چان

ظننت، بعض الوقت، إنني قد تركت شيئا، ولكن ما  
من شيء. أدركت ذلك منذ فترة طويلة، أدركت أن كل  
هذا مجرد أشياء بلا قيمة.



الأب

: لا تشغل بالك، ما من أحد نجح في عمل اللاشيء.  
العالم ليس ملكاً لأحد، كان العالم سيقع بين يدي  
الشیطان لو لم ينتزعه الله من بين يديه الله وحده  
هو القادر على إعطاء الأشياء معنى تلك التي دنسها  
الشیطان ولطخها وكسرها. كل ذلك من الممكن  
تنظيفه وإصلاحه وبذلك يمكننا إدراك وفهم هذه  
الأشياء.

چان

: سأقدم لك صديقتين من صديقاتي. (تدخل  
امراتان).

أراهما في أحلامي، حتى تعرفهما وتضحكا.  
(تجلس المراتان جاثيتين على الأرض الواحدة في  
مواجهة الأخرى، وكأنهما دجاجتان، تصيح الأولى  
«كوت كوت كوداك» والثانية «كوكو ريكو»، تستمران  
بعض الوقت في هذه اللعبة، وكأنها باليه من نوع  
خاص، بينما يتحدث الأب والابن).

الأب

: صديقتان تمتلئان بالحيوية.

الأبن

: أجل، ظننت أن بإمكانهما تسليتك.

الأب

: ما هذا؟ كما لو أنهما دجاجتان. أجل، إنهما دجاجتان  
حقيقيتان، وليستا شبحي دجاجتين.

چان

: لا، هما سيدتان تقومان بدور دجاجتين.

(من الخلف تظهر سيدة بدينة).

الأب

: أتعرفها! إنها زوجتي الثانية. زوجة أبيك.



**زوجة الأب :** اخرجي أيتها الدجاجتان. وإلا جعلت دجاجتي الرومية تطردكما.

(تتوقف المرأتان).

لا تحضر دجاجا بمنزل أناس ماتوا منذ زمن طويل.

(من جهة اليمين تأتي امرأة أخرى بيدها مكنسة تدفع بها المرأتين - الدجاجتين إلى الخارج اللتين تختفيان وهما مستمرتان في التمثيل).

أخيرا نبقى وحدنا، مع أنفسنا.

**چان (إلى المرأة البدينة) :** يجب أن تعالجي نفسك.

**الأب :** هنا، ليس لدينا كآبة ولا أحزان، نحن وراء الأحزان ووراء الأفراح.

**چان :** أنتم أشباح تحمل ذاكرة.

**الأب :** سنذوب، ولكن ليس على الفور، عندما يأتي الآخرون، عندما تصبح المدن والسهول خالية.

(من الخارج، تُسمع أصوات صرخات خافتة وإطلاق نار ضعيف).

**الأب :** أجل، لانزال نسمع كل هذا، وهذا لم يعد يضايقنا إنها أصوات خفيضة، نسمعها ولكن لا ننتبه لها.

**زوجة الأب :** أما أنا، فلدي ما أقوله، ما لم أقله طوال حياتي، قلت أشياء أخرى لم تكن ما أريد قوله، لدي ما أقوله، لدي ما أقوله.



(يدخل جان من جهة اليمين، في ذات الوقت تدخل امرأة من جهة اليسار. تتقابل الشخصيتان في وسط المسرح).

المرأة : (هي الأم على ما يبدو)

أنت جان؟

جان : أعتقد أنني هو.

(يبحث في جيوبه، يخرج بطاقة هوية)

وفقا للبطاقة هذه، أعتقد أنني هو.

(ينظر حوله)

لا أرى امرأة.

الأم : ها هي امرأة جيب صغيرة.

جان : (آخذا المرأة).

إنها امرأة جيدة. أتعرف على ملامحي. صحيح أصبحت ذابلة بعض الشيء ولكنها ملامحي على أي حال.

الأم : أنت لم تتقدم في السن، لم تتغير، يمكن أن تتعرف على نفسك بسهولة أكثر.

جان: (وهو ينظر بانتباه). نعم، صحيح، لدي نفس التجاعيد، إنها وراثية، كانت لدي وأنا طفل صغير. (يعيد المرأة)

أين نحن الآن؟ هل نحن في بوخارست؟ يبدو لي ذلك.





الأم

: نحن فعلا في بوخارست.

چان

: أعتقد أنى أعرف هذا المنزل.

الأم

: إنه منزل زوجة أبيك الثانية، زوجة أبيك.

چان

: ولكن أنت، من أنت؟ إنى أعرفك على ما أعتقد،  
أعتقد أنى أعرفك منذ زمن طويل، ولكن من أنت  
بالتحديد؟ هل أنت زوجتي، هل أنت ابنتي؟ هل أنت  
شقيقتي؟ أنت واحدة من الثلاثة أنا متأكد من ذلك.  
أبي شديد الثراء كما تعرفين، وهو يعطيني مالا  
كثيرا.

الأم

: لم تستطع أن تكسب مالا بنفسك، مع أشعارك هذه،  
إنها لا تساوي شيئا تلك الأشعار.

چان

: حمدا لله، أبى يدللني، في بعض الأحيان يكون قاسيا  
وأحيانا أخرى سخيا جدا. لقد أنفقت خمسمائة ألف  
فرنك وبقي معي مئة ألف سأطلب منه المزيد لو كان  
لا يزال بحال جيد. في هذا الوقت هو يدللني. (ينظر  
چان حوله)

لماذا كل هذه الغرف الخالية في المنزل؟ يمكن أن  
ننام تارة في غرفة وتارة في غرفة أخرى. والكثير  
من الطعام داخل الخزائن!

الأم

: أنت تفرط في الطعام، تأكل طوال الوقت، ستصبح  
بدينا.

چان

: ما هذه الكتب المقدسة هنا؟ أنها كتب قديمة، قديمة  
جدا.



(يأخذ واحدا منها)

إنها مكتوبة بحروف غريبة، حروف هيروغليفية.

- |      |   |                                                                                           |
|------|---|-------------------------------------------------------------------------------------------|
| الأم | : | إنها كتب دينية، باللغة الرومانية القديمة.                                                 |
| جان  | : | بالكاد نستطيع فهمها، هي غير مفهومة تماما.                                                 |
| الأم | : | لم تعد تعرف اللغة الرومانية. نسيته، بل إنك نسيته اللغة الرومانية الحديثة.                 |
| جان  | : | بلى، إنني أتعرف على كلمة من هنا وكلمة من هناك. هناك صلبان. مازلت أقرأ، وأعرف كلمة «ملاك». |
| الأم | : | لا تأكل كل الخوخ المجفف.                                                                  |
| جان  | : | وهذه الأوراق؟ إنها أوراق لعبة التاروت كما أعتقد.                                          |
| الأم | : | طلبت منك عدم البحث بالخزائن وفي الثلاجة. كف عن الطعام. هذا يكفي.                          |

(يعود جان إلى المائدة).

جان : ما هذه اللقافة؟

(يفتحها).

أوراق مالية كثيرة، أوراق مالية كثيرة!

الأم : ولكن هذه الأوراق لاغية. ليس والدك هو من أرسلها.

جان : لا بد أنه الخال أرنست، لا بد أن أستعيد هذه الأوراق



المالية، فلم يعد لها أي قيمة.

الأم : الخال أرنست لا يصنع غيرها. تعرف جيدا أنه لا ينصلح أبدا وأنه نصاب.

چان : كي أستعيد كل هذا، تلزمني أموالا كثيرة، أكثر مما أملك.

الأم : انظر، ها هي زوجة أبيك.

(تدخل زوجة الأب من جهة اليمين).

چان (لزوجة الأب): سيدتي، يلزمني مبلغ خمسمائة ألف فرنك حتى أقوم بتحرير الخال إرنست وأسدد ديون والدتي وأسرتها.

زوجة الأب : كم أنت عنيد. لطالما طلبت منك أن تتأديني باسم هيلين وليس سيدتي.

چان : تعرفين أنني لا أحب أسمك. ثم إنك غريبة بالنسبة لي.

زوجة الأب : إذا كنت غريبة، فلماذا إذن تطلب مني نقودا باستمرار؟

چان : سأعيدها لك.

زوجة الأب : دائما ما تقول هذا.

چان : أؤكد لك أنني سأعيد لك هذا المال مع فائدة ١٠٪

(نفس الشخصيات، وسيد عجوز، لن يتكلم، وسيدة عجوز).



**چان :** (للقادمين): صباح الخير يا جدتي، صباح الخير يا جدي.

(يقبلهما).

أمي، لماذا أنت عجوز إلى هذه الدرجة؟ أنت عجوز مثل جدتي وجدي. مع أنك ابنتهما.

**الأم :** لقد بلغت سن والدي. نشيخ أيضا في العالم الآخر. نصل إلى سن المائة ثم نتوقف. ستشيخ أنت أيضا عندما تأتي عندنا.

**چان :** أنا أنتظر أبي، فعليه هو أن يدفع ديونك.

**الجدة :** لا يمكن للديون أن تنتظر، فأبيك لا يدفع أبدا. يجب إنقاذ أرنست. إنه غارق في ديونه. علينا إخراجه مما هو فيه.

**زوجة الأب :** تأتون دائما لطلب المال من زوجي. (للإم) لست زوجته، لم تعود زوجته.

**الجدة :** ولكن چان ابنه. ومن حقه الحصول على جزء من دخل أبيه.

**زوجة الأب :** ليس له أي حق، لأنه بلغ سن الرشد.

**الجدة (لزوجة الأب):** حتى عندما كان صغيرا لم يساعده. كنت تقومين بمنعه.

**الأم (للجدة) :** دعك منها يا أمي، ولنكف عن تناول هذه الموضوعات. سأحاول من جانبي، أن أجد مالا، سأصرف.



**جان (للأم) :** لا يا أمي، لن تدفعي شيئاً. أنا أنتظر أبي، فهو الذي عليه دفع الديون لكي نحرر الخال أرنست. وعموما فهو يدين لك بهذا المال. من المؤسف جدا أنك صرت عجوزا وبدأ عليك الكبر إلى هذا الحد منذ تركتينا جميعا.

(تدخل امرأة).

**المرأة :** ذلك لأنها لا تشعر بالراحة هنا. وبشكل آخر فمهما قالت، ستبدو شابة فإذا شعر المرء بالراحة هناك فإن الزمن يتم حسابه بشكل معكوس. من الخطأ أن تقول إننا نتقدم في السن هناك.

**جان (إلى الأم) :** ماذا أفعل لأمحو هذه التجاعيد، ماذا أفعل لأهدئ من روعك؟

**الجدّة :** يجب أن تتزوج مرة أخرى من أبيك.

**الأم :** في هذه اللحظة، علينا تحرير الخال أرنست.

**زوجة الأب :** أنا هنا في بيتي. في داري. لا أحد يستطيع إخراحي منه، أو أن يسلبني زوجي.

**المرأة (لزوجة الأب) :** هو لا يحبك كثيرا. بل إنه لم يعد يحبك تماما. في هذه اللحظة لا بد أنه مع إحدى صديقاته، مع الفجرية.

**زوجة الأب :** تقولين هراء. اختار لي وله نفس المقبرة. لم يعد يريدنا.

**الأم :** ولم يعد يريدك أنت أيضا.

**زوجة الأب (لجان) :** أنا سيدة مؤمنة، سأساعدك رغم كل شيء. ولكن لا





تحاولوا أخذ زوجي مني. لن تستطيعوا.

**المرأة** : مادام مع الفجرية، فنستطيع القول بأنها هي من أخذته.

**زوجة الأب** : هو مع الفجرية للتسلية فقط. فأنا أعرف حقيقة مشاعره. لقد اختارني وهذا شيء لا يمكن تغييره. (لجان) كل عائلة والدتك، أناس من نوع آخر. كان عليه الانفصال عنهم. كان متفاهما معي ومع أشقائي وابن عمي، كان يتحدث نفس اللغة التي نتحدث بها. ونحن ننتظر أبيك، وحتى أثبت لك أنني امرأة صالحة، سأمنحك خمسمائة ألف فرنك. لن أعطيك سوى أربعمائة ألف، على أن تعيد لي الباقي.

(لجان يفتش في جيوبه).

**لجان** : هاك، وجدت مائة ألف فرنك. لم أكن أعلم أنه قد تبقى معي كل هذا المال.

**الجدة** : مبلغ الريمائة ألف هذه، عليك أن تدفعها من جيبك الخاص. إنه بعض ما سرقت من ابنتي. سنستعيد بعضا من هذا المال.

**الأم** : فلنترك هذا الحديث. فإنه يؤلمني كثيرا. (يسمع ما يشبه رنين التليفون، على أنه لا يوجد تليفون)

**الصوت** : ألو لجان؟

**زوجة الأب** : يطلبونك في التليفون.

**لجان** : من؟ صوت مجهول، لا يريد الكشف عن نفسه.



زوجة الأب : ما هذه الأصوات التي تطلبك هنا، كما لو كنت في بيتك؟ أنه بيتي أنا.

المرأة : ما تسمينه بيتك قد تم غزوه، إنه ملك لكل الناس.

زوجة الأب : كل شيء ملكي أنا، مادام ملكا لزوجي.

جان : لا شيء ملك لأحد، أو كل شيء ملك للجميع.

الجدة : ما دامت ابنتي كانت الزوجة الأولى لأبيك، يا جان، فإن لنا الأولوية.

الصوت: (لجان) : أن أباك، وجدك، وجدتك يرتدون أسمالا. إنهم عجائز وفقراء، يحتاجون إلى الكثير من المال. ثم علينا إخراج أرنست من السجن.

زوجة الأب : كلهم لصوص، أي أسيرة! كان زوجي على حق حين تخلص منكم.

الجدة (لزوجة الأب): أنتم، لستم أفضل منهم. على الأقل لم نقم بنهب الفلاحين. لم نؤذ أحدا. لقد صار شقيقك ثريا من السرقة لذلك يحتل مركزا رفيعا. إنه ظلم، ولكن الله سيعاقبكم. وأخوك هذا قاتل، لأنه حكم بالإعدام على بعض الناس. (إلى جان): نحن سناخذ الاربعمائة ألف فرنك ونرحل، وتأتي بعد ذلك للحاق بنا، سننتظرك.

(يخرج الجد والجدة والأم. وعند خروجها تقول الأم لجان):

الأم : أقبلك يا ولدي وسننتظرك، من دون أمل كبير، ولكننا سننتظرك إلى ما لا نهاية.



زوجة الأب (بعد خروج الجميع): كل هذا مجرد مهزلة بغيضة. كنت أتوقعها، ولكنني قوية، لن أَرْضَخ، سأحتفظ بزوجي وبيتي والثروة.

المرأة : إنها أنانية مجنونة، وقاحة مجنونة.

زوجة الأب : لا أبالي.

(تخرج بدورها).

جان: (وهو يتمدد على الأريكة): أمر ممتع أن يستريح المرء. من الجيد أن نكون على قيد الحياة زيادة على هذه البدلة التي ارتديها فأنا أملك ثمانية. أي تسعة لو حسبنا ما ارتديه كما أملك نحو عشرة أزواج من الأحذية.

المرأة : قمت بأشياء جيدة في حياتك ومازلت تفعل ذلك. كن مسرورا بذلك.

جان : كم هو رائع أن يستريح المرء. (ينهض بشكل مفاجئ).

المرأة : ها هي حقبتك مكتظة بالنقود. فأنا من عليه أخبارك بذلك، لم تكن تعرف ذلك.

جان : وهذا ادعى لكى أعطي منها للعائلة، وللخال أرنست. هو لا يساوي شيئا، ولكني لا أستطيع، مهما يكن، أن أتركه يتعفن في كهفه، ثم على أن ألحق بأمي وبجدتي وجدي. هل مازالوا يسكنون في شارع كلود - تيراس؟

المرأة : بالطبع، حتى أنهم أرسلوا لنا برقية من هناك، كما



أرسلوا بطاقات بريدية.

جان : لا يوجد قطار مباشر يوصلنا إلى هناك. هل تعرفين أي حافلة على أن أستقل؟

المرأة : هناك عربة بجواد في انتظارك أمام الباب.

(تذهب إلى الخلفية وتنتظر).

بل عربة بجوادين. وعربة أخرى بثلاثة جياد.

جان : إن ذلك يكلف الكثير، إذا أضفنا الإكرامية التي علينا أن نعطيها للسائق، ثم إن المسافة حتى آخر المدينة طويلة جدا.

المرأة : سأذهب لإحضار سيارة أجرة.

جان : هذا أكثر عصرية. ولكنك لن تجدي. في هذا الحي لا يوجد موقف لسيارات الأجرة.

المرأة : ربما أجد واحدة في الأزقة، أو في الطرق المسدودة فهناك أناس ينزلون من هذه السيارات ويبقى السائقون غير مشغولين.

جان : لن يقبل السائقون الذهاب إلى هناك فإنها ساعة تناول الطعام.

(تخرج المرأة).

السيارة الأجرة وجودها غير محتمل، غير محتمل. في الماضي كان هناك الترام.



(يتجه ناحية المنضدة).

كل هذه الكتب التي لا أفهمها. لا بد أنها كُتِبَ فيها ما ينبغي عمله عندما نقُتِرِب من الموت، أو عندما نموت، ولكن ترى هل ما كُتِب، لا يزال صحيحاً؟ إنها كتب قديمة، تجارب شديدة القدم تلك التي توصف، شديدة القدم على أي حال، أنا لا أفهمها، نسيت اللفة. الآن أنا ثري، الآن أنا شديد الثراء لا أملك هذا المنزل فقط، بل أسكن منازل عديدة، في كل منزل لدي عدد من الأسرة، أغير سريرى كل ليلة، فأنا لا أحب النوم في السرير نفسه أكثر من ليلة.

x

الديكور : نفسه.

(نفس الشخصية جالسة على مقعدها الوثير)

چان : ماذا؟

[فترة صمت].

من جهة اليسار تدخل شخصية (چان (١) يجب أن تشبه تماماً الشخص الجالس على المقعد الوثير. من جهة اليمين تدخل شخصية (٢) هي أيضاً تشبه تماماً الشخص الجالس على المقعد الوثير، الذي لن يتحرك بعد ذلك، ولكن يبدو أنه هو الذي يتكلم.

من جهة اليمين، في نفس اللحظة التي يدخل أثناءها الشخص القادم من اليسار تدخل شخصية أخرى (٢) هي أيضاً تشبه الشخص الجالس على





المقعد الوثير ولكنها أكثر تقدما في العمر. سيخاطب هو أيضا الشخص الجالس على الكرسي الوثير. سيفهم بسرعة أنه أبوه. هو أكثر تقدما في العمر، يرتدي نفس الملابس، ولكن الشخصية القادمة من جهة اليسار هي التي سترد بدلا من الشخص الجالس على المقعد الوثير. لا بد من إيجاد طريقة لكي يدرك المتفرج هذه اللعبة. ربما تخاطب الشخصيتين، لا سيما الشخصية المتقدمة في العمر (٢) (الأب)؛ بعد كلمتك الأخيرة، تركت لك قرنا من الصمت. وأخيرا ها أنت ذا إلى ما لا نهاية! هل استعدت ذكرياتك؟

جان : استغرق ذلك وقتا طويلا!

الشخصية (٢) (الأب)؛ رغما عني، قمت بعمل كل ما أردت. كنت أحلم لك بمستقبل أفضل، بمهنة أخرى: رجل سياسة مرموق، قائد في الجيش أو مهندس كيميائي لم تشأ أن تطيعيني. أعرف ذلك، لم أعد أحقد عليها، إنها أمك من دفعتك في اتجاهات أخرى.

جان : هل مازلت تحقد عليها؟ ستتحقد عليها إلى ما لا نهاية. طالما تحقد عليها، لن تذهب إلى الجنة. لقد حضرت هنا وبقيت في الكرسي الخاص بي كي أجيب عن أسئلتك.

الشخصية (٢) (الأب)؛ لا ترهقني! يجب أن أعترف بأنك نجحت في حياتك ووصلت إلى مركز مرموق، هل هذا ما سينفعك هنا؟ لو كان هذا ممكنا لوجب علينا أن نبدأ كل شيء من جديد. نبدأ من جديد! ولكن في النهاية نجحت نجاحا باهرا، صرت رئيس أكاديمية، مدير مدرسة



أدبية هوجمت من العديد من الخصوم.

چان

لا يمكن أن يثير المرء إعجاب الجميع بالإضافة إلى إعجاب أبيه. فالمرء لديه من الخصوم أكثر مما لديه من المتملقين. لكن كان لدي ما ساندني. أكبر النقاد، وأعظم أساتذة علم الجمال. شيدت صروح الأدب والشعر لم يكن هناك من هو أعظم مني في عصري. عندما كنت تلميذا، كنت تدخل حجرتي الصغيرة وتفتش أدراجي. كنت تتحقق من كراساتي ولا تجد فيها سوى رسوم كاريكاتورية بدلا من الواجبات التي يفرضها علي المعلمون والأساتذة. كنت تطلب مني إعادة الدروس وتسميعها لك، ولم أكن أعرف منها كلمة واحدة، وعلى الرغم من ذلك، نجحت في امتحان البكالوريا وفي كل امتحاناتي وحصلت على كل شهاداتي. لأنهم، هم، أدركوا أنني عبقرى، كانوا يعرفون أنه إذا كان أبي يخجل مني، إذا كنت أنت تخجل مني وتغلق علي حجرتي وتخبي كل كتب الأدب، إذا كنت تشعل النار في كتب دوستوفسكي وكافكا وفلوبير وكيركجارد فقد كنت أنا فلوبير وكيركجارد.

كنت تصفعني، وتضربني، ولكن هم، أساتذتي، لم يعبأوا بالأصفار التي كنت أحصل عليها في مادة الرياضيات، هم، كانوا يثقون بي كما كانوا يعيرونني كتب المؤلفين التي كنت تحرقها بالنار، كانوا يجعلونني أقرأ في الفصل راسين وشكسبير أثناء دروس الفيزياء. وكان أساتذة الفيزياء يفضون



الطرف عن ذلك وكأنهم لم يلحظوا ذلك.

أنا الآن أصفي حساباتي معك وألومك على كل ما أردت منعي من عمله. أنت أيها الأب المتسلط الأعمى.

مدرس الكيمياء الذي كنت تحضره إلى المنزل لكي يعدني لامتحان الهندسة الكيميائية كان يحضر لي، سرا، الكتب الممنوعة ونسخا من لوحة العشاء الأخير لليوناردو دافنشي. لقد هربت من المنزل ووجدت أصدقاء ساعدوني كما وجدت المشروبات التي أحب والفتيات التي أهوى! طوال زمن مراهقتي قمت بحبسي. لم تستطع أن تصنع شيئا ضدي. كنت أنا الأقوى، الأقوى.

**الشخصية (٢) (الأب):** أجل يا بني، كنت تذهب إلى أمك بشكل خاص. وهي من كانت تشجعك على حريك ضدي. لم تكن من مقامنا. وهذا هو سبب خلافتنا. لا بد أنها ماتت الآن، هي أيضا، في مكان ما.

**چان :** كانت فخورة بانتصاري عليك. كما كانت فخورة بصفة خاصة بنجاحي. كنتُ على حق.

**الشخصية (٢) (الأب):** فعلا، هذا صحيح، أعترف بذلك، لقد حصلت على المجد. كنت شهيرا بين الأحياء. أقصد بين المشرفين على الموت، هل يتذكرك الموتى؟ أنت مجهول بالنسبة لهم كما كنت ستصير مجهولا لو أنك أصبحت كيميائيا متواضعا. أجل، أجل، لا أستطيع أن أنكر، لم أكن أو من بنجاحك، لم أو من بذكائك.



كنت من جنس أمك ولم تكن من جنسي.

چان

كنت غاضبا وكنت عنيفا وكنت تضرب خدمك وتسب  
مرؤوسيك.

الشخصية (٢) (الأب): لقد ماتوا جميعا الآن، وهم لا يذكرون شيئا لا  
أعمالك العظيمة ولا نوبات عنفي. لقد تساوى  
الخصيس بالعقري. لكن لا بد لي من التوبة!

چان

لا بد أن تتوب!

الشخصية (٢) (الأب): لا بد لي من التوبة! ولكن هل النظام كان أسوأ من  
الجنون الذي كنت تبثه في رؤوس الناس؟ لم يعد  
لهذا أو ذاك أي أهمية. ما من أحد يُعتبر خسيسا  
إلى الأب د، فالأب دية تسوى بين الجميع. لكن لا، يا  
بني، لا، أنا أقول أي شيء كي أدافع عن نفسي. أنت  
من انتصرت يا بني. لا أعرف ماذا كسبت بالضبط،  
ولكن من المؤكد أنك كنت مُقدرا من علية القوم، رأيت  
عناوين أعمالك عند باعة الكتب وفي المكتبات.

لم أقرأ منها شيئا، كل ما أعرفه عنك هو ما كان  
يقال.

بعض الشائعات والأصدااء، الأصدااء. والآن وقد  
أصبح لدينا الوقت، فأرني ما صنعت حتى أعرف  
وحتى أشعر بالهزيمة تدمرني أكثر، وحتى أقدر  
أمجادك فأعجب بك عن معرفة وعلم.

چان

سأريك كل شيء. إن أعمالني داخل الأدراج، كما كانت  
في أيام طفولتي.



## الشخصية (٢) (الأب): أرني! أرني يا بني!

(توجد منضدة في مقدمة خشبة المسرح. الشخصية الجالسة على المقعد الوثير تنهض، وتتجه ناحية المنضدة، تفتح درجا، ثم درجا آخر ثم درجا ثالثا)

چان : ها هي !

[يخرج من هذه الأدراج أوراقا مصفرة اللون، وكراسات ممزقة، تتساقط أوراقها على الأرض، يلتقط بعض الأوراق. الأب واقف، يتأمل ذلك بنظرة باردة. يخرج چان أيضا أسلاكًا حديدية، وأجزاء من الأسلاك الحديدية الصدئة، وكتابًا للتدبير المنزلي، وخرقًا صغيرة قذرة، وأقلامًا غير مبرية، وزجاجة حبر تتسكب وتلوث المسرح].

چان : هاك، كل ما صنعت.

الشخصية (٢) (الأب): هذا هو كل ما تحتويه أدراجك منذ كنت طفلًا.

چان : لا أكثر؟ هذا كل شيء، لا بد أني نسيت أشياء في مكان ما. هذا كل شيء!

الشخصية (٢) (الأب): كل شيء؟

چان : كل شيء! لكن ما كان يجب أن أنهك نفسي من أجل ذلك. أجل يا أبي هذا كل شيء فعلا. أين روائعي؟

أين أمجادي؟

(يفتح درجا رابعا ويخرج منه حفنا من التراب) هاك! هاك! هل هذا أفضل من لا شيء؟





## الشخصية (٢) (الأب): هذه هي كل أعمالك!

جان : كل شيء قابل لإعادة النظر. كل شيء قابل للمراجعة.

(يعود لمكانه على المقعد الوثير)

لكني سأظل أَدافع عن الغرب عِراقة العالم الإغريقي، الحرية التي تمنحها لنا الكواكب الوجودية والغنوصية، وحق الاستدلال، والتأمل النظري الثالنتيني، وشدو اللؤلؤة، الدفاع عن الغرب، الدفاع عن الغرب، رقصة الغرب<sup>(١)</sup>، الحملة الإيطالية، التوجه إلى روما، الدفاع عن الغرب، الغرب عن الدفاع، أسنان الدفاع، الدفاع عن الغرب، الدفاع عن مؤخر الرأس وعن مسيرتي السياسية. عن وضع الإنسان، والثقافة، والشعائر الشرقية، الدفاع عن الغرب، وسنة الدفاع، والدفاع<sup>(٢)</sup> عن السِّنة.

(ينهار)

ديكور : شقة عتيقة، قذرة بعض الشيء.  
الشخصيات : السيناريست، جان، الجدة، الخ...  
المرأة العجوز : جان! جان!

(١) يستخدم يونسكو كلمة exidant وهي غير موجودة في اللغة الفرنسية. وكعاداته فإن يونسكو يستخدم الأصوات في بعض الكلمات أكثر من المعاني. لذلك ربما كان يقصد occident بمعنى الغرب. (الترجمة).

(٢) يستخدم يونسكو كلمة fence وهي غير موجودة في اللغة الفرنسية ربما أراد بها كلمة defense بمعنى الدفاع لتشابه النطق (الترجمة).



(دخول جان من خلفية المسرح)

جان : نعم يا سيدتي، ها أنا ذا.

المرأة العجوز : لا تقل سيدتي، أنا جدتك.

أنت لا تعرف أبدا ما إن كنت جدتك أم أنني الحارسة العجوز، دائما ما تخلط بيننا.

جان : اعذريني، لدي الكثير من الهموم! تمتلئ بها رأسي.

المرأة العجوز : وأنا! في سني هذه! ماذا أقول!

جان : ليس هناك ما يمنع جدة من أن تكون حارسة.

المرأة العجوز : المنتج الذي كنت في انتظاره، المخرج السينمائي، لقد حضر، هو هنا من أجل العرض الذي سيقدمه لك، سوى من شعرك قليلا، وكذلك ربطة عنقك. إنه يعرض عليك ٢٠٪ من الأرباح.

(تختفي. يظهر المخرج من جهة اليمين).

المخرج : اكتب لي السيناريو وستحصل على ٢٠٪ من أرباح الإيراد وذلك تحت الحساب.

جان : يمكن أن تعطيني النصف الآن. فأنا مازلت قادرا على ابتكار فكرة جيدة، لدي الكثير من الأفكار الجيدة. لست عجوزا على الإطلاق، لا بد أنهم أخبروك بذلك، وهذا واضح كما ترى. طالما يحلم الإنسان، يظل شابا. اعذرنني لأنني جئت بك إلى هنا، في هذا المنزل الخرب. في الماضي عندما كنت أسكن هنا مع زوجتي وابنتي، كان المنزل معتي



به. أما الآن فأنا لا آتي إلى هنا إلا من وقت لآخر، أنا بالذات، ولكني أؤكد لك أنني لم أعد أسكن في هذا الطابق الأرضي المظلم. أسرتي الآن في الريف، عدت إلى هنا لقضاء بعض الوقت، ولكني لا أسكن هذا المسكن شديد الظلمة. لست خالي الوفاض، أنا قادر على كسب المال، المال الوفير. فشقتي في شارع باتيه أوسع كثيرا، ولكننا نقوم ببعض الإصلاحات فيها، وهذا سبب وجودي هنا، وسبب تحديد موعد لقاءنا هنا. أحتاج للتواجد في باريس من وقت لآخر لأنني أملك منزلا واسعا في الريف، ولكنه بعيد جدا حتى لو ذهبت إليه بالسيارة، وهو قصر كبير في الريف، قصر ملكي، به العديد من الحجرات، كما أن لدي هناك عددا من الصالونات تمتلئ بالأثاث القديم ولدي أيضا صالون أكثر عصرية، شديد الاتساع، لدي مساحات واسعة. كما أن لدي بعض المخازن حولتها إلى قاعة مسرح وبلاطوه ومدخل خاص للممثلين، ومخازن واسعة أزرع فيها أشجارا. يجب أن أقوم بقصها عندما تصل إلى السقف. أصبحت أشجارا كبيرة. هناك بحيرة صناعية في مخزني، ومع ذلك تبقت لي مساحات واسعة يجب عليّ إعدادها: مروج، ولكن لم يبق لي مال يكفي لتنظيم كل هذه المساحات. تلزمني ملايين وملايين، ربما أكسبها من السيناريو، ولكن لا داعي لاستدعاء مهندس ديكور كي يقوم بإعداد الديكورات، فالديكور ها هنا، في قصري الملكي. هناك العديد من البلاطوهات، والأستديوهات، لكي



نقوم بتصوير كل ما نريد، ولكن يجب أن أحصل على المال من السيناريو. لو قمت بتوفير الديكور وأماكن التصوير يمكنكم إعطائي ٢٠٪، ٤٠٪، ٥٠٪ بالطبع، لا بد من أن أعتي بقصوري الملكية هناك، في قصري الملكي قصور يمكن أن تتهار وتتحول إلى أطلال، ولكن يجب ألا نمس هذه الأطلال. لقد عملت خصيصا. أنت تفهمني. سنوقع العقد.

المخرج

ماذا ستقدم لي كسيناريو؟

چان

في البداية، الوصف. إنه فيلم كامل، مجرد تصوير كل الأماكن، الجدران، الأثاث، عشرات البحيرات الموجودة. لا ضرورة للتصوير الخارجي مادام كل الخارج موجودا بالداخل. لن نخشى الطقس السيئ.

المخرج

كل هذا هو المحيط، ولكن أين الحدث؟ (تدخل المرأة العجوز).

المرأة العجوز

أتيت من الخارج، كانت رحلة جيدة، ولكنها متعبة.

چان

مرحبا بك، يا جدتي.

المرأة العجوز

هل أنت متأكد إنني جدتك؟

چان

أجل! بالتأكيد.

(للمخرج)

اعذرني يا سيدي، لا أعرف إن كانت هذه المرأة جدتي أو أمي. لو كانت أمي فقد تقدمت في السن كثيرا.



(للمرأة)

أنت أمي؟

المرأة العجوز

مازلت أنتظر المال، مالي الذي تركته عند أبيك.  
مازلت أنتظر. وعدتني أنك ستطلبه منه. إنه مدين  
لي به! هل لا تجرؤ على الذهاب إليه؟ هل تخافه؟  
تقدمت في العمر وأنا أنتظر. أتيت من الخارج مرة  
أخرى أملا في أنه سيعطيني إياه، مع هذا المال كون  
ثروة بالمليارات!

جان (للمخرج)

إنها أمي يا سيدي، أنت تفهمني.

المرأة العجوز

على أننا أمضينا أوقاتا سعيدة. كانت هناك بعض  
الرطوبة لأن القبو كان في الأسفل تماما. ولكن مع  
بعض الفحم، ومع غلق كل المنافذ، لم يكن الأمر  
سيئا بالمرّة. أحب البيوت القديمة المظلمة. مع  
زوجتك وابنتك كنا سعداء، كما لو أننا داخل عش  
عصافير.

جان

كيف تقدم بك العمر إلى هذا الحد؟ هناك ما يفسر  
ذلك، إنها تنتظر نقودا من أبي. لكنه ليس تفسيرا  
كافيا. (للمخرج) هل تسكن بعيدا عن هنا؟

المخرج

بل قريبا جدا. في الفندق، فندق الكابيتول، لا أسكن  
الكوبول، بل الكابيتول. في مدخل بورت سان كلو.  
فندق فخم. أسكن. دائما الفنادق الفخمة.

جان

إنه جديد، عصري، لا بد أنهم أنشأوه على وجه  
السرعة، لم أكن أعرفه.

المخرج

ليس لدي مقر إقامة دائم.



المرأة العجوز (لجان) بعد أن يدخل السيد تعال لمقابلتي في غرفتي.  
(تذهب).

المخرج : أحب العيش هنا وهناك، من فندق إلى آخر، من  
مدينة لمدينة أخرى، في بلاد مختلفة. كي أصل إلى  
فندي أمر بشارعين أو ثلاثة شوارع قديمة وجميلة  
جدا (تغيير في خلفية الديكور: نرى شوارع وحدائق  
تمر أمام أعيننا).

جان : (فجأة سعيد) لون أخضر، شيء جميل، الجو مشمس،  
يا لها من ألوان، ويا له من ضوء!

(تمضي بضع لحظات، بينما ينبسط المنظر الطبيعي في الخلفية عارضا  
بيوتا جميلة وحدائق ينظر إليها جان وهو صامت).

(فترة صمت).

المخرج : كما ترى!

(ثم تظهر، في الخلفية أيضا، شوارع يتناقص جمالها، شوارع بلا اسم،  
قذرة، اختفى النور المبهر).

جان : يا لها من خيبة أمل! الضاحية مجهولة الاسم مرة  
ثانية، إنها ليست ضاحية فقيرة فحسب بل ضاحية  
بلا اسم. هذا الميدان لا يبعد كثيرا عن بورت سان  
كلو، ولكن من الصعب الوصول إليه بسبب المرور، لا  
توجد سيارات أجرة ولا حافلات (يسيران معا على  
البلاتوه، كما لو كانا يسيران في الشارع).



وفقا لإمكانات الإخراج، يمكن عدم إظهار المنظر الطبيعي الذي أشرنا إليه. يمكن أن تكون هناك إضاءة قوية، ثم إضاءة رمادية).

آه! الصدق!

(تظهر، في الخلفية صورة فندق. يتغير الديكور: المسرح منقسم إلى قسمين في جهة اليسار: غرفة فاخرة وإن كانت سوقية الذوق، ثم في الناحية الأخرى من الحاجز الذي يفصل خشبة المسرح: توجد أسرة، ثلاثة أو أربعة، قذرة، يتمدد عليها أناس يرتدون الزي الرسمي).

المخرج : إنها غرفتي.

چان : وعلى الجانب الآخر؟

المخرج : لماذا أنت مندهش هكذا؟ لم تعد هناك غرف خاصة في الفنادق الحديثة التي تُشأ، يفصل المرء عن الآخر نصف حاجز. ولكن من يقطنون هنا يعيشون في هدوء. في الوقت الحاضر هم من صغار الضباط. لم يعد من الممكن للمرء أن يبقى وحيدا كل ما يمكن الحصول عليه هو مساحة مفصولة بحواجز في ركن من أركان عنبر النوم. وهذا لمنع وجود جواسيس.

(يأتي من جهة اليسار أحد موظفي الفندق حاملا حقيبة)

الموظف : ها هي يا سيدي!

(يخرج)

چان : تستخدم موظفا في الفندق لحمل حقبتك؟ إنه أمر مدهش!



**المخرج** : إنها من المميزات القليلة التي يتمتع بها المخرجون، ضمن بعض المميزات الأخرى، ولكنها نادرة. سأتركك.

**چان** : أنا أيضا فيما مضى، كنت أسافر كثيرا، وحدي، وانتقل من فندق إلى فندق. من دون محل إقامة دائم، من جنوب فرنسا، إلى إيطاليا، إيطاليا القديمة؛ إلى إسبانيا، إسبانيا القديمة.

(غطاء السرير ينزلق وتظهر فوق السرير امرأة ممددة).

**المخرج** : احذرا!

**چان** : إنها شديدة البياض.

**المخرج** : احذر، لا يجب لمسها. تستطيع فقط أن تشم رائحتها وتتنظر إلى صدرها. (اتركك) (يخرج المخرج. يدخل سيد بدين)

**السيد البدين** : أيها الشاب، إن التأمل أعلى مرتبة من التملك.

(تدخل سيدة)

**السيدة** : أنا آتية من رحلة. سافرت منذ مدة طويلة، وأنت لم تقم حتى بانتظاري على المحطة. مع أنني أرسلت لك برقية. تتسى كل شيء.

**چان** : وآسفاه ! دائما ما تتسى كل شيء.

**السيدة** : ذات يوم، ستتسى ارتداء جواربك وستمشي عاري القدمين في الشارع.



- جان : إلا أنك قمت برحلة جميلة!
- السيدة : قمت برحلة جميلة! الجبال، السماء، البحر، بحيرات في السماء، سماء في الماء، كانت الأنهار عذبة.
- ×
- ديكور : دور أرضي في شارع كلود - تيراس، يتحول إلى طاحونة لا شابل - انتينيز ثم إلى قصر ضخمة مثل قصر سيريزي - لاسال.
- جان : كيف لا تكون هنا يا سيدي؟ كنت أمر بالحي وجئت كي أرى أمي التي لم أكتب لها منذ وقت طويل والتي لم أرها أيضا منذ زمن. ولكن، هي كتبت لي، كانت هنا مؤخرا.
- الرجل الآخر : لا أعلم عن تريد أن تتحدث. عندما قمنا باستئجار الشقة، كانت خالية. لم يكن بها أحد.
- جان : أين يمكن أن تكون الآن؟ المسكينة لم يعد لها من سكن!
- امراة : ستسافر صباح غد، يمكنك أن تمضي الليل هنا.
- جان : لا أريد أن أسكن في غرفة يشغلها شخص آخر.
- المرأة : لكن بها سريرين، بل ثلاثة، ستكون وحدك في فراشك.
- جان : في القصر، في سيريزي، اكتسبت عادات سيئة، لو أردت، لكل غرفته الخاصة.

- المرأة : ليس في طاحونتك القديمة، طاحونة لا شابل انتيز.
- چان : بالضبط، هنا كانت الطاحونة.
- المرأة : عندنا؟
- چان : نعم، هنا. على أيامي كان آل لوانار يسكنون هنا، ماري؛ الأب باتيست، الأم چانيت، ألم تسمعي أبداً عنهم؟ ممن اشترت الطاحونة؟
- المرأة : وجدناها مهجورة، وقمنا بإصلاحات، اضطررنا إلى إعادة وتجديد كل شيء. وإذا كان بالغرفة عدد من الأشخاص، فذلك لأننا عمال عديدون، إنها ليست حياة القصور.
- چان : على أيامي أيضاً، لم تكن الحياة في الطاحونة حياة القصور. في سيريزي كانت الحياة، حياة قصور، الأمر يختلف.
- لست مطمئناً بشكل كامل، كان الخوف شديداً. من يتصور أن الخوف انتابني لقراءة قرن من الزمن. لمدة قرن لم أعرف من أين أتيت. ولا إلى أين أنا ذاهب، لم أعرف أين أنا. ثم أصبح غير المؤلف مألوفاً، وغير الطبيعي هو المقياس، قلت لنفسي إنني ربما أكون في بيتي رغم كل شيء. لا، لا، ليس دائماً بل بشكل متقطع. ومع ذلك كنت أعتبر الحلم حقيقة كنت قد سقطت في معمة التشابكات. كانت لدي مهنة اعتقدت أنها استعداد وميول. كنت أعمل لكي أنسى مخاوفي. لكن بعد فترة شعرت بأنني في





بيتي، كانت ثمة أشكال، وأشياء تحولت إلى صور  
بشعة لكني تذكرني، ولا شك، إنني لست في بيتي.  
أين كنت إذن؟ كان المقعد تتينا ذا رأسين والدولاب  
شيئا يشبه البحيرة. بحيرة غريبة، من أين أتى كل  
ذلك؟

المرأة

لكن هنا أيضا، ليس لديك سوى مقعد هو مقعد  
فحسب، ومنضدة. تستطيع أن تضع يدك على  
المنضدة، إنها قوية، يمكنك لمسها.

جان

بالفعل، هذا مقعد، ولكنه لا يشبه المقعد الذي رأيته  
هناك، هل قد تم تغيير هيئته؟ هل هو نموذج لمقعد؟  
نموذج مثالي لمقعد؟ المقاعد غير الحقيقية كانت  
هناك، كانت ظلالا مقاعد ولعلها، لهذا السبب كانت  
تتخذ أشكالا مخيفة وغريبة ووحشية. أخاف جدا  
من الفراغ الأسود، من نفق مظلم يمكن أن أكون قد  
أوقعت نفسي فيه، فأسقط في سقطة بلا نهاية.  
ولكن لم يكن هذا هو الأمر، لم يكن هذا هو الأمر،  
لا أصدق عيني، هذا مقعد حقيقي، مقعد أساسي،  
وهذه المنضدة، منضدة أساسية. يشعر المرء بأن  
كل شيء حقيقي. إن وجود هذه الأشياء يكفي لنؤمن  
بأبديتها، بحقيقتها. هناك، كان وجود الأشياء ليس  
سوى مجرد مظهر، أشعر بأنني أفضل حالا هنا.  
في الواقع. ولكن هل هذا هو الواقع فعلا؟ بالتأكيد  
يشعر المرء بأنه أفضل حالا، أشعر بأنني أفضل  
حالا، ولكن هل الأمر كذلك؟

المرأة

نعم، تقريبا.

**جان :** دائما ما نكون في مجال التقريب، إذن؟ لماذا هذا التقريبا؟

**المرأة :** اهدأ لكي تسترجع نفسك شيئا فشيئا .

**جان :** ولكن هذا المكان لا يشبه العيادة، لا توجد عيادات، أليس كذلك؟ من المؤكد أنني في مكان آخر. لا يمكنني إلا أن أقول، وأكرر القول إلى أي درجة أنا سعيد ومندهش أن الأمور تجري بشكل حسن، وأنه ما من هاوية مظلمة أو نفق بلا نهاية. ما من لحظة شعرت فيها بدوار السقطة. لم أقم إلا بخطوة واحدة، إلا وفتُح باب كان غير ظاهر للعين. سافرت في العالم لمئات الكيلومترات، لآلاف الكيلومترات، والآن، كي آتي إلى هنا، فُتِح باب فتحة صغيرة، أو ربما مررت من خلال نافذة أو مرآة. حدث كل هذا من دون أن أدري. وكانت هذه هي الرحلة الكبرى. ولكنك تقول إن هذا العالم ليس حقيقيا إلا بشكل تقريبي، أو حقيقي بالكاد. إذن أين العالم الحقيقي، الحقيقي فعلا؟

**المرأة :** الهواء النقي هو حقيقة كاملة، يمكن أن تشم رائحته ها هنا. ولكنه مدخل الحقيقة الذي لا يتحرك. على أن أصحبك إلى مكان أبعد ولكن تخف، لا يمكن قياس المسافة، إنه ليس بالبعيد أو القريب، ولكن عليّ أن أصحبك إلى هناك مع أناس آخرين.

**جان :** كنت أعرف ذلك، أعرف من سأقابل، أليس كذلك؟

**المرأة :** أجل، أنت تعرف ذلك.



(المرأة هي مالكة المنزل، يجب أن تبدو عليها هيئة صاحبة مزرعة)

الشخصيات : امرأتان: ربما تكونا السيدة سيمبسون زوجة والد جان، وأرليت، زوجة جان، وأحياناً شقيقته).

السيدة سيمبسون أو المرأة الأولى: لن تتكر أن الأمر لا يكف عن التحرك! أرليت أو المرأة الثانية: لقد دخلنا إلى وكر زنابير مخيف!

(تضحك).

السيدة سيمبسون: لو لم تكن هناك عائلة زوجي!

أرليت : نحن في وضع خطر، لو كانوا قد سألوني عن رأيي، لما وافقت.

السيدة سيمبسون: حركة دائمة، وفي نفس الوقت لا شيء يتحرك!

أرليت : حركة؟ لو كان في الإمكان ألا يتحرك أي شيء. ثم هي الحركات نفسها، بشكل دوري، نفس الحركات!

السيدة سيمبسون: عندما أموت. يا إلهي!

أرليت : أنا دائماً أنتظر كارثة، سألت نفسي كيف سيكون الأمر لو أن الأرض انشقت.

أرليت : أين سنذهب لو أن الأرض انشقت؟ في الحفرة! سنذهب إلى الحفرة قبل أن تتشق الأرض.

السيدة سيمبسون: قال لي بعض العلماء، وبعض رجال القضاء، وكبار الضباط أن القمر يمكن أن يقترب منا ويلتصق بالأرض.



- أرليت : بل نحن من سيذهب للالتصاق بالقمر لنزيد من حجمه!
- السيدة سيمبسون: أشعر بالقشعريرة عندما أفكر في هذا الأمر. أين نختبئ يا عزيزتي؟ أين نذهب.
- أرليت : هناك أماكن في الأحرار الروسية، في سيبيريا.
- السيدة سيمبسون: من أجلنا؟
- أرليت : بل من أجل القمر.
- السيدة سيمبسون: منذ ثلاثة أرباع قرن، سقط حجر كبير، بل جبل كامل فوق سيبيريا، وأحدث حفرة كبيرة، ولكن الكوكب قاوم الصدمة.
- أرليت : الناس في أوروبا لم يسمعوا شيئاً.
- السيدة سيمبسون: بل، لقد أحدث ذلك صوتاً قوياً كصوت الرعد، اعتقد الناس أنه الرعد.
- أرليت : لم تهتم به أي دورية.
- السيدة سيمبسون: سمعت به والدة جدتي، ولكن سرعان ما حجبته الرقابة، وما من صدى في الصحف.
- أرليت : من له مصلحة في إخفاء هذا الأمر؟
- السيدة سيمبسون: ربما كان الشيطان!
- أرليت : أو القدر!
- السيدة سيمبسون: ربما يكونان قد اتفقا وعقدا اتفاقاً.
- أرليت : لا نستطيع أن نعرف شيئاً. كل هذا مجرد



افتراضات.

السيدة سيمبسون: هناك الأرض، وهناك الكواكب، والنجوم أين يتوقف كل هذا؟

أرليت: يمكن أن نفعل مثل كلبنا المدلل، إنه لا يطرح أي أسئلة.

السيدة سيمبسون: نعيش كالكلب المدلل؟

أرليت: كل هذا يصل حتى السماء.

السيدة سيمبسون: والسماء تأتي علينا. إنها تحيط بنا.

أرليت: والسماء، هل هي بعد النجوم، أم أنها بين النجوم؟

السيدة سيمبسون: لا بد أن هذا عالم آخر. في مكان آخر.

أرليت: لا بد أن هذا العالم أكبر من عالمنا كي يتسع لكل هذا.

السيدة سيمبسون: ارتعد من جديد، عندما أفكر في ذلك، كم هذا غامض.

أرليت: يبدو أن الحياة كانت ستبدو مستحيلة لو لم يكن يحفها الغموض والمخاوف والفرع والرجفة.

السيدة سيمبسون: سأكون داخل الحفرة، ولن أطرح مثل هذه الأسئلة، ولكن هل سأظل ارتعد من برودة الأرض؟

أرليت: هناك مقابر معتنى بها.

السيدة سيمبسون: لا بد أن يكون للمرء أولاد يحبونه ويعتقون بها. ولكن سيكون لي وريثة، ستصلي من أجلي، وتضع الورود.





- أرليت : وريثة! من أموال والد زوجي؟
- السيدة سيمبسون: هذا من حقي، إنه زوجي.
- أرليت : لا أعرف إن كان جان والقانون سيوافقان.
- السيدة سيمبسون: زوجي فوق القانون، إنه يلوي القوانين.
- أرليت : ما من أحد فوق القانون.
- السيدة سيمبسون: إذا غيرناه، وسيغيرونه.
- أرليت : أنت أنانية. من سيعتني بقبر جان؟
- السيدة سيمبسون: لديه أولاده. من أولاد إلى أولاد نصل إلى نهاية العالم. بعد ذلك ستفتح كل القبور. ولن تكون هناك ضرورة للعناية بها.
- أرليت : هناك قبور تعود إلى ألف عام، وتبدو نضرة، وهناك قبور تعود إلى ستة أشهر وتبدو قديمة وذابلة.
- السيدة سيمبسون: كما ترين، من إرث إلى إرث يمكن أن نمضي حتى النهاية.
- أرليت : أنت لا تستحقين هذا الإرث.
- السيدة سيمبسون: لماذا تريدان حرمانني من هذا النوع من الخلود.
- أرليت : ولماذا تريدان حرمان الآخرين منه؟
- السيدة سيمبسون: إنه الصراع، الكفاح من أجل الحياة وأنا سأصارع.
- أرليت : ونحن أيضا سنصارع بكل قوانا، ثم، كم أنت عقيمة! يمكن لمذنبات النجوم أن تصطدم بالقبور، ويمكن أن تتسحقها بكل ما فيها.



- السيدة سيمبسون: كما يمكنها حمل القبور إلى الفضاء.
- أرليت : لن أترك لك هذه الفرصة. أنا وچان سنقوم بمنعك.
- السيدة سيمبسون: سنرى من سيكون الأقوى.
- أرليت : سأمنعك!
- السيدة سيمبسون: لن تستطيعي.
- أرليت : كنت تتحدثين عن قضايا كبرى، قضايا الحياة والعالم والسماء ثم إذا بك تهبطين إلى مشكلة تافهة تخص الأرض. أنت وضيعة! وبلهاء.
- السيدة سيمبسون: لست سوى ابنة زنا!
- أرليت : وأنت كاذبة، منافقة، وبلهاء.
- السيدة سيمبسون: لن أتركك تتصرين.
- أرليت : أنا وچان لن نتركك تتصرين.
- (تخرج السيدة سيمبسون)
- أرليت (وحدها) : لا. لن نتركها تتصر! هل هذا صحيح؟ مع چان الذي يتخلى عن كل شيء، بسبب التعب أو الشك، ليس هذا مؤكداً! عندما تمتلئ الأرض بالمقابر، أين سنضع بقية الموتى؟ لا بد من حرق الموتى الآخرين. سيتراكم الرماد. أين سنضع الرماد؟
- الديكور : (محطة حافلات).

- سيدة : لم تصل بعد، ولكن الجو جميل، يمكن أن ننتظر.
- رجل عجوز : حمدا لله، معي مظلتي، مع هذا المطر الذي لا يكف عن السقوط.
- چان : جو جميل.
- رجل عجوز : أنا مستسلم تماما.
- العجوز الثاني : لا أستطيع الاستسلام.
- السيدة : الشبان ليسوا أكثر سعادة منا.
- چان : أحب هذه المدينة، مع نهر السين بجوار نهر التايمز.
- السيد العجوز : هل نجحوا في حفر القناة؟
- العجوز الثاني : أنا من ضرب أول معول بها قبل سبعين عاما. لم ينته العمل بالقناة بعد، ولكن المياه تختلط نتيجة التلوث.
- سيدة عجوز : إن التلوث هو الذي يجعلنا نعيش، ولكن يا لها من سحب، بفضل السحب انتقلت مياه نهر السين إلى نهر التايمز.
- السيدة الأخرى : والعكس بالعكس.
- سيدة : أحب الحافلات التي تشبه قطارات المترو.
- السيدة الأخرى : ما أعظم ما أنجزه البشر! آه! في زمن الكهوف لم يكونوا يستطيعوا فعل كل هذا.
- سيدة : كانوا أقل علما في هذه الأزمنة، لم يكن التعليم



إجباريا .

- السيد العجوز : إجباري أو غير إجباري، لا يغير من الأمر شيئا .
- چان : نحن محاطون بالنفايات والبحيرات والجبال، جو جميل وصحوا !
- رجل عجوز : يا لها من عاصفة ، لقد تحطمت مظلتي .
- سيدة : ها هي شمسيتي بدلا من مظلتك . هكذا سيصبح الجو أجمل .
- الرجل العجوز : أحب المطر !
- چان : صحيح يا له من جو جميل، يدفع المرء إلى الغناء .
- (يفني) .
- سيدة : (بعد أن استمعت إلى الأغنية)
- عندما تبدأ، لا تنتهي، أن هذا الغناء يثقب أذني، زوجي أيضا يملك عودا .
- السيدة الأخرى : إن ذلك لا يُحضر الترام .
- چان : ليس تراما، بل حافلة مليئة بالسيدات الجميلات وبالزهور .
- العجوز : استسلمت لكل شيء ... ابن الوطن .
- العجوز الثاني : لن استسلم أبدا، إن إغراءات الشيخوخة أكثر قسوة من إغراءات الشباب .
- السيدة : هذا صحيح أيضا .



السيدة الأخرى : الكل في الكل بالتبادل.

جان : هل تعرفين «أغنية المواطن البسيط».

العجوز : كنت أعرف «أغنية المناصرين»

السيدة : لا فرق بينهما.

السيدة الأخرى : كما لو كان لا فرق بينهما.

آنسة (آتية على عجل): الممحاة، الممحاة، الممحاة.

الرجل العجوز : الجو صحو منذ أن أعطيتي مظلتك، وهذا لا يعجل بحضور الترام، ولا حتى بحضور الحافلة كما تقولين.

جان : أعرف إسكافيا ماهرا، لم يعد لديه عمل لم يعد لديه أي حبال<sup>(١)</sup> وأنا أستقل الحافلة لكي أحضر له بعضا منها.

السيدة : كلما بحثت، لن تجد.

جان : لدي العديد من الأوتار<sup>(٢)</sup> في قوس.

الرجل العجوز (للشاب) لم يعد لي وتر ولا قوس.

السيدة : هناك أقواس قزح.

السيدة الأخرى : لو لم تكن متطلبات الحياة في غلاء مستمر ولو كانت المرتبات زادت، لكانت الأموال قد بقيت في

(١) يتلاعب يونسكو بالحروف حيث كلمة Corde جبل تتشابه مع كلمة Cordonnier إسكافي وإن كان

لا علاقة بينهما من حيث المعنى (الترجمة).

(٢) كلمة Corde تعني وتر أيضا. (الترجمة).





## الخزانة.

- الرجل العجوز : كانت الدولة ستأخذ كل ما في الخزانة.
- چان : لدي خزانة ضخمة، أطرق عليها، لا شيء بداخلها، صوت الطرق أجوف، مع أنني أدخر أموالا بداخلها.
- الرجل العجوز : عرفت في شبابي عجوزا يابانيا لم يكن لديه أوتار ولا أقواس، ومع ذلك كان يقوم بالرماية.
- العجوز : أنا أبيع أقواسا وأوتارا وأطباقا ولا أحد يشتريها إلا لتحطيمها، لذلك صار سعرها مرتفعاً.
- السيدة : منذ أن أعطيت شمسي، صارت تمطر.
- الرجل العجوز : وأنا منذ أن حصلت على الشمسية سطعت الشمس، ولكن الشمس تضايق عيني، ذلك لأن بالشمسية ثقبا.
- العجوز : كي تملأ الثقوب عليك وضع ثقوبا أخرى داخل الثقوب.
- العجوز الثاني : الدولة هي مجموعة من السادة في حالة مزرية.
- الآنسة : دولة بائسة أفضل من سيد بائس.
- السيدة : السادة هم أزواج الحوريات<sup>(١)</sup>
- چان : غير صحيح، الجسم المتموج أحرز تقدما كبيرا منذ هذا الوقت.
- الآنسة : هل تؤمن بالحنمية أم لا ؟

(١) Sires تعنى سادة و Sirènes حوريات (الترجمة).



**جان :** أفضل ما هو جميل، على أن يكون الجو جميلا  
والمدن جميلة، وتزدان الميكانيكا التمجعية بزهور  
الإقحوان البيضاء، لا أشعر بالملل في الحياة.

(كل شخصية بدورها)

ها هي الحافلة، ها هي الحافلة.

**الرجل العجوز :** تأخرت كثيرا هذه الحافلة. وليس هذا ما سيطيل  
سنوات العمر. (يهرعون جميعا إلى داخل الحافلة  
التي تجتاز خشبة وتختفي داخل الكالوس الأيمن).

**الأنسة (تصفق) :** ليست حافلة حقيقية، ليست حافلة حقيقية، سترينا  
أراضي مجهولة.

**الرجل العجوز :** لم تعد هناك أراض مجهولة منذ أن اكتشفوا القطب  
الشمالي.

**العجوز :** إنها أقطاب شمالية أخرى، أقطاب شمالية بها  
ديانات أخرى، أنا أعرفها كلها وأقول لكم جميعا  
سحقا.

**الأنسة :** لا تكن سوقيا لقد تربيت وفقا لمبادئ مختلفة. لم  
أقتل أحدا بعد.

(يمكن وضع جان بين الشخصيات، كما يمكن أيضا وضع شخصية شابة  
لا علاقة لها بالآخرين).

**الديكور :** غرفة متواضعة، معتمدة بعض الشيء. على الحائط  
الخلفي نافذتان تطلان على الشارع. أشباح تمر.



في الغرفة توجد مُلتا سرير على الأرض، مقعد، ومنضدة، كرسي وثير، كرسي هزاز سيدة عجوز جدا على الكرسي الهزاز، ترتق جوارب. نرى في الخلفية الشخصية وهي تمر. بعد لحظة نسمع دقا على الباب.

المرأة العجوز : من هناك؟

چان : أنا، چان، ابنك.

المرأة العجوز : لم نكن بانتظاره هو الآخر، أدخل (چان يفتح الباب).

: استغرقت وقتا طويلا حتى تقرر الحضور.

چان : صباح الخير يا أمي.

المرأة العجوز : منذ زمن بعيد لم ير أحدنا الآخر. لست أمك، أنا جدتك لأمك.

چان : هل أمي على قيد الحياة؟

المرأة العجوز : نعم. هي في العمل. عدنا إلى باريس منذ عامين. أنا وأمك فقدنا الأمل في حضورك. وهي قد زهدت وكفت عن الانتظار.

چان : مازالت هناك منازل قديمة وجميلة بحدائق صغيرة في حيكم. لدي ظروف مخففة، حاولت مرات عديدة أن أحضر. أحضر لأراكم. لم يكن الشارع في واقع الأمر إلا طريقا مسدودا، كان عليّ أن أرجع أدراجي. كنت أسلك طرقا جانبية، وأجتاز شوارع أخرى،



كانت كلها طرقا مسدودة. حاولت الحضور أكثر من عشرين مرة دائما ما كنت أصادف منزلا أو سياجا حديديا يمنعني ويسد علي الطريق. مما جعلني أكف عن المحاولة ثم أعاود المحاولة في يوم آخر، كان الأمر يتكرر: طرق مسدودة، حواجز، سياج حديدي شديد الارتفاع؛ في هذه المرة نجحت في الوصول إليك، مررت من باب دخول العربات بعد أن اجتزت طريقا جانبيا. وهكذا وصلت إلى باب دخول العربات والممر الذي يؤدي إلى شارعكم بشكل طبيعي. لا أعلم إن كنت سأجد الممر المؤدي إلى باب دخول العربات كي أعود إلى منزلي. هل أستطيع أن أمضي الليل هنا؟ طالما خشيت ألا أجد أمي على قيد الحياة. عرفتكم الآن، أنت جدتي.

المرأة العجوز :

انتظرناك طويلا.

چان :

نعم. كيف تعيشون؟ جئت لأحضر لكم طعاما. ها هو جوال مليء بالطعام. (يرفع الجوال من فوق ظهره ويضعه على الأرض). انظري لدي فاكهة، وخضراوات وزهور.

المرأة العجوز :

أمك وجدت عملا في أحد المصانع وأنا أعمل حارسة في المنزل. كما ترى، لقد دبرنا أمورنا من دونك.

(تدخل الأم).

چان :

أمي، أمي، لماذا بدت عليك اللامبالاة عندما رأيتيني؟



- الأم : أهو أنت؟ لم أعد أعتمد عليك!
- المرأة العجوز : على أي حال، أمك هنا في نفس المدينة التي تعيش فيها، هي هنا منذ ما يقرب من عامين، عامين تقريبا. بل وتقريبا في نفس الحي، وأنت لم تحضر، مع أنني قد أبلغتك ببرقية.
- الأم : انتظرت وانتظرت، ثم اتخذت قراري.
- چان : (لأم) كم تغيرت، كم صرت نحيفة، صرت مثل لوح خشبي! إن لم أكن قد حضرت قبل ذلك، فلأنني كنت مضطرا لتكملة دراساتي. عمرة تسعة وعشرون عاما ولم أحصل بعد على شهادة اليسانس. كم كنت أود أن آتي إليك حاملا شهادتي، ثم قررت الحضور من دون الشهادة، كما قلت لك، ولم أجد الشارع.
- الأم : مع أنك كنت تسكن هنا عندما كنت صغيرا.
- (يمر خيال، نراه من خلال النافذة، وفي ذات الوقت تسمع دقات على الباب).
- چان : لا بد أنه أبي.
- الجدة : لم يأت أبدا إلى هنا.
- الأم : منذ تزوج مرة ثانية، لا يحضر لرؤيتنا. هو أيضا لا يحضر. يخشى زوجته.
- (يقتح الباب، يدخل رجل في الخامسة والخمسين من العمر).
- الأب (للمرأتين) : إن الخطأ خطأكما إذ لم يكمل دراسته. كان يفكر





فيكما طوال الوقت. لم يفكر إلا فيكما.

الجددة (للرجل) : أنت من منعه من الحضور.  
الأم : ليس ذنبنا أننا لم نزل على قيد الحياة. الآن يمكنك أن تحتفظ بابنك.

الأب : إنه مجنون، لديه نقص في الذاكرة، لقد أدى امتحاناته الأولى لليسانس وكذلك امتحاناته الأخيرة. ولكن لم يؤد امتحانات الوسط. تلك هي الثفرة الكبرى. (من باب آخر، على يمين المتفرجين، تدخل الأخت، تبدو في عمر الأم).

الأم (لجان) : إنها أختك.  
الأخت : إن أمي هي من يتولى الإنفاق علينا، أنا والجددة. (للأب) لا أنت ولا جان أرسلتما إلينا فلسا واحدا.

الأب : ذلك لأنني محبط من ثغرات جان.  
الأم (لجان) : لا بد أن جدتك قد أخبرتك أنه بإمكانك العيش هنا لو لم تكن ترغب في العيش عند والدك، أنت تعرف الشقة جيدا.

جان : رأيته في الحلم.  
الأم (لجان) : توجد لك غرفة في الطابق الأول.

الأخت : لا بد أن تصعد السلم الخشبي، هناك غرفة، تعرفها جيدا، طويلة جدا ومعتمة، بجوار غرفتي، ليست مريحة تماما.

جان : أعرف ذلك، ليس بها سوى طاقة صغيرة في الخلفية



ولكني سعيد لأنني وجدت مكانا أسكن فيه.

الجددة : انتظارا أن تنتهي من دراستك، وتتزوج ويكون لك بيت.

الأب : إنه لا يصلح لشيء لن يصل أبدا إلى مركز جيد، لم يصبح أبدا محاميا مثلي.

چان : إنه خطأي، خطأي أنا، أعرف أنه في عمري هذا، وأنا اقترب من الثلاثين، كان يجب أن أكون قد انتهيت من دراستي، وإن كنت أعتقد أنني لن أتمكن من إتمامها، فأنا لا أفكر في ذلك، المسرح فقط هو الذي يشغلني.

الأب : لن أعطيك فلسا واحدا.

الجددة (لچان) : إن أمك هي التي عليها العمل وبذل الجهد، لكنها لن تستطيع فعل ذلك طوال حياتها.

چان : وأنا لن أستطيع أن أعاونها في الوقت الحاضر.

الجددة (لچان) : لن تستطيع أبدا معاونتها بأي شكل كان.

چان : ماذا أفعل، ماذا أفعل. (يلوي يديه)

الجددة : يشعر بالذنب، ولكن ذلك ليس حلا.

الأخت : خلقت لتعيش على حساب الآخرين.

الأب : احتفظي به إذا أردت.

\*\*\*\*\*



الديكور غرفة واسعة في جزء منها صالون ذو طابع بورچوازي: ثلاثة مقاعد وثيرة، أريكة، منضدة صغيرة، مصباح غاز فوق المنضدة، في الخلفية، مدفأة ذات طراز قديم ومرآة كبيرة. كل هذا من جهة الحديقة. من جهة الباحة يوجد ما يشبه عنبر النوم به أربعة أسرة مثل أسرة الميدان.

على الأريكة، ترقد امرأة في حوالى الخامسة والأربعين من العمر، ترتدي ثوبا أسود، وحول عنقها عقد ضخمة. هي على قدر من الجمال وإن كان جمالها يكاد يكون مبتذلا بعض الشيء. فوق مقعدين من دون ظهر، وفي مواجهة مرجريت سيمبسون يجلس چان سيمبسون وهو رجل شاب، وليديا).

**السيدة سيمبسون:** ها أنت يا چان. كنت أعرف جيدا أنك ستعود إلى بامبلون. لم تعد تحتقرنا إذن، مادمت بحاجة للمال. أرسل لك والدك الكثير من المال وبشكل مستمر.

**چان :** إنه أبي يا سيدة سيمبسون. هذا أمر طبيعي. ولو كنت قد تشاجرت معه، فقد كان هذا بسببك، سيدة سيمبسون.

**السيدة سيمبسون:** لم تقبل أبدا أن تدعوني بالخالة مرجريت.

**چان :** أنت لست شقيقة أحد والدي.

**السيدة سيمبسون:** لم تقبل أن تدعوني «بالخالة» هذا هو اللقب الذي يطلقونه على زوجة الأب. لم أطلب منك أن تدعوني أمك ولا السيدة سيمبسون.

**چان :** ليس هذا سببا لكي تجعلى الناس يعتقدون وتجعلينى أيضا أعتقد أن أمي، أمي الحقيقية، قد ماتت.



**السيدة سيمبسون:** أبوك هو الذي أراد أن يعتقد الناس ذلك، كما جعلني أنا أيضا أعتقد ذلك، حتى يستطيع أن يتزوجني. إن شقيقي الضابطين، كانا يمكن أن يقبلا أن أتزوج من أرمل ولكن ليس من مطلق. مع ذلك لم أصدق أبدا موت أمك. هل هي على قيد الحياة؟

**چان :** لا بد أنك تعرفين ذلك. عندما تركتها كانت تسكن بامبولون، وقد كتبت لها، ثم اندلعت الحرب، ولم أعد أسمع عنها. لذلك أطلب منك أن تقولي لي الحقيقة. هل هي على قيد الحياة أم لا؟

**السيدة سيمبسون:** لمحتها منذ سنوات، من يعرف كيف أصبحت. كانت تسكن في الأحياء الفقيرة، في منزل منخفض مكون من غرفة واحدة، معتمة ورطبة.

**چان :** في كوخ قذر لاشك. بينما أنت كنت تعيشين في قصر. المدينة صغيرة، كان يمكن أن تقابليها، مصادفة، أثناء نزهاتك.

**السيدة سيمبسون:** أبوك هو من أراد الانفصال عنها.

**چان :** وأنت قمت بكل ما يلزم ليتم ذلك. أعرف القصة. كان أبي رئيسا للشرطة ...

**السيدة سيمبسون:** ولا يزال!

**چان :** كان بوسعه القيام ببعض التحريات على أي حال، أنا حضرت للبحث عنها، لأعرف إن كانت على قيد الحياة، ثم أخذها معي إلى باريس.

**السيدة سيمبسون:** تدعي أنك تعيدها وتقول إنك لم تعد تكتب لها. كان



عليك أنت ألا تتخلي عنها .

جان : اندلعت الحرب .

السيدة سيمبسون : لم تستمر طويلا .

جان : أعرف ذلك . لم أقم بواجبي كما ينبغي . لست عاقا بل مهملا . منهكا .

السيدة سيمبسون : لطالما اتهمتي بأنني كنت سببا في شقائك . لم أكن أستطيع أن أفعل شيئا ضد رغبة أبيك .

جان : قمت باستغلال الظروف السيئة .

السيدة سيمبسون : من هذه الشابة التي بجوارك .

جان : إنها ليديا .

ليديا : أنا ليديا .

السيدة سيمبسون : أنت من ترك المنزل حاملة لفافة على ظهرك وأنت في الرابعة عشرة من عمرك . كنت مضطرة لطردك . كنت تقيمين في الحجرة التي أقيم فيها مع أبيك . كنت تفصلين بيننا . بيني وبينه جاسوسة ، كنت تمنعين أي خصوصية بيني وبين زوجي . أم أنك لست ليديا ؟ ربما كنت الأخرى ، زوجة جان ؟ إذن تذكرين جيدا أنني أنا وزوجي وضعنا في أصبعك خاتم الخطوبة . (ملتفتة ناحية الشاب) . هل هي شقيقتك أم زوجتك ؟ (إلى ليديا) كان زواج جان زواجا موقعا ، اختيارا جيدا للأسف بعد ذلك ، اندلعت الحرب وحدثت كل الانفصالات التي أدت إلى ألا يعرف أحدا الآخر .





(إلى جان) لم يكن عليّ أنا أن أبادر ببقاء أمك، أنا  
الزوجة الشرعية لأبيك.

جان

كانت أمي الزوجة الشرعية قبلك. كنت تقولين أنني  
أنا وأختي أولاد زنا، لم تعرفي معنى الكلمات.

السيدة سيمبسون:

أنا لا أتسكع في الشوارع، لا أذهب للتقريب في كل  
الأحياء. في أغلب الأوقات أبقى ممددة. أشعر بالهم  
في بطني، أعاني من الإمساك.

جان

سيقتلك هذا الألم! ليتك يقتلك!

السيدة سيمبسون (لجان): كيف مرت السنوات التي سبقت الحرب،  
وسنوات الحرب، وما بعد الحرب؟

جان

قبل الحرب، كما تعرفين كنت مطاردة، لحسن الحظ  
استطعت الهرب، إلى هناك، في ذلك البلد الذهبي  
الذي أحسن استقبالي، البلد الذي تبنانا جميعا.

ليديا (إلى جان):

أشعر بالامتنان لهذا الشعب. يجب ألا نسيء إليه  
بالقول. ماذا كان سيصبح مصيرنا؟

جان

أثناء الحرب في البداية، كنت جنديا ثم قاموا  
بإبعادني، واستبدلوني. بعد ذلك، عملت في ترسانة  
سفن في البحرية العثمانية. ولكنني لم أصبح مواطنا  
تركيا.

السيدة سيمبسون:

أنت قد أتيت هنا، في منزل والدك. في منزلنا، ليس  
لكي تلقى التحية، ولكنك أتيت لكي تتحداني، أو  
ربما أتيت كي تطمئن على صحتي. تريد أن تعرف  
إذا كنت سأموت في القريب العاجل. أنا لا أعاني



من أي مرض، سوى الإمساك، ولكنه ليس خطيرا .  
لست على وشك الحصول على الميراث. على أي  
حال كل شيء أصبح باسمي، أنا من يتحكم في كل  
شيء، فالبيت ملكي والأموال ملكي. أنت أو أختك أو  
زوجتك لن تحصلوا على أي شيء. ابوك يعطيك ما  
يكفي من المال، أثناء حياته.

چان : أتيت فقط للقاء أمي.

ليديا : لو أن أبانا أعطاه نقودا، فقد كان ذلك من دون  
علمك، لأنك ما كنت ستسمحي بذلك.

السيدة سيمبسون: غير صحيح، إنه لا يخفي عني أي شيء. أنا من طلب  
منه أن يعطيك مالا.

چان : إنه لا يرسل لي مالا إلا عندما أكون غنيا ومشهورا .  
عندما أعاني الفقر، يبتعد عني، يشعر بالعار.

السيدة سيمبسون: لم يكن يستطيع أن يرسل لك مالا أثناء الحرب،  
لم تكن هناك خدمة بريدية تستطيع أن تخترق  
صفوف الأعداء. لم يكن لذلك أي قيمة كان هناك  
التضخم.

چان : أليس لديك طعام لنا. لا أعرف لماذا أشعر بالجوع  
الشديد.

السيدة سيمبسون: لدي بعض التين.

(يدخل خادم يحمل طبقا مليئا بالتين. سيأكل منه چان طوال المشهد  
التالي).



**چان :** أشعر بالجوع طوال الوقت! نوع من الشره المرضي.  
أتمنى أن تكون في خزانك كميات أخرى من  
الطعام.

**السيدة سيمبسون:** أباك يخزن الطعام دائما.

(يدخل الأب من خلفية المسرح).

**الأب :** كنت دائما ما أعطيك الكثير من المال، أنت غني  
...

**چان :** أعطيتني خمسمائة ألف فرنك، لم يتبق معي سوى  
مائة ألف فرنك فقط.

**ليديا :** توجد العديد من الغرف الخالية هنا، في هذا  
المنزل. يمكن أن ننام تارة في غرفة، وتارة في غرفة  
أخرى، في الطابق الأرضي، في الطابق الأول أو في  
المخزن العلوي. لن تشعر بالملل، لديك كتب باللغة  
اللاتينية وكتب دينية، كل كتب اللاهوت.

**چان :** إنها كتب غير مفهومة تقريبا بالنسبة لي. في السابق  
كنت أفهمها، ولكنني نسيت وابتعدت عن الأمور  
الدينية.

**الأب :** هذه أوراق لعب.

**ليديا :** هل هي أوراق التاروت؟

(يخرج الأب الكثير من أوراق اللعب من جيبه، ويلقي بها على المائدة أو  
عند قدمي چان).



- چان :** (وهو يجمعها) أوراق التاروت. يا لها من أشكال غريبة! مع كلمات قديمة. أستطيع أن أفهم واحدة منها، من وقت لآخر.
- الأب :** (وهو يخرج من جيبه رزما ضخمة من الأوراق المالية ويعطيها لچان). خذها! ها هي نقود.
- چان :** إنها أوراق مالية روسية قديمة.
- الأب :** بل تركية.
- چان :** روسية أو تركية، إنها أوراق مالية غير صالحة، ليس لها قيمة. لا أستطيع أن أسدد بها ديون الخال ارنست. ها هو يطلبني. (يتجه چان إلى الهاتف، الذي لا يرن. يضع السماعة على أذنه، ثم يعيدها إلى مكانها). فعلا، إنه الخال ارنست، يطلب مني مبالغ طائلة كي يسدد ديون العائلة.
- الأب :** لم تعد لي أي صلة بهذه العائلة، أفرادها مجموعة من المتشردين والفاشلين.
- السيدة سيمبسون:** هذا ما كنت أقوله له قبل قليل.
- چان :** عليّ أن هذا المال، هذه الأوراق المالية، كان قد أرسلها لي الخال ارنست حتى أعطيها لك لكي تغيرها إلى أوراق أخرى صالحة. أريد غيرها!
- الأب :** إن أمك هي التي أرسلتك هنا في بيتي. أنت شديد الوقاحة، مثلها! لم تعد تخشاني، لأنك تعرف أنني ما عدت قادرا على ضربك.



**چان :** في عائلة أمي هناك العديد من الشيوخ. كلهم طاعنون في السن، ليسوا مثلك أو مثلي إذ ظللنا شبابا رغم كل شيء. لو رأيت أمي كم تقدمت في العمر. وصلت إلى هنا منذ ثمانية عشر شهرا. لو رأيت كم تقدمت في العمر! تبدو في عمر جدتي.

**السيدة سيمبسون:** ذهبت إذن لرؤيتها! كان والدك قد منعك من ذلك.

**ليديا :** لا يمكن منعه من زيارة أمه.

**چان :** نعم، لمدة عام. كانت هنا ولم أذهب لرؤيتها كانت لدي التزامات كثيرة، أعمال وإشغالات من كل نوع. ثم لم تكن هناك سيارات أجرة، ولا حافلات. حاولت أكثر من مرة الاتصال، بها وفي كل مرة كان هناك ما يمنعني. لا أجد وسائل اتصال، أو أضل الطريق وأنا ذاهب إليها، أو أقابل أصدقاء يستوقفونني ويأخذون في الثرثرة حتى يهبط الليل واضطر للعودة.

**السيدة سيمبسون:** قلت لي إنك لم ترها وكنت تطلب أن أبحث عنها من أجلك.

**چان :** لا أعرف بالضبط إن كنت رأيته، إن كنت وجدتها بالفعل. نعم، بحثت ولكنني ضللت الطريق. إنها تسكن خلف الملعب (إلى ليديا) لكنك أنت رأيته، رأيته فعلا.

**الأب :** كيف لك أن تعرف إنها تقدمت في العمر إلى هذا الحد؟

**چان :** (وهو يأكل التين) ما دمت أقول لك إنني لم أعد أعرف إن كنت رأيته هي بنفسها أو أن أكون قد





رأيت جدتي أو رأيتهما معا.

**الأب :** لم أعد أستطيع أن أعطيك سوى أربعمئة ألف فرنك. ها هي ورقة بخمسماية ألف فرنك. أعطني الباقي.

**چان :** ها هوا

**السيدة سيمبسون:** ها هي جيوبك مليئة بالمال.

**چان :** ليس كافيا! يلزمني أكثر من ذلك تحتاج الأسرة إلى الكثير من المال. هم كثيرون، كما أنهم شديداً الفقراء. أنت مدين لهم بذلك، على أقل تقدير. وهم جميعاً طاعنون في السن.

(يتمدد چان على الأريكة)

**السيدة سيمبسون:** ترتدي ملابس جيدة، كما أنك ميسور الحال.

(يُسقط چان من جيوبه حافظة مكتظة ومليئة بالأوراق المالية).

**چان :** يجب أن أخرج لإعطاء هذا المال لأمي ولعائلتها. لكنني سأعود، سأحتاج لأموال أخرى.

(يجمع الأوراق المالية التي سقطت على الأرض ويضعها هو وليديا في حقيبة حتى تمتلئ). سأحمل لهم كل هذا المال. أعرف أين تسكن. في شارع كلود - تيراس. لكن أين هذا الشارع؟

**الأب :** يمكن أن نتحقق من خلال خريطة المدينة!

**السيدة سيمبسون:** ليس عليك الاهتمام بهذا الأمر. ليس هذا من



شأنك.

الأب : توجد عربة بجواد في الشارع، أمام الباب. بجوادين، بل بثلاثة جياذ.

السيدة سيمبسون: (لجان) انظر إلى أبيك، كم هو مجامل. ليس ذنبي إنه لم يعطك نقودا أكثر. أنا لم أستول على كل شيء. (إلى الأب) اتركه يتدبر أموره!

جان : عربة بجواد للذهاب إلى الطرف الآخر من المدينة، إنه ليس بالشيء السريع كما سيتكلف كثيرا. تعالي يا ليديا، سنذهب للبحث عن سيارة أجرة.

الأب : تعرف إنه لا توجد سيارات أجرة!

جان : على أن أسرع على أي حال.

ليديا : ربما يوجد ترام، أو حافلات، ولكن أيهما نستقل؟

جان : الوقت تأخر، الوقت تأخر، عليّ أن أسرع!

(تدخل الجدة)

ليديا : جدتي!

الأب : تُحضر كل عائلتك إلى هنا. رغم أنني أخبرتك بأنني لا أرغب في ذلك.

السيدة سيمبسون: يجب ألا ينسى أحد أنني هنا في بيتي.

الجدة : لقد فات الأوان، أمك ماتت!

جان (حزينا) : كان يمكنها أن تنتظر بعض الوقت، فقد سبق أن



انتظرت طويلا .

**الأب :** في الكتب التي أعطيتك إياها، كتب ما يجب فعله عندما نكون على أهبة الموت أو عندما نموت.

**جان :** لكن هل ما كتب مازال حقيقيا، لأنها كتب قديمة، شديدة القدم؛ تحتوي على تجارب قديمة جدا .

**السيدة سيمبسون :** عندما أموت، أريد أن توضع رأسي فوق تاج من الزهور.

**ليديا (لجان) :** اهدأ .

**الأب :** أشعر بالأسف! على الرغم من كل شيء كانت زوجتي . لكن ما عساني أفعل؟

**جان :** أعطني الكتاب المسجل فيه ما يجب عمله عندما يموت شخص .

**ليديا :** تعزى بما لديك من أموال . نحن نمتلك العديد من المنازل . في كل منزل توجد عدة أسرة . نستطيع أن نغير الفراش كل ليلة . خاصة أنت الذي لا يحب أن ينام في نفس الفراش .

**الشخصيات :** جان، ليديا .

(يدخلان، أحدهما من جهة اليسار، والآخر من جهة اليمين ويتقابلان في وسط البلاتوه)

**ليديا :** تعرف الخبر، هل تتصور أن كونستانتين يحظى بالتقدير المتزايد، انه في صعود دائم . حصل أخيرا على أكبر جائزة أدبية في العالم . لم يعد أحد يفكر



في منحك هذه الجائزة لقد أصبحت بعيدا عنها،  
وتبتعد عنها باستمرار! التقدير الذي كنت تحظى به  
قد قل وبدأ يتفتت. هناك بلاد لم تعد تعرفك. حتى  
في فرنسا بدأوا في نسيانك.

جان

؛ فعلا، من ذا الذي لا يزال يعرفني؟ أنا شديد التعاسة!  
اعتقدت أنني أنجزت كل شيء، ولم يعد هناك ما  
يمكن إضافته. لم أفهم أنه كان على الاستمرار في  
الصراع. اعتقدت أنني قد حصلت على كل شيء  
فالقيت بسلاحي، بينما كان الآخرون يواصلون  
الصراع في العتمة. ثم فجأة، انقشع الظلام وإذ بهم  
في بؤرة الضوء، أضواء الشهرة. ماذا علي أن أفعل  
كي أنسحب، وأدخل في الظلمة انتظارا ليوم جديد؟

ليديا

؛ حصل كونستانتين على الجائزة العالمية. التي لا  
يمكنك الحصول عليها. على أنه قد كان في إمكانك  
ذلك.

جان

؛ قاومت لسنين طويلة قاومت كسلي. ثم استولى عليّ  
الكسل. ضحيت بحياتي الذهنية وبخلاص روحي  
من أجل الشهرة، والآن، لم تعد هناك أي شهرة.

ليديا

؛ هل يمكنك أن تعيد الكرة؟

جان

؛ لا بد أنني عجوز جدا. كم عمري الآن؟

ليديا

؛ وصلتك رسالة رسمية.

(تقدم له الرسالة)



**چان (يقرأ الرسالة):** «سيدي، ردا على طلبك قد تم تعيينك مدرسا في مدرسة ستراسبورغ الثانوية» لست مسنا إذن! بل أنا في ريعان الشباب ما داموا يطلبون مني أن أبدأ حياتي العملية! مدرسا في مدرسة ثانوية، كما في بداياتي.

(تخرج ليديا)

**چان :** ماذا يحدث، أين أنا؟ في باريس بكل تأكيد! أنا قادم من مارسيليا، الصور الزرقاء للبحر تحاصرني. أذكر الآن، بالأمس فقط، كنت في مارسيليا، عدت من رحلة طويلة، رحلة بحرية، كنت على ظهر باخرة عملاقة، كانت من الضخامة لدرجة أنه كان من الصعب أن تجتاز مضيق البوسفور حتى أنهم اضطروا إلى تزييتها كي تتمكن من المرور. (دخول لويس).

**لويس :** أضعت وقتك في هذه الرحلة، هل تظن أنه قد تبقى لك من الوقت ما تستطيع إضاعته الآن، ولكنك تأخرت الآن. إنك الآن عجوز جدا.

**چان :** ليس للروح سن! مازلت شابا أرى نفسي شابا على الدوام، في أحلامي. العقل الباطن لا يشيخ. ثم إنني أمشي، وأجري.

**لويس :** أنت رأيت حلما جميلا، حلما جميلا استغرق خمسة عشر أو عشرين عاما، ولكن الحلم الجميل انتهى، وأنت لم تفعل أبدا أي شيء من أجلي.

**چان :** يبدو أنك تحتقرني، أنت من كان يتملقني؛ يا لجمال





حلتك!

لويس

: هذا شيء لا يمكن إصلاحه! هذه المرة هذا شيء لا يمكن مداواته. سبق أن أتيت لك الفرصة لكي تجد لك مخرجاً، أما الآن، فقد انتهى الأمر. أنت محطم تماماً، انظر إليّ لترى كم أنا متماسك. سأقوم بدفنتكم جميعاً أنا من يضحك الآن. يجب ألا تحاول مرة أخرى. زمنك انتهى. سأذهب الآن، علينا أن نعرف كيف نتخلص من الصداقات المزعجة.

(يخرج).

چان

: هذا اللويس، بمجرد أن يعرف أن الشهرة انحسرت حتى يتخلى عنك، لن أسامحه أبداً لو أن الوقت اتيح لي، فلن أنسى ذلك، إنه يخشى أن يبدأ كل شيء من جديد. كان هنا ينظر إلى بحسد وهو يصر على أسنانه، هو سعيد الآن، مبتهج لكونه يستطيع أن ينتقم مني. ولكنني لن أتيح له هذه الفرصة، لن أتيحها له. سأذهب إلى ستراسبورغ. زماني لم ينته بعد، سأثبت له ذلك. لكن يوجد قطار مجاني واحد لهذا الاتجاه. لو فاتني هذا القطار، أكون قد فقدت كل شيء. ماذا أفعل كي لا يفوتني هذا القطار وإلى أي محطة اتوجه كي أجده؟ أخشى أن يفوتني هذا القطار، أخشى ألا أصل في الوقت المناسب بسبب هذه الحقيبة الثقيلة التي تعيقني.

(تدخل ليديا).



- ليديا** : لو أردت، يمكن أن أساعدك في حمل الحقيبة.
- چان** : منذ وقت مضى، منذ عامين فقط، كانت الأموال تصلني من كل مكان، كانت الصحف ترسلها لي. صحف، بها صورتني، والآن، ما من شيء يأتي. ماذا افعل للحصول على بعض المال؟
- ليديا** : في الماضي، عندما كنا فقراء، كنت تنظر إلى الأرض وتجد مالا بجانب الأرصفة، وفي جداول الماء. قم بالانحناء قليلا وأبحث.
- چان** : سأحاول.
- (ينحني ويبحث)
- ليديا** : ها هو، انظر، هناك شيء يلمع!
- هناك! وهناك أيضا!
- چان** (يلتقط بعض قطع النقود وينظر إليها) إنها لا شيء، قطع نقدية صغيرة لا تساوي الكثير. لا تخرجني من الورطة.
- ليديا** : انظر، هنا أيضا!
- (چان، ينحني من جديد، ويأخذ قطعة نقود) لا قيمة لها! إنها نقود قديمة غير متداولة.
- ليديا** : لا تقلق، في ستراسبورغ تنتظر هذه الوظيفة. ذهبت إلى كلية الطب، وطلبت شهادتك. ها هي!
- چان** : شهادة في الآداب؟ سأظهر هذا للجميع، حتى يعرفوا



إنني مازلت قادرا على دخول امتحانات. ولكن لماذا  
منحتني كلية الطب هذه الشهادة، هل تمنح شهادات  
في الآداب أيضا؟

**ليديا**

: أجل، بالتأكيد، كما ترى! حتى إنها أكثر جدية من  
كلية الآداب، أكثر علمية. فالعلماء وكبار الأطباء  
يقدرونك. لأنهم عرفوك عندما كنت في العيادة  
عندما أجريت لك عملية. أتذكر كيف كنت مدللاً؟  
اذهب إلى المحطة وقدم هذه الشهادة للشخص  
المسؤول في شباك التذاكر؛ في المقابل سيعطونك  
تذكرة في القطار.

**جان**

: علي أن أذهب. إن السكنى هنا مقبضة.

**ليديا**

: هناك بجوار باريس، في بورت فرساي، بداية الريف.  
يمكنك الذهاب هناك كل يوم.

**جان**

: نعم. صحيح. كنت أذهب إلى هناك في الماضي،  
من وقت لآخر، كي أستنشق الهواء وأشبع من جمال  
الطبيعة. كنت أذهب أيضا عندما كانوا يسمحون  
لي بالخروج من العيادة بين عمليتين؛ توجد هناك  
حقول شاسعة، ومرتفع. ما يجعل قلبك ينتعش. أجل،  
مازلت أرى هذا الشاطئ وهذا الريف الذي يفيض  
بالضوء. أي ضوء كان! ضوء يختلف عن الضوء. ثم  
كنا نتسلق المرتفع، وهناك فوق المرتفع، على القمة  
نصل إلى المدينة المضيئة. ذهبت هناك عدة مرات.  
هل كان ذلك في الحلم أم في الحقيقة؟ في الحقيقة!  
كان ذلك جميلاً لدرجة أنني تصورت أنه مجرد حلم.



ما اسم المدينة ذات البيوت البيضاء والسما؟ كانت هناك بيوت بيضاء تحت أشعة الشمس، ميدان جميل، مضاء بأكمله. ما اسم هذه المدينة؟

ليديا

: ألومينيا، ألومينيا هو اسم المدينة.

چان

: أرأيت، لم أفقد كل شيء، ما دمت مازلت أذكر اسم المدينة ألومينيا، ألومينيا. يمكن أن أجدها على الخرائط. على كل خرائط الاحلام هي مذكورة. ألومينيا، مدينة قلبي، ألومينيا، مدينة أحلامي، ألومينيا، مدينة واقعي الحقيقي.

ليديا

: عندما نتلق اسم ألومينيا، تأتي إلينا شمسها.

چان

: إذن لماذا تعود العتمة؟ ابق أيها الضوء! ألومينيا، اسم الضوء. للأسف الظلمة تلف كل شيء. لم أعد أملك من القوة ما يجعلني أحتفظ بضوء ألومينيا. سادت العتمة من جديد. هل لم أعد أحلم؟ أم إنه كابوس؟ مرة ثانية تسكن العتمة قلبي.

ليديا

: ستجدها مرة أخرى في ستراسبورغ. (يدخل بول، تخرج ليديا).

چان

: تأتي مع العتمة. منذ لحظة كنت في ألومينيا. الآن ابتعدت ألومينيا لمسافة كيلو مترات وكيلو مترات. مازلت جميل الملبس. مقارنة بي تبدو أفضل ثيابا. يجب ألا تحقد علي لو قلت لك الآن إنني أحتاج نقودا لشراء تذكرة قطار. لا أستطيع الذهاب سيرا على الأقدام. فيما مضى كنت أتسلق المنحدر وأجد ألومينيا أمامي. أما الآن فالإرهاق يمنعني من



الصعود بل والسير على طرق مستوية. أحتاج مالا  
لاشتري تذكرة القطار.

(يتحدث جان بعد فترة من الصمت)

كل شيء يظهر، يصرخ، يتخبط، يسير، يتكلم بهمس، يضرب، يسب،  
يصلح، يعيد السباب، يشعر بالرغبة، بالحسد، يطير، يعذب، ثم يزول كل  
شيء ويختفي. هناك من يقيم في منزل فخم وآخرون يصرخون على باب  
المنزل، يصعدون لكي يطردوا الآخرين. هناك دائما نار ودخان، كل شيء  
يشتعل. يعيدون البناء. آخرون يأتون بدورهم ويحتلون الأماكن الجيدة،  
يبقون فيها لمدة يومين وبعد أربعة أيام يظلون فيها. يطردونهم، ينتزعونهم  
من المكان. يجب قطع الحبال والروابط، تختفي بدورها.

يقولون «لسنا سوى عابري سبيل...» في الواقع هم لا يبرحون المكان. كما  
أن من لا مأوى لهم لا يتزحزحون لا أحد يريد الماضي بالتفاهم، بالحسنى.  
أكثرهم ثروة أشد ضراوة من الفقراء، الذين يعتادون على فقرهم. قلت  
لهم هناك الكثير من الزلازل والبراكين التي تصب علينا، نيرانها، حممها  
الحارقة. والكثير من الحرائق في الغابات والمدن. الكثير من العواصف  
والأعاصير. ثم هناك الكثير من الأوبئة القاتلة. لنترك كل ذلك يعمل.

ما دمنا على أي حال نحترق، علينا ألا نحترق من فرط الלהفة. فلنرقص  
في دائرة فليمسك أحدهنا بيد الآخر، أو يتأبط ذراعه وذلك مهما كان عددنا  
كبيرا ونمضي نحو أبدية اللاشيء، فردوس الصمت. فلنسرع بدلا من الثبات  
في مكاننا، فلنذهب بخطى سريعة.

وآسفاه، من الذي يمكنه أن يؤكد لنا أننا في الدائرة الأولى. ربما كانت  
الثانية أسوأ (تظهر امرأتان).





- جان : أرجو إرشادي إلى الطريق.
- المرأة الأولى : الجهات الأربع الأصلية مختلفة.
- المرأة الثانية : هناك جنوب سوبر وشمال سوبر.
- المرأة الأولى : نهر يشبه البساط المعلق.
- المرأة الثانية : عليك اللحاق بمحيط الدائرة.
- الشخصيات : فيوليت، جان

(ترتدي فيوليت روب دي شامبر).

- جان : أنت فيوليت. لقد عرفتك. أنت جميلة وشابة مثلما كنت في الماضي. أمر غريب، لم تتغيري أبدا منذ خمسة وعشرين عاما، مازلت في الخامسة والعشرين من عمرك. أنا مندهش لشبابك. يا له من أمر مؤسف لا يمكن إصلاحه! أمر مؤسف أن يكون ألكسندر قد مات! لا تتظري إلي هذه النظرة الشريرة. أعرف أنك تحقدين علي. هل مازلت تحقدين علي؟

- فيوليت : مازلت أحقد عليك. ربما ليس للأسباب التي تعتقدها، كنت شابا وطموحا، تصرفت معه بغباء؛ ولكن ليس هذا هو كل شيء... ليس هذا الأمر.

- جان : كنت شابا وطموحا، كنا كذلك نحن الثلاثة، استمرت صداقتنا وقتا قصيرا! آه، أنت لا تعرفين كم أشعر بالأسى لوفاته!

- فيوليت : وما فائدة الندم؟ على أنني أدرك ندمك.



- جان : قبل وفاته، بعث لي بإشارة، أرسل لي صورته.
- هيوليت : وأنت أرسلت له صورتك في نفس الوقت.
- جان : أخذنا نفس المبادرة، من دون أن نشعر.
- هيوليت : لقد تلاقت صوركما . مات بعد ذلك بأربعة أريام.
- جان : عرفت كيف مات. كان مريضاً جداً كما فقد الكثير من وزنه، لم يستطع التحمل.
- هيوليت : قيل إنني هجرته بعد مشاجرة بيننا. هذا افتراء.
- جان : هذه الإشارة الأخيرة، كأنها وداع. هل تعتقدين أننا لن نراه أبداً؟
- هيوليت : ما أخفقت فيه، انتهى أمره إلى الأبد. ما من شيء يمكن تعويضه.
- جان : هل توجد فضاءات أخرى؟
- هيوليت : لا توجد فضاءات أخرى، ولا أماكن أخرى ولا أزمنة أخرى.
- جان : ربما كانت هناك فضاءات متداخلة بعضها في البعض الآخر، تفصل بينها ستائر وهمية، وفواصل. وربما تكون هناك أزمنة داخل الزمن مجتمعة ومنفصلة في نفس الوقت.
- هيوليت : لا تتصرف كطفل صغير وتأخذ في طرح أسئلة، يطرحها الجميع. كل شيء لا يحدث سوى مرة واحدة.

- جان : لم يكن الكسندر متأكدا. قد فاجأته مرارا وهو يقبل الأيقونات؛ لا، لا تأخذي هذا المظهر (فترة صمت) كنت أعيش هذا الزمن وأنا متأجج العواطف، كان هذا الزمن، زمنا مليئا، متوترا، ثريا كانت هناك أحداث. والآن، ومنذ سنوات، صار الزمن خاويا. رخوا، زمنا يمضي سريعا. ما عدت أستطيع أن أمسك باللحظات. كان النهر ينساب ببطء، واليوم أصبح النهر شلالا، كانت اللحظات تداعبنا، وتأخذ في التباطؤ. قد وصلت. أين؟ نجحت، في أي شيء؟ كل شيء بلا جدوى، بالحرب كان يجب أن نموت.
- فيوليت : من الواضح أنه حدث خلاف كبير بينكما، سوء تفاهم. لم يكن الأمر سوى سوء تفاهم.
- جان : كان يقول ذلك.
- فيوليت : لي صديق جديد. شرح لي كل شيء عن أسباب هذا الخلاف. أنت لم تكن حسن الخلق.
- جان : أي صديق؟
- فيوليت : ألا تعرف؟ إنه يان، البولندي.
- جان : أنت لا تتحدثين اللغة البولندية.
- فيوليت : أترجم عن الإنكليزية.
- جان : إنه مكتوب بالفرنسية.
- فيوليت : النسخة الإنكليزية أفضل.
- جان : أنت لا تتصورين يا فيوليت، كم أشعر بالأسف على



أنني ظلت طويلا، طويلا جدا، من دون أن أرى  
الكسندر! لا فائدة من الندم بالتأكيد. يا له من غياب  
من جانبي، ربما من جانبنا! كان أفضل صديق لي،  
كان أخا لي. ما الذي دفعنا إلى أن يبتعد أحدهما عن  
الآخر؟

فيوليت

: أنت من هرب!

جان

: اعتقدت أنه ينقل عني، في الحقيقة، سرق مني  
حلما.

فيوليت

: كان يحلم كثيرا هو الآخر. صحيح، كان من الممكن  
أن تكونا كأخوين لكن زهوكم كأدباء. كنتما تتشابهان  
كثيرا. كانت أحلامكما واحدة. وماضيكما متشابه  
أيضا. ومن ناحية أخرى ينتابكما القلق نفسه  
والهواجس نفسها.

جان

: هراء! منافسة أدبية وهمية.

فيوليت

: خطاكم.

جان

: في الماضي، كنت تخاطبينني بصيغة المفرد! (١)

فيوليت

: كنت خائفا في الواقع، عندما تقابلتما هو لم يفد  
منك بل أنت من أفاد بشكل أكبر.

جان

: ولكن كان قد أصبح مناضلا، وماذا في الأمر؟ كان  
غيبا من جانبي.

فيوليت

: كان يجب أن تدرك ذلك في الوقت المناسب! ما

(١) في اللغة الفرنسية يخاطب الغرباء بصيغة الجمع Vous. والمقربون بصيغة المفرد tu (الترجمة).



عدت أرغب في صداقتك.

جان : لا، تبغضيني إلى هذه الدرجة! كنت دائما أعجز عن مخالطة أي شخص ليست له أفكار.

فيوليت : وهل عندك أفكار فعلا؟ أفكار! لو أنه صار مناضلا فريما كان ذلك بسبب افتراقكما، ما كان ليفعل ذلك لو لم تتركه وحده لو كان قد سجل اسمه في الحزب، فذلك لأنه كان يريد أن تصبح له عائلة. لقد تركته مرتبكا. أفكار! أيديولوجيات! إنها المصادفة أكثر منها الاختيار. حوادث. تفاهات. أباطيل.

جان : وأنا من يقول دائما إن الصداقة يجب أن تعلو على كل ذلك. الصداقة رغم كل شيء. كم هي جميلة الصداقة، أهم شيئا هما الصداقة والموت.

فيوليت : اختاره الموت.

جان : عشرون عاما مرت، عشرون عاما! كيف استطعت أن أعيش من دونه؟ ما عدت أستطيع أبدا! أبدا!

فيوليت : أنت تضايقني لإحساسك بالذنب. اغرق نفسك في وحل الإحساس بالذنب! اغرق نفسك! ليس بوسعي شيء.

جان : لكنك أنت يا فيوليت من دفع بالأمور نحو الأسوأ. حاولت كثيرا أن أراكما أنتما الاثنان، أن أعيد العلاقات. ولكنكما اعرضتما عني، ودفعتماني بعيدا عنكما. أدركت أنكما لا تريدان النسيان. دفعتما بالأمور نحو الأسوأ.





**فيوليت**

ربما كان يجب أن تصرا ولكنى الآن، قد تخطيت كل هذا، لدي صديق جديد، علي أن أترجم إنتاجه.

**چان**

ولكن ربما تكوني أنت من تعب منه ولم يكن بوسعك أن تتحملي أكثر من ذلك. كان يشعر باحتياج كبير للدعم، كان محتاجا للمساعدة في كل لحظة من حياته، من الصباح حتى المساء، ومن المساء حتى الصباح. من اللحظة التي يفتح فيها عيناه، كنت تضعين السجارة بين شفتيه. ثم كانت بزازة الكحول. بعد ذلك فقط. كان ينهض. لا بد أنه قد حدث سوء تفاهم في البداية، وقمت باستغلال هذه الفرصة، وعمقت سوء التفاهم هذا بدلا من إصلاحه، كنت ذكية، مسيطرة على نفسك. كان بإمكانك مساعدته، كان بإمكانك مساعدتنا، كان بإمكانك أن تفسري. ولكنك لم تقبلي أن تتغاضي عن الأمر. لماذا؟ ما هو السبب الحقيقي؟ لا بد أن هناك سببا أعجز عن معرفته، سببا أخفيته عني. ماذا كان السبب الحقيقي؟

**فيوليت**

لم تعد تذكره فعلا؟

(تسقط الروب دي شامبر.

في الخلف، يظهر الكسندر).

**الكسندر**

هيا، يا چان، أسمح لك بذلك. هيا، مادمت أسمح لك. ألا تجدها جميلة ألا تحبها؟ لا تستطيع أن تحبها؟ تكرم علي بذلك.

فيوليت (إلى الكسندر): هل هو غبي، أم أنه يدعي الغباء؟

الكسندر : جان، لقد خيبت ظني، فعلا خيبت ظني.

جان : أنت جميلة، متألقة! لم أكن أصدق عيني، لم أجرو، بقيت مسمرًا. ليس لك أن تشعرني بالإهانة، لم أكن لأصدق . كيف لي أن أصدق؟

فيوليت : مرة واحدة، لن تتكرر أبدا! (فترة صمت)

الكسندر : فضلت أن أموت. أردت كتابة أعمال بجمال الموسيقى، عذبة ورقيقة مؤثرة وصافية. حتى الشعر لا يعبر عن ذلك. في بعض الأحيان يكون هناك باليه من الألفاظ ومن موسيقى الكلمات كما عند أراجون على سبيل المثال؛ وإن كان ذلك شديد الندرة.. حتى عند أراجون. (يختفي الكسندر. يبقى جان مذهولا أمام فيوليت التي ترتدي الروب دي شامبر ببطء).

فيوليت : لا . مرة واحدة، لم تتكرر أبدا.

الشخصيات : جان، الكسندر.

جان : لم يعد هناك جديد. من وقت لآخر نتصور أننا وجدنا خميلة يمكن أن نستكشفها، أو أيكة صغيرة. نظن أن هناك قارة جديدة في آخر الأيكة، أو بداخلها. ونعثر على آثار أقدامنا. كنا قد مررنا بهذا المكان! ونشعر بالدهشة، ثم نتذكر اليوم، والساعة. شيء مؤسف.

الكسندر : قد تكون هناك مغامرة أخرى!

جان : علينا تخطي هذا السور، وتسلق الجدار. أنا لا



أستطيع أن أقرر ذلك.

الكسندر

ليس الأمر سهلاً في الواقع، دائماً ما نحب أن نعود إلى الماضي. الشراب في الصباح، السجارة الأولى. إشراقة يوم جديد. حتى إننا نحب العادات غير المريحة التي اعتدنا عليها.

جان

نرغب في البدء من جديد، شريطة أن يكون كل شيء جديداً. ولكن هذا الجديد، نحن نتوقعه. نحب أن نبدأ من جديد، ولكننا لا نحب أن نبدأ. لكن، لكن.

الكسندر

الدمى المتحركة الصغيرة تدور ثلاث دورات ثم تذهب.

جان

أو لا ترغب في الذهاب. يمكن أن يحدث هذا لو لم يرغب الآخرون في أن نذهب. أما نحن، فلا نرغب في الذهاب. ينظرون إلينا، يستمعون إلينا؛ حتى نحن، ننظر إلى أنفسنا ونستمع لأنفسنا، وهم يقولون إنها نفس الدمى المتحركة.

الكسندر

نقول نفس الشيء عن أنفسنا نعرف أننا قد استهلكنا.

جان

لو أننا، والآخرين نستطيع أن نستكشف نداوة الصباح الأولى!

الكسندر

الشراب قد يساعدنا، لكن لا! النشوة وليس السكر.

جان

إن روجي بورجوازية. بمعنى روح تمتلك نفس العادات.



- ألكسندر : أن نعمل شيئاً آخر!
- چان : أن نكون شيئاً آخر! شخصاً لا يمكن توقعه، أو إدراكه، نعم، نعم، شخصاً لا يمكن تخيله.
- ألكسندر : الاغتراب!
- چان : أجل! الاغتراب! الاغتراب هو ما يشدني. كما أنه يخيفني جداً.
- ألكسندر : مللت من هذا البلد. ولا أرغب في بلد آخر.
- چان : لو أن بإمكاننا أن تكون لدينا فكرة، فكرة بسيطة عن البلد الجديد، لو أننا عرفناه، لما كان هناك شعور بالاغتراب. لا أعرف ما إن كنت أحب المغامرة أو أبغضها. أقول لنفسني في بعض الأحيان إنني لا أرغب في أي مغامرة أخرى.
- ألكسندر : الملل، والإرهاق يدفعان بالمرء لطلب المغامرة.
- چان : الملل! لقد اعتدت عليه، يعتاد المرء عليه، بل لا يعتاد ولكنه يعتاد ألا يعتاد.
- ألكسندر : ولكنه ليس شيئاً براقاً ولو أننا بدأنا من جديد لنصنع الأفضل؟
- چان : في ظروف مختلفة! حتى كلمة ظروف لن يكون لها معنى.
- ألكسندر : ستحكمنا ظروف أخرى. ربما نستطيع أن نغير من جلدنا ولا نستطيع أن نغير من كينونتنا. ما نسميه الجلد والذي سيطلق عليه أي اسم كان.
- چان : دائماً ما ستكون هناك حياة؟ هل يمكن أن تسمى



حياة؟ أي نوع من الحياة؟ أن نتصرف بشكل أفضل!  
عليّ ألا نكون قد فشلنا تماما، بشكل ميتافيزيقي،  
للمرة الأخيرة، للمرة الأخيرة في كل حياة، أو ما  
يشبه الحياة.

ألكسندر : نتصرف بشكل أفضل في المرة القادمة! هل هذا  
ممكّن؟

چان : سيكون ذلك أفضل على أننا لا نملك ملكة التواجد  
في أماكن متعددة.

ألكسندر : ليس هذا بالكثير. أنا أيضا أشعر بأنني أعيش داخل  
قفص. بل إنني متأكد أننا في قفص، هناك فتحة  
يمكن أن نعثر عليها، والتي سأجدها في إحدى  
المرات. ولكن على أي حال يجب العثور عليها.  
يدفعنا الآخرون. يأتون جماعات ويملأون القفص.  
آه لو كان لدينا قفص آخر، أقل ازدحاما!

چان : سيبقى قفصا على أي حال.

ألكسندر : هل نحن كائنات وجدت لتعيش دائما داخل قفص؟

چان : هذا ما كنت أقوله لك. لماذا إذن نُغَيّر القفص؟ ولكن  
القرار ليس بيدنا، من الأفضل العيش في نفس القفص.

ألكسندر : لن تستطيع. إذا كنت قد بدأت تشعر بالملل الآن،  
فمعنى ذلك أنك ترغب في الرحيل إلى مكان آخر.  
ارتضيت المغامرة. والآخرون يدفعوننا.

چان : يكفيني ركن صغير!





ألكسندر :

لن تكون هناك أركان صغيرة هادئة! لمدة طويلة! انتهى الأمر. كما ترى، أنت تراهم يحاصرونك، يلتهمونك.

چان :

تقول لي شيئاً يقلقني ويطمئني في نفس الوقت: الملل، هو الرغبة في المغامرة، تعجل المغامرة. ولكن لا، ليس هذا مؤكداً. سأبقى قليلاً، قدر استطاعتي. بصحبة شخصين أو ثلاثة أشخاص أحبهم. لن أستطيع أن أتركهن وحيدات.

ألكسندر :

من ناحيتي، أعتقد أنني أستطيع الانفصال. لا أريد أن يتم طردي. سأقفز إلى المغامرة قبل ذلك.

چان :

هوة المغامرة التي لا قرار لها. القفز فوق الجدار! وإن كانت هناك هوة؟

ألكسندر :

كانت هناك الخطوات الأولى للإنسان فوق سطح القمر. لقد أقدموا على ذلك! يجب أن نقدم ولو قليلاً لن أنتظر حتى يتم طردي (نهاية المشهد).

چان :

شيء غريب. قرية صغيرة بني بها ثلاث ناطحات سحاب عملاقة. القلائل الذيم يسكنون بها يعيشون في الريف، وفي نفس الوقت لديهم كل وسائل الرفاهية التي توفرها المدن الكبيرة. هل لديهم المصعد لكي يصعدوا إلى أعلى؟ والمنازل الأخرى متناهية الصغر، ولكن هناك شوارعين، ودارين للسينما، ومطعمين، مطاعم ريفية.

القروي الشاب :

ماذا تفعل هنا؟



چان : أبحث عن الفضاء الضائع (على حدة) يبدو فظا .  
القروي الشاب : إذا كنت تبحث عن القصر الصغير، فعليك أن تجتاز  
الغابة الصغيرة. كان يسكنه كونت. والآن تم تحويله  
إلى مستشفى.

چان : أنت تشبه ماكلاجن، ممثل السينما. يبدو أنك تميل  
إلى المشاجرة.

القروي الشاب : أنا في الثلاثين من العمر. رسبت في امتحان القبول  
للمصف السادس، لا أعرف ما إذا كنت سأقدم  
للامتحان مرة أخرى، أم إنني سألتحق بمدرسة فنية.  
أرغب في أن أكيل لك بعض اللكمات في أضلعك.

چان : ألا ترغب، بالأحرى، أن تشاركني الشراب؟

القروي الشاب : ها هو والدي!

(يصل قروي آخر أكبر سنا شديد الشبه بالشاب بشكل غريب).

چان : كم تتشابهان! حتى لنحسب أن أباك هو أخوك الأكبر.  
وكلاكما يضع عصا سوداء على عينه اليسرى.

القروي الثاني : لدي حانة قريبة من هنا. تعال واشرب مشروبا  
عندي.

چان : لدي مال كثير. انظر.

(يُظهر أوراقا مالية)

القروي الشاب : من أعطاك هذا؟



- جان : الخباز. غيرت عنده ورقة مالية.
- القروي الثاني : لم يعد لهذه الأوراق قيمة. لقد خدعك. هذه أوراق قديمة منذ الثورة الفرنسية.
- جان : أوراق قديمة منذ الثورة الفرنسية؟
- القروي الثاني : لم تعد مستخدمة منذ الحرب الأخيرة.
- جان : هنا نشأت منذ صغرى. ألا تذكرني؟ كنت أسكن لومولان، المزرعة التي تسمى لومولان.
- القروي الشاب : لا، أبدا. وأنت يا أبي؟ أين كانت هذه المزرعة؟
- جان : على شاطئ النهر الصغير. خلف الغابة الصغيرة. لا تعرفونها فعلا؟ ألم تسمعوا أبدا عن ملاكها القدامى؟ كان اسمهم مونييه. أسرة عريقة في المنطقة. للأسف تم هدم المنزل، لم يبق منه شيء. ولا مجرد الذكرى. هذا ما جئت لأبحث عنه. لن أعود لهذه القرية مرة أخرى، ولكن أين أقضي عطلتي؟
- ديكور : حجرة معتمة وكئيبة، من اليمين يأتي جان ومعه صديق. سقف الحجرة داكن وقذر، يسمع صوت أنات وعويل امرأة عجوز آتيا من سقف الحجرة.
- جان : أجل يا عزيزي، في الريف، بين البحر والجبل، لدي منزل جميل، يختلف تماما عن المنزل الذي أسكنه، في الواقع، إنه قصر، بقاعات واسعة وأثاث من طراز لويس السادس عشر، وأرائك طراز الإمبراطورية. لا بد أن لويس الثالث عشر قد أقام فيه. إنه منزل أراه في أحلامي. وحيث إنني أراه كثيرا في أحلامي



فلا بد أنه منزل حقيقي، إنه قصر كما أقول لك  
قصر يحتوي على قصور أخرى أكبر من القصر.  
للقصور أراض تمتد إلى المحيط بل وإلى ما بعده.  
كيف للقصور الأخرى وهي أكبر من القصور الأولى  
أن تدخل فيها إنه سر غامض من أسرار الفضاء  
الخاص بما بين العالمين أو بين الثلاثة عوالم، إنها  
فضاءات متداخلة بعضها داخل البعض وبعضها فوق  
البعض، لا يمكنك أن تفهم ذلك إلا في الحلم، وما  
دمت أقول لك إنني أرى هذا المنزل في أحلامي،  
فمعنى ذلك إنه منزل حقيقي. حقيقي تماما.

**فيوليت**

إذا كان لويس الثالث عشر قد سكنه فهذا يعني إنه  
منزل حقيقي.

**جان**

طالما التقينا فيه، في أحلامي أقابلك أكثر مما  
أقابلك في هذا الواقع المزيف، هناك تحدثنا عن  
الواحد وعن المتعدد.

**فيوليت**

أذكر ذلك جيدا، أذكره تماما. أنا صاحب مصنع،  
كثيرا ما يتحدثون عن مصنع الجوارب الخاص بي،  
عن تكاثر الجوارب، كيف لجورب أن يتكاثر؟ وجدت  
مواد جديدة، لا هي الحرير ولا النايلون ولا القطن  
ولا المواد الأخرى ولا الأقمشة المنتشرة الآن في  
واقعنا اليومي. على أنها ليست المرة الأولى التي  
نتقابل فيها في هذا المنزل المعتم شارع كلود تيراس  
والذي لا بد أن يكون منزلك وأن يكون حقيقيا مثل  
المنزل الآخر ما دمنا نلتقي به كثيرا، هنا في شارع  
كلود تيراس في هذا الطابق الأرضي المعتم حيث



أكلنا خبزاً وشربنا وتحدثنا في أمور فلسفية. في فضاءاتك، أين تضع هذا المنزل، هل يوجد مكان ما بين الفضاءات وفضاءات أخرى في الفضاء؟ ربما، وإلا ما أمكن أن نكون هنا.

جان

المنازل الحقيقية هي تلك نتذكرها، ولكنها أيضاً، وخاصة، تلك التي نتذكرها في أحلامنا، هي التي نجدها وندخلها في أحلامنا.

(يُسمع صوت أنات وعويل امرأة عجوز آتيا من سقف الحجرة)

المنزل الحقيقي هو المنزل الذي نحلم به، نعم، أنا أيضاً كثيراً ما أحلم بهذا البيت الذي نتواجد فيه، كل المنازل حقيقية ولكن أي واحد منها هو الأكثر حقيقية؟ أنا لا أحلم أبداً بمنزل ثالث، فلا وجود له، وذلك المنزل الذي كثيراً ما أحلم به هو الأكثر حقيقية.

فيوليت

بالتأكيد، إنه الأكثر حقيقية، مادام هو المنزل الذي عشت فيه مع أمك.

جان

نعم، بالتأكيد، أنت محق، إنه الأكثر حقيقية، الأكثر حقيقية مادام هو المنزل الذي عشت فيه مع أمي، كانت تظن أنني مجنون، أتيت للبحث عنها.

(أنات وعويل آت من السقف)

بل هي المجنونة، لا يجب أن يقول المرء ذلك عن أمه ولكنها تختبئ. انظر إلى المنزل، إنه خال إلا من منضدة صغيرة، حتى لا نبحث عنها وراء المقاعد الوثيرة والكراسي، ولكني لا أعرف لماذا يشبهها





هذا المنزل، هنا توجد حركاتها غير المرئية،  
ووجهها الحزين وعلى الأرض الخشبية، دموعها التي  
لا تجف.

**فيوليت**

لن تتوقف طالما أنك لم تجدها بعد، إلا تسمع  
بكاءها وأناتها الآتيان من السقف والذين يتساقطان  
نقطة نقطة؟ انظر هذه نقطة على راحة يدي.

**چان**

إنها فوق. أمي، أنت هناك، فوق انزلي.

**صوت العجوز**

أشعر بالخوف وأنا على الأرض، إن أرض الغرفة  
نخرها السوس. من دموعي ولدت صراصير، على  
الأرض الخشبية الكثير من السوس، الأرضية نخرها  
السوس، المقبرة تحت الأرضية الخشبية، لا أريد  
أن أسقط بداخلها، كل أفراد أسرتي بداخلها وقد  
تحولوا إلى تراب. هنا، في الأعلى، كنت محمية من  
الموت ومن التراب.

**چان**

(ناظرا إلى أعلى) مادمت قد أقسمت لك إنني بحثت  
عنك في كل مكان. أخيرا وجدتك يا أمي.

**صوت العجوز**

لا أريد أن أهبط.

(يرفع چان ذراعاها وكذلك يفعل فيوليت ويشدان أرجل المقعد الوثير  
الذي يرى من أسفل، ثم لا يلبث أن يظهر بأكمله وعليه المرأة العجوز. يقوم  
چان وفيوليت بسند المقعد ويضعانه بهدوء شديد على الأرض).

**چان**

كما ترين، يا أمي، الباركيه لا يقطع.

**فيوليت**

كما ترين، يا سيدتي، الأرضية لا تتهار، والسوس



يبتعد عنك.

**العجوز** (وهي جالسة على مقعدها الوثير): لا أريد، لم أكن أريد، أنا خائفة، تركتموني وحيدة لزمان طويل، وأنا لم أعود على الوحدة. (إلى چان) أين شقيقتك؟ أين والدك؟ (تشير إلى فيوليت) من هذا الرجل؟ لن تتركوني هنا بطبيعة الحال!

**چان** : سأصحبك معي، سأضعك داخل أجمل تابوت زجاجي، تابوت بابوات إيطاليا، سيكون لك ثوب أحمر.

**العجوز** : ترى كم أصبحت مقزرة، كل أثوابي ممزقة. لم يبق لدي سوى أسمال بالية، لم تبق لي إلا عظام وقليل جدا من الجلد، طبقة رقيقة من الجلد.

**چان** : الجميع سيأتي لرؤيتك.

**العجوز** : (مشيرة إلى الصديق) سألتك من هذا الرجل؟

**چان** : ألا تعرفينه؟ إنه جورج، زميلي الذي كان يأتي لتناول وجبة خفيفة معنا والذي كنت أهرب من المدرسة بصحبته.

**العجوز** : (مهددة چان): لم تجبني حينما سألتك لماذا تركتني طوال هذه المدة وحيدة.

**چان** : بحثت عنك في كل مكان.

**العجوز** : أنت لم ترغب في ذلك حقيقة، كنت تعيش في قصورك الكبيرة والصغيرة مع حسناواتك، ولم تفكر



فَيّ، كنت تسكن منزل والدك، الذي كان أكثر ثراء.

قيوليت

لقد مات هو أيضا منذ زمن بعيد.

العجوز

ولكن بفضل ثرواته، دفع للكنايس ولديه منزل مناسب للموتى، لديه الأثاث والطعام، الحياة ليست عادلة، والموت أيضا ليس عادلا؛ وأنت؟ نعم، نعم، نعم، كنت تتظاهر بالبحث عني.

جان

بحثت عنك في كل المقابر، وبيوت المسنين، عند أختك وابنة عمك، عند الأحياء وعند الموتى، بحثت عنك في سجلات الكنايس ولم أجد اسمك يا أمي.

العجوز

ذلك لأنك لم تقم صلاوات من أجلي عندما كنت تبحث عني في هذا المنزل، لم تنتظر أبدا إلى أعلى، ولكنك كنت تنتظر إلى الأرضية المتهترئة ثم تهرب سريعا، كنت تشعر بالخوف والخجل، ومع ذلك فأنا أمك بالفعل، وسأعترف بك حتى نهاية العالم، بعد نهاية العالم، وسأجذك في البرزخ بل وفي أماكن أعلى من ذلك، في الثريات السبع. أين أنا الآن؟ في المقبرة الجماعية، ولكني أخذت حذري واختبأت في أعلى السقف وهذا هو سبب عدم انهيار المنزل وتهدمه رغم قدمه. سأزلزل أساساته وأنشر به الفوضى.

قيوليت (لجان): إنها ليست أمك. أمك كانت وديعة. إنها أم جدتك.

العجوز

أنا أم جدته وأنا جده في نفس الوقت الأب (داخلا، إلى الجدة) تتخيلين أشياء، أشياء مشكوكا فيها.



**العجوز (أم الجدة) :** من المشكوك فيه أن أتخيل أشياء مشكوك فيها .  
**الأب :** ليس لأنك تتخيلين أشياء مؤكدة، إنها ليست مشكوكا فيها .

**العجوز (للأب) :** أنت هنا إذن؟  
**الأب (للعجوز) :** تظنين الآن أنك أكثر حياة لأنك قد مُت؟ لا، أنك لست أكثر حياة مما كنت عليه حينما كنت لاتزالين على قيد الحياة. أنا لم أسئ إليك مثل ما يمكن أن يُساء إلى شخص يعتقد أنه لا يزال على قيد الحياة.

**العجوز :** بلى. أسأت إلي. انظر، أنا أكثر حياة من ذي قبل، لأنه أثناء حياتي لم تكن لي مثل هذه الأظافر، بهذا الطول وهذه الحدة، هيئ لي هذا المقعد الوثير، ليكن كرسي القاضي وضع هذه الطاولة أمامه، حتى تصبح منصة المحكمة، وعليها غطاء أسود، هل فهمت؟

(تقول هذا للصديق)

أنت ترى، يأتون جميعا، بعضهم إثر بعض، أنا القضاء، أنا مندوبة القضاة. الله عادل وجبار كل الذنوب لا تُغتفر دائما.

(يجلسها فيوليت فوق الطاولة ويجعل من المقعد الوثير نوعا من العرش).

**الصديق (للعجوز) :** كل ما نفعله على الأرض لا قيمة له، ولا أهمية له، أن أكبر الجرائم وأكبر الحسنات هي من فعل الأحياء.



## العجوز

إذا كنت تعتقد أنك لست على قيد الحياة، وأنتك  
أيضا لست من عالم الأحياء فلماذا تخشى مما  
تسميه مخالبي وأصابعي المعقوفة وكلاباتي؟  
وأنت يا بني تعال إلى يميني وكن مساعدي الثاني  
وليدخل المذنبون.

(تدخل زوجة الأب الثانية (أي السيدة سيمبسون) هي عجوز، مخضبة  
بالزينة ترتدي ملابس شبابية مسرفة، تبدو كعاهرة). ها أنت أيتها الساحرة،  
التي طردت ابنتي من منزلها، سأنشب مخالبي في عنقك وهي أقوى من  
مخالب الأحياء، أقوى وأكثر إيلا ما لغير الأحياء الذين لم يعد لديهم نقطة  
واحدة من الدماء يفقدونها، لأن الدماء في وسعها أن تُشفى. ولكن ليس  
لديك أي دماء. أنا لا أخاف البنادق، ولا المسامير، ولا السكاكين.

(يدخل النقيب، أحد شقيقي السيدة سيمبسون، وشقيقها الثاني،  
الموظف الكبير).

ها أنت أيضا شقيق زوجة ابني، أنت من أمر بإطلاق النار على جميع  
أفراد أسرتي، أنت من كنت أنتظر منذ أزمان وأزمان. أنت أيها النقيب  
المثير للسخرية برتبك ونياشينك وسيفك، ما سبب وجود كل هذه الزينات؟  
لماذا قتلت، أطلقت النار على كل أفراد أسرتي؟ كنت أعرف أنك لن تفلت  
من بين يدي، أنا العدل، لا، بل أنا الانتقام.

## النقيب

لأنهم لم يكونوا من طائفتي. كنت قاضيا أمام محاكم  
الجيش الوطني، وقد صدر لي الأمر بقتل كل من  
لا ينتمي إلى طائفتي. كانوا يحترموني، يحييوني،  
يمنحونني الأوسمة. كنت فخورا بما كنت أفعل. نعم،  
كان على القضاء على كل من لا ينتمي إلى طائفتي





كى تعيش طائفتي. كنت أقتل أيضا، وأحكم بالإعدام على كل من فتر حماسه من طائفتي، كل من جَبُنَ لاعتقاده أنه طيب القلب. كانوا يهتفون لي في الطرقات، وكانت قرارات الاتهام التي أوجهها هي الأفضل، والأكثر إقناعا.

**فيوليت (للعجوز):** من هم من طائفته قتلوا أيضا، قُتلوا حتى آخرهم بيد طائفة أخرى. إنه الوحيد الذي بقي على قيد الحياة من بين أفراد طائفته، والطائفة التي قتلت طائفته تم القضاء عليها، بيد طائفة أخرى. لا نعرف اسم كل هذه الطوائف، العشرات من هذه الطوائف التي قضى بعضها على البعض.

**العجوز (للسديق):** أنت محام سيئ.

**(للقبيب):** ومن كان المحامون؟ من دافع عن آلاف من يمكن الحكم عليهم وتمت إدانتهم؟

**النقيب :** لم يكونوا بحاجة لمحامين. كانوا يعترفون بأنهم مذنبون. أو يموتون قبل أن تتم محاكمتهم.

**العجوز :** ستدفع الثمن، ستدفع أيضا نيابة عن الأجناس التي قتلت أجناسا أخرى والتي لم نعد نعرف اسمها لها. حتى إن الكل قد نسي أسماء المليارات من المحاربين أو القتلة، إنك أكثر من ميت. أنا أدينك كما سأدين شقيقك أيضا، الموظف الكبير الذي كان يسرق أراضي الفقراء الذين كانوا لا يستحقون امتلاكها. لكنني سأعد قائمة من فائقي الإجرام أي من كانوا أكثر إجراما من المجرمين. أنا لا أرى



البراءة. والسماء تضحك الآن من هذه المحاكمة،  
التي أقيمها لكي أضحكها. نحن مجرد مهرجين. أنا  
أحكم بإدانتك.

**النقيب** : لا تقومي بهذا، اتركي من ماتوا يعيشون موتهم وكذلك  
الخمسون من الموتى الذين يموتون في النار. لا أريد  
أن أصبح رمادا.

**فيوليت (للعجوز)** : هناك طوائف أخرى، الطوائف الأخيرة التي تقتل  
بعضها البعض تحت أعين السماء.

**العجوز** : ليعودوا، سيعودون جميعا أمامي، حتى أقضي  
عليهم.

(يدفع فيوليت العقيد بين مخالب العجوز).

**العجوز** : وهي تضغط على عنق النقيب. ابتسم أيها النقيب  
الجميل، ابتسم (تدفع بيدها الأخرى داخل جمجمة  
النقيب) كم هو أحمر وكم هو أسود المخ الذي يملأ  
رأسك. أنشب مخالبي داخل عينيك وأنفك وفمك،  
ابتسم إذن، واصرخ إن استطعت. أغمر يدي داخل  
عنقك، هل تذكر أيها العقيد الجميل، كم كنت تختال  
بحذائك الجميل، حذائك اللامع، وكم كنت تسحب  
سيفك. أمنحك ثانيتين لكي تتكلم.

**النقيب** : كانت قائمة اتهاماتي مطلوبة مني بهذا الشكل، وكنت  
أشعر بالشفقة.

**العجوز** : ولأنك كنت تشعر بالشفقة سأخذ منك سيفك هذا  
الذي كنت تريد أن تغمد في بطن ابنتي، زوجة زوج



ابنتي، وأغمده في بطنك أنت، في أطياف أحشائك  
والآن أنزع العين اليمنى، ذات النظارة الأحادية  
(المونوكل) (عين النقيب تتدلى) أترك لك العين  
الأخرى لمدة لحظة، لترى ما يحدث لك، وأنتم أيها  
المساعدون انظروا!

(تنزع رتب النقيب، والشرائط والسترة): لست في حاجة إلى قائد أو  
عقيد لكي يعزلك.

**النقيب** : القانون، آه القانون!

(يصرخ النقيب ثم يصمت. ينهار)

**العجوز** : لا تخلعوا حذاءه، فليس لديه سوى قدمي رجل حي،  
ورائحته نتنة.

(يبقى النقيب ممدا على الأرض).

وأنت أيتها الساحرة، اقتربي على الرغم من خوفك،  
احتفظت بتجميعات شعرك وبثوبك المشكوف،  
يحسبونك شابة، لكن تعالي، اقتربي (تقترب السيدة  
سيمبسون) شابة وجميلة مثلما كنت دائما. تعتقدين  
ذلك. سأتولى أمرك، بنفسني. (تترك كرسيها  
المتحرك، وتسير وهي تعرج.) أردت أن ترثي كل  
شيء، ترثي ابني، وثروته كان عندك سحرة يتولون  
تجميلك كل يوم. تقفين معتدلة، سترين الآن ...  
انظروا جميعا.

(تنزع عنها قبعتها وترمي بها على الأرض لتدحرج، تضربها بالعصا



ضربة قوية على كتفيها، مما يجعل السيدة سيمبسون تصبح مقوسة الظهر،  
تمزق ثوبها، وثيابها الداخلية، وتتزع حذاءها وبأظفارها المدببة، تتزع أنفها  
المزيف وزينتها.

السيدة سيمبسون تحولت الآن إلى امرأة مقوسة الظهر. تبدو أكبر سنا  
من جدة الأم. من سيدة تبدو شابة، حولتها جدة الأم إلى امرأة عجوز حدباء،  
وعارية).

انظروا إليها جميعا، لتروا كيف هي في الواقع من  
دون ذهبها وزينتها.

(تركها بقدمها، تسقط السيدة سيمبسون على الأرض).

انهضي.

السيدة سيمبسون: لم أعد أستطيع النهوض. (تمسك بها الجدة من  
مؤخرة عنقها وترفعها) أشعر بالبرد، أشعر بالخوف،  
أنا آسفة. ما كان ينبغي أن أفعل ذلك.

العجوز : أيتها الساقطة البلاء، تقدمي، ستسيرين.

(تضع العكازين بين يديها. تتحرك العجوز الآن برشاقة وتمشي السيدة  
سيمبسون وهي تبكي وتعرج مستتدة إلى العكازين).

فيوليت : كفى، يا سيدتي.

چان : كفى، سامحي.

العجوز : (وهي تسير بنفس الرشاقة، للسيدة سيمبسون)  
أخذت شبابك الزائف، من ذا الذي سامح في عالمنا

أو العوالم العليا؟ فقدت كل قواك، أيتها الساحرة  
وأعدت لي قواي. وأنت، أيها الموظف الكبير؟

**الموظف الكبير :** أعطيت كل الفلاحين ممن لا يملكون أرضاً، مساحات  
من الأراضي، لو كنت ظالماً في بعض الأحيان فقد  
كان ذلك من باب الخطأ. لا يستطيع المرء أن يكون  
دقيقاً في حساباته، إنه خطأ الرياضيات.

**العجوز :** أيها الكاذب.

(تصفع الموظف الكبير)

**الموظف الكبير :** أنت تهينين واحداً من أكبر موظفي الدولة.  
**العجوز :** أيها الأحق (تصفعه مرتين) أين الفلاحون الذين  
أشفقت عليهم، أين هم حتى يشهدوا بذلك؟

**الموظف الكبير :** لم يعودوا إلا تراب.

**العجوز :** إذن فليشهد التراب.

(يخرج الموظف الكبير كيساً ويسقط منه بعض التراب).

هذا التراب لن يتحدث. لن يتحدث لأنه ما عاد تراباً.  
انظر عند قدميك، هذا التراب ما عاد هنا. لم يعد  
هناك تراب، أو سماء؛ أو عالم.

**الموظف الكبير :** ما عادت لي مقبرة، أين مقبرتي، أين النصب  
التذكاري؟ لن يعرف أحد من كنت، أنا... أنا...  
اسمي... كنت من، من كنت؟ (ينهار).

**العجوز :** أنتم جميعاً موجودون وغير موجودين في فضاءات





خاوية وهي ليست سوى فضاءات. (تدخل غجرية جميلة).

ابنتي أهينت من زوجها، ولكنك أنت أهنت زوجته  
الثانية وأنا لا أحقد عليك. لن أوقظ ابنتي. الغفران  
الوحيد الذي يمكن منحه للموتى، هو أن نتركهم في  
هدوء. خذي عشيقك قومي بشنقه من رقبتة، مادمت  
تقولين إنك أحبيته. خذي هذا الحبل.

(تتجه الغجرية ناحية الأب).

اسحبيه خلفك.

(تقوم الغجرية بسحبه)

وليختلف هذا لقرون وقرون وقرون، سأناديكم،  
وستجدونني.

(تخلع العجوز أسمالها وأنفها الكبير المزيف، فإذا بها شابة وجميلة،  
تغني، أو بالأحرى تطلق صيحات فرح عالية، لا إنسانية. ينهض النقيب،  
والموظف الكبير، والسيدة سيمبسون، يحيطون بالأب ويخرجون جميعا وهم  
يضحكون. ضباب كثيف يرتفع ليغطي المشهد، يستمر عدة لحظات، ثم  
تظهر المنصة خالية، ليس بها أحد.

بينما يبقى الضباب مغطيا المنصة، تُسمع ضحكات وأصوات تشبه  
النحيب. ثم يختفي كل شيء بما في ذلك الضباب).

الديكور : عار. إضاءة ساطعة. على مقعد وثير يجلس شخص  
متوسط العمر. في الكواليس تسمع أصوات مبهمة



لحفيف، وهمهمات غير واضحة.

الراوي (اوچان) :

(من دون أن يتحرك من مقعده الوثير، من وقت إلى آخر يأتي بحركة من يده) لا أعلم. لا أعلم. كان يخيل إلي أن الأفق يعوق حركة السحب الخضراء. كانت الطرقات تذهب في نزهة مرتدية ثياب المرضى. ملايين البشر ينفجرون، بشرا، أو من يظنون أنفسهم بشرا. واجهات المعارض تتفخ في منابع الرياح العملاقة. (الشخصية، اوچان، تتحدث بصوت شديد الوضوح، تتوقف مرات متعددة، آخذة علامات الترقيم في الاعتبار، يبدو كما لو كان يتذكر أو يرى أو يحلم وقد فتح عينين واسعتين).

مثلثات، مستديرة، أسطح أخرى، أحجام أخرى تحدث صريحا أو حركة انتظارا لفيثاغورس آخر، أنا مندهش أن الجو ليس معتما. هل نحن في فترة ما بين - الشهادات؟ أو أن ساعات الحائط الحجرية التي تسببت تروسها في فقدان الشهية؟ نحن بداخل مصانع المجلات المصورة، أبواب المخازن مازالت مغلقة. لم تعد من جبال البرانس، لا يبدو أنهم سيهدوننا مفاتيح. الألفار لا تموت ولا تعيش. لم أكن أنتظر ذلك. بلى، كنت أنتظره. تركت العالم الذي يتحرك وهو نائم كي لا أنغمس في عالم آخر. لحي العجائز تغطي الطرقات، تتفرس في الأزقة وتأخذها المركيزات وتلصقها بجسدها. كيف تستطيع أن تفعل ذلك، بينما ليس لديها ياقة مفتوحة أو حتى ياقة مثنية؟



لكن لا، كل هذا لا علاقة له بما أرى. لم أعد أملك لغتي، بقدر ما أزيد في قلبي بقدر ما يقل كلامي. وبقدر ما أزيد في كلامي بقدر ما يقل قلبي. ماذا يفعل مفكرو الماضي، الذين يفكرون بلا سبب؟ فأنصمت، ليس لدي أي نقد، وعلى ألا أنتقد. هل أملك شفتي؟ شففا أحلامي؟ هل قلت نفاذ صبر؟ عذرا لنفاذ صبري. هل الصبر هو نفاذ صبر طويل؟ مثل عبقرية جورج ستراسر<sup>(١)</sup> لقد أخطأت قفل الباب. ألفان وخمسمائة كتاب كل كتاب يحتوي على ألفين وخمسمائة صفحة، هذا كثير، حتى بالنسبة لحياة تمتد إلى ثمان مئة وثمانين عاما. كنت أتعامل مع ناشرين فرنسيين، ميشيل، كلوديوس، جاستون. ما اسم بيشار وكلويس، جيردرار؟ جيردرار ملك الفرنجة، وكلويس ملك الحمقى. اختفى رفاقي. كان رفاقي يرافقونني. هذه جملة ذات معنى. هل الجملة ذات المعنى، مملوءة بالمعنى أم بالدم؟ كانت لهم أسماء. ليست نفس الأسماء. تتغير الأسماء داخل الأفران. في ركن أحد الشوارع كنت أتناقش مع ناشر كتبي الرئيسي ومع رئيس الجمهورية. لا بل جمهورية الرئيس. لا بل رئيس الجمهورية. كيف كانت الجمهورية، وكيف كان الرئيس؟ كان يقول: هيا يا أولادي، لنعد إلى إنكلترا في سفينة دارتانيان. كان دارتانيان يكتب كتب ديبان، ديبارك، ديماييه، ديماس الأب والابن، من كان والد

---

(١) رجل سياسة ألماني (نازي) ولد عام ١٨٩١ ومات مقتولا عام ١٩٣٤ (الترجمة).

أحدهما ومن كان ابن الوالد؟ ما معنى: من يكون؟  
لقد قالوا لي إن كل شيء سيعود إليّ. هل ستعود  
شرنقتي؟ كان الحساء أكثر صلابة من اللحم. قالوا  
لي إن ماذا؟ إن الحيوان رجل يتحدث. هل يعرف  
فعلا ما يقوله؟ مادمت أنا نفسي أتدبر أمري. ليس  
هناك من «مادمت»، في هذه المنطقة. لا أكثر ولا  
أقل ولا أيضا. الفتحة أكثر صعوبة من أنبوبة الإطار.  
ما زالت هناك أنواع من الذكريات. أطلب من نفسي  
السماح. لا وجود للمقارنات. (فترة صمت)

هناك أيضا، لا وجود للكلمة. هناك ذكريات، وعلوم،  
وصبر، ونواقص وإجازات<sup>(١)</sup>. وما يسمى بكلام السوء  
كان ذا عنق أحمر. آه! لا لا.

(فترة صمت)

هل يوجد جسر؟ إن فرسان الكراهية لم يتذوقوا  
طباشير الكتف. هل هذا مسموح به؟ لا بد من جهد.  
لنفكر، لنفكر رغم المنع. لا بد أن أكون في عالم  
«النتائج»<sup>(٢)</sup>.

ادخل ستكون هناك احتفالية. لا، ليس الأمر كذلك،  
هل ببغاوات الصالة سيمثلون داخل الكواليس؟  
داخل الكواليس! آه، آه، آه! كانت هناك كواليس. كما  
ترون، هل يرى... مصلحو الأبواب بالمنشار. هذا

(١) يتلاعب يونسكو بجرس الكلمات مثل: Sciences – patience – carence ... حتى إنه يكون كلمات  
غير موجودة في القاموس الفرنسي مثل: Scences – rallences – parences.

(٢) سلسلة من الكلمات غير موجودة بالفرنسية (الترجمة).



أيضا يمس الجدران بقلق عدم الدقة. ها هي جملة مقدسة<sup>(١)</sup> شاطئ ذو بريق صدفى (توديد)<sup>(٢)</sup>

(فترة صمت)

توديد.

(فترة صمت)

توديد. أريد أن أتمكن من الحديث كي أقول إن توديد وتوسيديد يشكلان كلمة واحدة، كلمة واحدة، يشكلان إناء. آه، إحساس الوحدة في مقصورة المسرح! هل نطقت بكلمات؟

(بهلع شديد)

هل نطقت بكلمات؟ آه من إحساس الوحدة للمشهد السابق. هل تكلمت، هل تكلمت مانونوبري. إن فرسان الكراهية لم يتذوقوا طباشير الكتف، لم يتذوقوا<sup>(٣)</sup> «قشدة» جدتي. لا علاقة بهذا بكل ما أراه. آه لا لا، هل يوجد جسر؟ النهر منفي بمائه الجاري. هل كان الماء منسابا أم أن التيار هو الذي كان يحمل الماء؟ كان الجسر جاريا، يمكن اجتيازه بواسطة النهر.

(فترة صمت)

(١) ما سبق يبدو أحيانا كلاما غير مفهوم، إلا أن تلك هي رغبة المؤلف. (الترجمة).

(٢) كلمة غير موجودة بالفرنسية.

(٣) استخدم يونسكو كلمة crête وهي تعني عرف الديك أو قمة. أقرب كلمة هي crème بمعنى قشدة؟؟ (الترجمة)



هل كانت هناك، هل كانت توجد جسور هناك؟ من  
جسر إلى جسر كانوا يمدون أيديهم بعضهم إلى  
البعض، كانوا يشدون الأرجل.

(فترة صمت)

يبدو ألا يجب قول ذلك، قراءة ذلك، تذكر ذلك هو  
الأسوأ. الذكرى ممنوعة بلا بلا بلا. بورتابالا ....

رأس المسكين، آه! كانت مجرد كلمة. ماذا لدي  
في مكانه «الكرايكيرا» «دي يوركوز»<sup>(١)</sup>. إن جمال  
ورقة الخزانة تعامل معاملة بحار الأثاث ونجار  
الأثاث يعامل معاملة الخزانة. صنعوا الانسجام  
الكاذب لحاضر مضى. طريقة جميلة. ما معنى هذه  
السخرية؟

(فترة صمت)

في إحدى المدن الساحرة مثل فرنسا، ونحن نذكر  
قرنتا هذا قرن الفنان مانومي<sup>(٢)</sup> لم نكن لنتنازل  
أبدا عن البلاط الأبيض الذي أبدعه جان لوسيل  
دالزاس سابلون. هل هذا هو كل ما تبقى لي من  
مغامرتي؟ عذرا. ما من منازع. في منطقة الجورد  
هذه. هي أيضا ذكرى تريد أن تعود هل كان المعدن  
الذي صنعت منه الرموز الأفريقية القديمة يكتسب  
وزنا بشكل تدريجي؟ كان ذلك بمثابة إضاءة بالنسبة

(١) يستخدم يونسكو كلمات لا وجود لها لجرسها فقط (الترجمة).

(٢) اسم فنان تشكيلي.



للعمل الفني للعمل الفني فني - فني . موضوعات جديدة، إطلاقات غير ضرورية، مائتي عام من الفن في المقاعد الحفيرة. كان هذا هو السر الحقيقي للطرق المحفورة التي تضيء حانات المرتفعات<sup>(١)</sup>. ليس للديكورات الهندسية القدرة على تضخيم القرميد. إن قاع عاكس الحرارة يسهل عملية تنظيم قوالب الكبت. الكبت، أتكون هي الكلمة الوحيدة؟

هذا الضوء ليس هو نور الغريب. العقول التي تحولت بفضل معرفة ما جاءت به الكتب القديمة هل تمكنت من إغراق خرائط نصف الكرة الأرضية وعربيات النقل ذات العجلات؟

الآن لا أستطيع أن أعرف الآن لا أعرف شيئاً. ولكن كان يجب عليّ أن أسأل نفسي عما إذا كان هذا مفيداً لشرح الوجود. على أنني في كثير من الأحيان، في كثير من الأحيان قد احترمت الأنماط التي فرضتها على نفسي، التي زرعتها في عقلي، ولكن لم يكن لذلك أي خطورة طالما تأتيني شذرات أفكار. هل تم ابتلاع موضع الركوع. أبداً، أبداً، أبداً كل هذه الأمور كثيراً ما تملأ رأسي، رأسي الذي أكلته العته، عته الجهل، عته الجهل، عته الجهل، عته الجهل الأسطورية تخص، تريك. لكن لا، لكن لا، ما من شيء يقرأ، ما من شيء تعاد قراءته، ما من شيء ذي أهمية.

---

(١) المرتفعات: altitude . يستخدم يونسكو كلمة قريبة سمياً منها وهي aptitude بمعنى كفاءة (الترجمة).



كان هناك في مكان تخفيه الأحراش كان يوجد  
مفسل قديم بجوار الماء. وكانت النساء وهن يقمن  
بالغسيل، يضرين التيل الأبيض. في علم الأنساب  
توجد الانبعاثات، الانبعاثات. لا بل لم تعد توجد  
انبعاثات في علم الأنساب، لم توجد أبدا أي  
انبعاثات سيداتي وسادتي الذين لا وجود لهم، وأنت  
أيها الجمهور الذي هو مجرد ثقب أسود، إن خطابي  
به براهين كثيرة مهمة. كل هذا هراء. لو كانت  
توجد أبقار يمكن حلبها، لقمنا بحلبها. هل سبق أن  
وجدت مانيسير، أو مانوسفير أو ماتيمير<sup>(١)</sup> أو الغاز  
وخدامها قامت بتحطيم كل شيء؟

آه أيها الرأس، آه أيها الرأس! وأنا أتحدث، ألاحظ أن  
الكلمات تقول أشياء والأشياء، هل تقول كلمات؟ لماذا  
صنعوا لنا رؤوسا؟ الأسئلة إذن لم تمت. سأطرح على  
نفسي سؤالا: انهض يا ماتيو وارثد حذاءك الأزرق،  
أقصاص داخل حكماء، أبدأ في الخياطة، نعلك مع  
جواريك. إن نظرية الأوقات الأخيرة تدور في فلك  
السموات، ولكن المجاري تلحق بها. المجاري هي  
زهور زرقاء وصفراء. كانت تستخدم كرايات في  
الحفلات العامة، في ميدان التأمل العالمي.

لا أعرف. أعرف فقط أنني احتفظت بشذرات وبقايا  
الخلايا.

لا أعرف.

---

(١) لا وجود لهذه الكلمات في اللغة الفرنسية (الترجمة).



## انتهت السيرة الذاتية

### بيانات شخصية:

« الاسم: أ.د. نادية كامل.

« البريد الإلكتروني: [kamelnadia@hotmail.com](mailto:kamelnadia@hotmail.com)

### المؤهلات الدراسية:

« ليسانس في اللغة الفرنسية وآدابها من جامعة الإسكندرية (١٩٦٢).

« ماجستير في الآداب بتقدير ممتاز من كلية الآداب - جامعة عين شمس (١٩٦٨)

عن رسالة بعنوان: [ النزعة التشاؤمية في مسرح الطليعة الفرنسي .

« دكتوراه في الآداب بتقدير مرتبة الشرف الأولى من كلية الآداب - جامعة

عين شمس (١٩٧٤) عن رسالة بعنوان: [ دراسة الشخصية في أعمال صمويل

بيكيت.

### التدرج الوظيفي:

« معيد بكلية الآداب - جامعة المنيا من ١٩٧٢/٢/٢٦ إلى ١٩٧٤/٨/٦.

« مدرس بكلية الآداب - جامعة المنيا من ١٩٧٤/٨/٧ إلى ١٩٧٨/١٢/٢٥.

« أستاذ مساعد بكلية الآداب - جامعة المنيا من ١٩٨٧/١٢/٢٦ إلى ١٩٨٥/٢/٢.

« أستاذ بكلية الآداب - جامعة المنيا من ١٩٨٥/٥/٣.

« رئيس قسم اللغة الفرنسية وآدابها بكلية الآداب - جامعة المنيا من ١٩٨٣ إلى

١٩٨٧ ومن ١٩٩٠ إلى ١٩٩١ ومن ١٩٩٤ إلى ١٩٩٨.

« وكيل كلية الآداب - جامعة المنيا لشؤون الدراسات العليا والبحوث من ١٩٨٥

إلى ١٩٨٧ ومن ١٩٩٤ إلى ١٩٩٨.

« أستاذ بالمعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت من ١٩٨٨ إلى ١٩٩٠

ومن ١٩٩١ إلى ١٩٩٤.

- « رئيس قسم علوم المسرح بكلية الآداب - جامعة المنيا منذ ٢٠٠٣.
- « أستاذ منتدب بالمعهد العالي للفنون المسرحية - أكاديمية الفنون، القاهرة منذ ٢٠٠٢.

### اللجان العلمية والأدبية ولجان التحكيم:

- « رئيس اللجنة العلمية لترقية أساتذة اللغة الفرنسية الى درجة أستاذ مساعد وأستاذ بالجامعات المصرية.
- « تحكيم جائزة التفوق - جامعة الإسكندرية ٢٠٠٩.
- « تحكيم المشروع البحثي بين وزارة التعليم العالي ووزارة الخارجية الفرنسية بتكليف من أكاديمية البحث العلمي ٢٠٠٧ و ٢٠١٠.
- « عضو لجنة ترقية الأساتذة والأساتذة المساعدين (لجان اللغة الفرنسية) لأكثر من دورة.
- « عضو جمعية اتحاد الكتاب.
- « عضو جمعية أساتذة اللغة الفرنسية.
- « عضو بلجنة دراسات المستقبل. (سابقا)
- « عضو بلجنة تطوير الأداء الجامعي - جامعة المنيا.
- « عضو بمجلس معهد الفنون المسرحية - القاهرة. (سابقا)
- « أشرفت على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه في مختلف جامعات الجمهورية.

### المؤلفات المنشورة:

#### • كتب بالفرنسية:

- « النزعة التشاؤمية في مسرح الطليعة الفرنسي. رسالة ماجستير.
- « دراسة الشخصية في أعمال صمويل بيكيت. رسالة دكتوراه.





- « الرواية المصرية المعاصرة. دار عزت خطاب - القاهرة - ١٩٨٧.
- « الرواية الجديدة في فرنسا. دار الكتاب الفرنسي - القاهرة ١٩٨١.
- « دور النظرة في أعمال آلان روب جرييه. دار الكتاب الفرنسي - القاهرة ١٩٨٤.
- « أثر موباسان في القصة المصرية. دار الكتاب الفرنسي - القاهرة ١٩٨٤.
- كتب مترجمة إلى الفرنسية:
  - « مصير صرصار، مسرحية لتوفيق الحكيم. الهيئة العامة للكتاب - القاهرة. ١٩٨٦.
  - « الشعر العربي المعاصر. الهيئة العامة للكتاب - القاهرة. ١٩٨٧.
- أبحاث بالفرنسية:
  - « الخير، العدل، الحق: الأساس الأخلاقي المتوارث في الحضارة المصرية. المجلد الثالث من حولية كلية الآداب - جامعة المنيا. ١٩٨٥.
  - « أسطورة المنيا في شعر ميشيل بوتور - نشر بجامعة نيس بفرنسا عام ٢٠٠٢.
- ترجمات إلى العربية:
  - « كل الساقطين ( ٤ مسرحيات لصمويل بيكيت: كتابات معاصرة - القاهرة. ١٩٦٩ و ١٩٧٠.
  - « مسرح العبث (مع آخرين) الهيئة العامة للكتاب - القاهرة. ١٩٧١.
  - « أنتيجون: مسرحية لجان كوكتو، دار حراء بالمنيا ١٩٨٠.
  - « صور خاطفة: مجموعة قصصية للكاتب آلان روب جرييه. نشرت متفرقة في مجلات أدبية مصرية وعربية.
  - « المسرح الكامل لجيوم أبولينير (جزءان): سلسلة المسرح العالمي - الكويت (١٩٨٩).
  - « فيليب ميناينا- أو الصورة المرئية. مطبوعات أكاديمية الفنون، مهرجان المسرح التجريبي - القاهرة ٢٠٠٤.
  - « الزمن العلمي والزمن المسرحي. مطبوعات أكاديمية الفنون، مهرجان المسرح

- التجريبي - القاهرة ٢٠٠٦.
- « سينوغرافيا المسرح الغربي. مطبوعات أكاديمية الفنون، مهرجان المسرح التجريبي - القاهرة ٢٠٠٦.
- « المسرح والتقنيات الحديثة. . مطبوعات أكاديمية الفنون، مهرجان المسرح التجريبي - القاهرة ٢٠٠٧.
- « الشاشات على خشبة المسرح (الجزء الأول). مطبوعات أكاديمية الفنون، مهرجان المسرح التجريبي - القاهرة. ٢٠٠٨
- « الشاشات على خشبة المسرح (الجزء الثاني) . مطبوعات أكاديمية الفنون، مهرجان المسرح التجريبي - القاهرة. ٢٠١٠
- « قاموس لغة المسرح. مطبوعات أكاديمية الفنون، مهرجان المسرح التجريبي - القاهرة. ٢٠١٣

#### • دراسات بالعربية:

- « المسرح الجديد في فرنسا. مجلة المسرح - القاهرة، العدد ٤٩: مارس ١٩٦٨.
- « أنتونين أرتو والمسرح الحديث. مجلة المسرح - القاهرة، العدد ٥٢ أبريل ١٩٦٨.
- « الرواية الجديدة عند جان جينيه. الفكر المعاصر، عدد ٤٢ أغسطس ١٩٦٨.
- « من شعر أبولينير: جاليري ٦٨، فبراير ١٩٦٩.
- « صمويل بيكيت يتحدث إلى روزاليوسف ٣ نوفمبر ١٩٦٩.
- « أسطورة باريس في الشعر الفرنسي المعاصر. الفكر المعاصر - فبراير ١٩٧٠.
- « دوس باسوس: آخر الأربعة الكبار، مجلة المجلة/ العدد ١٦٩ - ديسمبر ١٩٧٠.
- « أرتور آدموف: تحية وداع. مجلة المسرح - مايو/ يونيو ١٩٧٠
- « ما هو الأدب؟ مجلة المجلة - ١٩٧١.
- « جائزة نوبل. مجلة المجلة - ١٩٧١.
- « لوسيان جولدمان: نحو دراسة اجتماعية للأدب. مجلة الطليعة، العدد ٥ - مايو ١٩٧٥.
- « سان جون بيرس: الطبيعة والإنسان. مجلة الطليعة - العدد ١٢ - ديسمبر



١٩٧٥.

« السيريالية في الشعر: دراسة في الشعر الفرنسي المعاصر. مجلة الشعر العدد أبريل ١٩٧٦.

« أندريه شديد: شاعرة من مصر. مجلة الشعر - العدد ٥ القاهرة يناير ١٩٧٧.

« أندريه مالرو: الطبيعة والإنسان. مجلة الطليعة، يناير ١٩٧٧.

« الشاعر الفرنسي جيوم أبولينير. مجلة الشعر - العدد ٦، أبريل ١٩٧٧.

« السيرة الذاتية بين طه حسين وأندريه جيد. بحث قدم لمؤتمر الأدب المقارن - جامعة المنيا. ١٩٧٩.

« الموباسانية في القصة القصيرة. مجلة فصول - القاهرة عدد أكتوبر ١٩٨٢.

« حوار مع الشاعر الفرنسي: فرانسيس بونج. مجلة الثقافة العالمية عدد ٤٧ - ١٩٨٩.

« صورة الإنسان المعاصر بين الفن التشكيلي والمسرح. مجلة العربي - الكويت ١٩٩٢، والعدد الثالث من مجلة آفاق ثقافية مارس ٢٠٠٢.

• راجعت العديد من المسرحيات المترجمة وقدمت لها. منها:

« ليالي الغضب للكاتب أرمان سالاكرو، العميان ومعجزة القديس انطونيوس للكاتب موريس ميتزلنك، نهاية اللعبة للكاتب صمويل بيكيت، في انتظار جودو للكاتب صمويل بيكيت، صدرت عن دار المسرح العالمي - الكويت.

## المؤتمرات :

« شاركت في العديد من المؤتمرات داخل مصر: في جامعات المنيا والإسكندرية

والقاهرة وعين شمس، وخارجها:

« جتوب أفريقيا: جامعة برييتوريا ٢٠٠٠: إلقاء بحث.

## هذه السلسلة:

للكويتيين تجربة مبكرة في المسرح، فقد أدرك رواد العمل الثقافي المستنيرون أهمية دوره الحيوي وما يمكن أن يقدمه من تطور وتنمية لمجتمعهم، وعلى الرغم من اقتران انطلاقة المسرح الأولى بالمؤسسة التعليمية (المدرسة) مع بداية ثلاثينيات القرن الماضي، فإنه لم يكن مسرحاً تعليمياً تريبوا فقط، بل كان مسرحاً يشارك بنصوص جادة، قدم بعض قضايا المجتمع والحياة العامة إلى جانب تناوله أمجاد العروبة وتاريخها الإسلامي، وامتدت عروضه خارج أسوار المدرسة خلال العطلات الصيفية وخارج الوطن بصحبة الدارسين في القاهرة في بيت الكويت.

وظلت الدولة على اهتمامها بهذا الفن وتشجيعه ورعايته بالتمويل والإشراف بعد انتقال مسؤوليته إلى دائرة الشؤون الاجتماعية، وتخصيصها إدارة للمسرح والفنون ورعاية شؤون الفرق المسرحية، حتى انتقلت إلى وزارة الإرشاد والأنباء (وزارة الإعلام في ما بعد)، وتطور معهد الدراسات المسرحية إلى معهد عال لدراسة الفنون المسرحية أكاديمياً.

وفي سبيل تنمية الوعي الفني المسرحي وإثرائه فكرياً وأدبياً، ارتأت الوزارة إصدار ونشر سلسلة من المسرحيات العالمية المترجمة، لكبار الكتاب المتميزين على الساحة المسرحية العالمية، وأن تكون ترجمتها للعربية عن اللغة الأصلية للنص المسرحي، وتخضع للتحكيم العلمي، وكان يشرف عليها الشاعر الراحل أحمد العدوانى، والدكتور محمد موافى أستاذ الأدب الإنجليزي، والمسرحي الكبير زكي طليمات، وصدر العدد الأول من سلسلة «من المسرح العالمي» في أكتوبر عام ١٩٦٩



يحمل عنوان مسرحية «سمك عسير الهضم»، للكاتب الغواتيمالي مانويل غاليتش، وترجمة الدكتور محمود علي مكي، وتوالى صدورها إلى أن بلغت ٣١٣ عددا حتى عام ١٩٩٨، بعد أن انتقلت مسؤولية إصدار السلسلة إلى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وقد تناولت نحو ٤٢٠ مسرحية عالمية (مع ملاحظة أن بعض الأعداد قد اشتمل على أكثر من مسرحية)، ولكل مسرحية مترجم ومراجع ودراسة تحليلية فنية ونقدية شملت خصائص النص وكاتبه.

عندما قرر المجلس الوطني في نوفمبر ١٩٩٨ دمج هذه النصوص المسرحية العالمية المترجمة ضمن نصوص لأعمال أدبية أخرى مختلفة بين القصة والرواية وأدب الرحلات والسير الإبداعية، وصدرت تحت عنوان «إبداعات عالمية»، وبعد مضي تسعة أعوام على ذلك، أبدى كثير من المهتمين بشؤون الحركة المسرحية في البلاد وخارجها الشوق إلى إعادة طباعة بعض هذه النصوص المسرحية الإبداعية المختارة.

لقد اعتبرت سلسلة «من المسرح العالمي» أضخم مشروع قومي عربي من منظور الترجمة والتركيز على مجال فني متخصص واحد، وإنه ليسعد المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب إعادة هذا الكنز المفقود إلى أيدي عشاق المسرح وهواة في الكويت ومختلف أرجاء الوطن العربي، في هذا الإصدار الثاني الذي بدأ بإعادة طبع رائعة شكسبير «العين بالعين».

الأمانة العامة



## وكلاء التوزيع

البلد	وكيل التوزيع الحالي	العنوان	تليفون	فاكس
الكويت	المجموعة الإعلامية العالمية	الشويخ - الحرة - قسيمة 34 - الكويت - الشويخ - ص ب 64185 - الرمز البريدي 70452	24826820/1/2 24613872 /3	24826823
الإمارات	شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع	Emirates Printing, Publishing & Distribution Company Dubai Media City/ Dubai UAE P.O Box: 60499	00971 242629273	00971 42660337
السعودية	الشركة السعودية للتوزيع	المملكة العربية السعودية - الرياض - حي الملقمات - طريق مكة المكرمة - ص ب 62116، الرمز البريدي 11585	00966 (01) 2128000	00966 (01) 2121766
سورية	المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات	سورية - دمشق - البرانكة	00963 112127797	00963 112128664
مصر	مؤسسة دار أخبار اليوم	جمهورية مصر العربية - القاهرة - 6 شارع الصحافة - ص ب 372	00202 25782700- 25782632	00202 25782632
المغرب	الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر	المغرب - الرباط - ص ب 13683 - زلفه سجلماسة - بلفغير - ص ب 13008	00212 522249200	00212 522249214
تونس	الشركة التونسية للصحافة	تونس - ص ب 719 - 3 نهج المغرب - تونس 1000	00216 71322499	00216 71323004
لبنان	مؤسسة لبنان الصحفية للتوزيع	لبنان - بيروت - خندق الغميق - شارع سعد - بناية هواز	00961 1666314/5 01 653259	00961 1653260
اليمن	القالد للنشر والتوزيع	الجمهورية اليمنية - صنعاء	00967 2/3201901	00967 1240883
الأردن	وكالة التوزيع الأردنية	عمان - كلال علي - بجانب مؤسسة الضمان الاجتماعي	00962 65300170 - 65358855	00962 65337733
البحرين	مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف	البحرين - المنامة - ص ب 10324	00973 17 480801	00973 17 480819
سلطنة عُمان	مؤسسة العمارة للتوزيع	ص ب 473 - مسقط - الرمز البريدي 130 - العنتية - سلطنة عُمان	00968 24492936	24493200 00968
قطر	دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع	قطر - الدوحة - ص ب 3488	00974 4557809/10/11	00974 44557819
فلسطين	شركة رام الله للنشر والتوزيع	رام الله - عين مصباح - ص ب 1314	00970 22980800	00970 22964133
السودان	دار الريان للثقافة والنشر والتوزيع	السودان - الخرطوم - الرياض - ش المشتل - العقار رقم 52 - مربع 11	002491 83242702	002491 83242703
الجزائر	شركة بوقادوم للنقل وتوزيع الصحافة	Cite des preres FARAD.lot N09. Constantine. Algeria	00213 (0) 31909590	00213 (0) 31909328
العراق	شركة الازدهار للتوزيع	Al Izdihar (alizdihar_co@yahoo.com)	-	-
نيويورك	Media Marketing	Long Island City. NY 11101 - 3258	00718 4725488	00718 4725493
لندن	Universal Press	Universal Press & Marketing Limitd	(0) 0044 2087499828 0044208 7423344	44208 7493904

سعر النسخة

---

الكويت ودول مجلس التعاون الخليجي	نصف دينار
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

---

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة

والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: ٢٨٦٢٣ - الصفاة - الرمز البريدي ١٣١٤٧

دولة الكويت